سماحة المرجع الديني آية الله العظمى

السيد محمد تقي المدرسي

من هدى القرآن

الجزء الثاني

سورة الفاتحة - سورة البقرة - سورة آل عمران

دار القارئ

بسم الله الرحمن الرحیم

من هدى القرآن

كاتب:

آیت الله سید محمد تقی مدرسی

نشرت فی الطباعة:

دار محبی الحسین (علیه السلام)

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

من هدى القرآن المجلد ۲

اشاره

سرشناسه:مدرسی، محمدتقی، - ۱۹۴۵

عنوان و نام پدیدآور:من هدی القرآن/ محمدتقی المدرسی

مشخصات نشر:تهران: دار محبی الحسین، ۱۳۷۷.

مشخصات ظاهری:ج ۱۸

شابک:۱۸--ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۹-X۱۵-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۲۰-۳۱۶-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۲۱-۱۱۷-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۴-
ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۵-۷۱۱-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۶-۵۱۲-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۷-۳۱۳-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۸-۱۱۴-
ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۰-۶۶-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۱-۴۷-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۲-۲۸-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۳-۰۹-۹۱۰-
ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۶-۸۲-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۷-۶۳-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۸-۴۴-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۹-۲۵-
۹۶۴-۵۶۴۸-۰۳-۳-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۴-۱۱۸۰۰۰۰-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۵-X۱ ؛ ۱۸--ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۲۱-۱۱۷-
ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۷-۳۱۳-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۸-۱۱۴-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۹-X۱۵-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۲۰-۳۱۶-
ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۳-۰۹-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۴-۹۱۰-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۵-۷۱۱-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۶-۵۱۲-
ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۹-۲۵-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۰-۶۶-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۱-۴۷-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۲-۲۸-
ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۵-X۱-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۶-۸۲-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۷-۶۳-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۸-۴۴-
۹۶۴-۵۶۴۸-۰۳-۳-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۴-۱۱۸۰۰۰۰

وضعیت فهرست نویسی:فهرستنویسی قبلی

یادداشت:عربی

یادداشت:کتاب حاضر در سالهای مختلف توسط ناشرین مختلف منتشر شده است

یادداشت:کتابنامه

موضوع:تفاسیر شیعه -- قرن ۱۴

رده بندی کنگره:BP۹۸/م ۴م ۸ ۱۳۷۷

رده بندی دیویی:۲۹۷/۱۷۹

شماره کتابشناسی ملی:م ۷۷-۱۲۵۶۱

سوره النّساء

اشاره

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد للّه رب العالمين و صلى اللّه على محمد و آله الهداه الميامين.

فضل السوره:

فی مصباح الکفعمی عنه علیه السلام :

(من قرأها فکأنما تصدّق علی کل من ورث میراثا،و أعطی من الأجر کمن اشتری محرّرا و بریء من الشرک،و کان فی مشیئه اللّه من الذین یتجاوز عنهم) (تفسیر نور الثقلین ج ۱ ص ۴۲۹)

عن زرّ بن جیش عن أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب علیه السلام قال :

(من قرأ سوره النساء کل جمعه أومن ضغطه القبر) (-تفسیر العیاشی ج ۱ ص ۲۱۵-)

الإطار العام

(أ)–اسم السوره:

اختار القرآن اسم«النساء»ليضعه على هذه السوره لأنها تتحدث عن حقوق المرأه فى بدايتها،ثم عن علاقه المرأه بالرجل،و عن جوانب من حياه المرأه.

و المرأه هى:وجه حضاره البشر،و التى تعكس مدى التزام الحضاره بالقيم الساميه التى تأمر بالمحافظه على حقوق الضعفاء،و لأن الإسلام يوليها اهتماما كبيرا كان من المفروض أن يعالج موضوعها فى سوره من القرآن،و كانت سوره النساء بحكم موضوعها الاجتماعى أفضل موقع للحديث عنها.

(ب)–موضوعات السوره:

من الآيه الأولى و حتى الآيه(۲۵)،ثم من آيه(۳۳)الى(۳۵)،ثم من (۱۲۷)الى(۱۳۰)ثم فى الآيه الأخيره تتحدث السوره عن حقوق المرأه (و بالمناسبه حقوق الأيتام و السفهاء)،و طريقه تقسيم الإرث بين الرجل و المرأه، و المعادله السيئه،و الشهاده الباطله عند وارث المرأه كرها،و استلاب حقوقها

ص:۴۰

فی المهر،و حرمه الزواج من نساء معینه بینهن زوجه الأب السابقه.

ثم عن سیطره الرجل علی المرأه فی حدود الشریعه،و عن النساء الفاضلات، و الصلح بین الزوجین،ثم عن التزام العداله و الواقعیه فی بناء الأسره،و أخیرا عن بعض موارد الإرث.

أما الموضوع الآخر الذی تتحدث عنه السوره فی الآیات(۲۶-۳۲)یرتبط بحرمه المال،و النفس،و ضروره المحافظه علیهما،و الأسباب التی قد تدعو البشر الی الاعتداء علیهما کالجهل و الحسد.

أما الموضوع الثالث،فتتحدث السوره فی الآیات(۳۶-۴۰)عن ضروره الإحسان الی الضعفاء،و حرمه البخل،أو إنفاق المال ریاء.

بید ان الموضوع الرئیسی الذی تتحدث عنه معظم آیات سوره النساء یکاد یکون موضوع الحکم الاسلامی بوجوهه المختلفه،ففی الآیات(۴۱-۴۲)نجد الحدیث عن أن الرسول شاهد علی أمته،بمعنی أنه حاکم علیها،و حرمه عصیان الرسول،و حرمه کتمان الشهاده.

و فی الآیات(۴۴-۵۷)نجد حدیثا مفصلا عن دور العلم فی اقامه الحق، و مسئولیه رجال العلم فی أداء أمانه العلم،ببیان الحقائق من دون تزییف أو تحریف،و مدی جریمه الذین یفترون علی اللّه الکذب،و صفاتهم السیئه التی تکشف زیفهم،و تفضح نیاتهم الفاسده.

و فی الآیات(۵۸-۷۰)یتحدث القرآن عن القیم التی تعتمد علیها السیاسه الاسلامیه،و أبرزها أداء الأمانه(أداء حقوق الناس)،و الحکم بالعدل.

ثم تتحدث الآیات ذاتها عن طاعه الرسول و أولی الأمر،و حرمه الاحتکام الی

الطاغوت،و نعت الـذين يتبعون الطاغوت بأنهم منافقون و مثل عن الطاعه الصـعبه التى يتهرب منها المنافقون،و هى طاعه الرسول فى الحرب.

ثم حديث عن قيمه الدفاع عن المستضعفين فى السياسه الاسلاميه.

أما الآيات:(۷۷-۷۹)ثم(۸۰-۸۷)فهى تتحدث:

أولا:عن ضروره الانضباط فى القتال،و التزام الطاعه التامه فى كل الأوامر.

ثانيا:عن دور القائد فى التحريض على القتال،و حمل الناس على طاعه الأوامر.

و فى الآيـات(۸۸-۹۱)نجـد الحـديث يتركز حول اتخـاذ موقف موحـد و حـازم من المنـافقين،فيحـدد القرآن طبيعه المنـافقين و أنواعهم،ثم يحدد الموقف منهم.

ثم يتحدث خلال الآيات(۹۵-۱۰۰)عن المجاهدين و القاعدين و المهاجرين كطبقات متميزه فى المجتمع الاسلامى،و متقابله مع طبقات المنافقين السالفه الذكر.

و يعـود القرآن فى الآيــات(۱۰۵-۱۱۱)الى الحـديث عـن قيم السـياسه الاسـلاميه و كيـف انهـا دوله القـانون البعيـده عن الفسـاد الادارى،فينهى الرسول عن الجدل مع الخائنين و المختانين الذين يحاولون تضليل الرسول.

و فى الآيـات التـاليه(۱۱۷-۱۲۶)يتنـاول القرآن جـوانب شـتى عن النفـاق منهـا أصـل النفـاق،و دور الشـيطان فيه بأمـانيه الخلابه الكاذبه،و اساطيره الساذجه.

و بعـد أن يـبيّن القرآن فی الآيـات(١٣١-١٣۴)ضـروره التقـوی و الالـتزام، و اقـامه القسـط و الشـهاده للّه لکی يزکی النفوس عن عوامل النفاق،بعدئذ يعود مره اخری فی الآيات(١٣۶-١۴۶)ليبين أن الايمان حقيقه بسـيطه لا تتجزأ،و ان الذين يفرقون بين فکره و اخری فی الايمان فهم کفار و منافقون يخادعون أنفسهم، لأنهم يتخذون الکافرين أولياء،و هم فی الدرک الأسفل من النار.

ثم يبين السبيـل الوحيـد لإخراج هؤلاء من حالتهم و هو التوبه و الإصـلاح،ثم الشـکر و الايمان،و عـدم الجهر بالسوء من القول،و ابتغاء مرضاه اللّه بالأعمال الصالحه.

و يکرر القرآن و بتفصـيل أکثر هـذه المره بيـان بسـاطه الايمـان،و انه حقيقه لا تتجزأ،و يبين فی الآيـات(١۵٠-١۶٠)ان الذين لا يؤمنون،بحجه عـدم الاقتناع هم أناس کاذبون و مثلهم بنو إسـرائيل حين سألوا موسـی أن يريهم اللّه جهره،ثم اتخـذوا العجل بعد أن توضـحت لهم الآيـات،و انهم نقضوا الميثـاق،و اختـاروا الکفر بآيات اللّه،و اتهموا مريم بالفحشاء،و ادعوا أنهم قتلوا عيسـی،و ظلموا أنفسهم و أخذوا الربا.

و فی الآيات الاخيره من السوره يتحدث القرآن عن ضـروره الايمان باللّه و بالرسول بشکل کامل،و الاعتصام بالنور الذی أنزله،و کمثل لهذا الايمان يذکر القرآن حکما فی الإرث و ينهی به سوره النساء.

هذا الاسـتعراض الموجز لتفصـيل سوره النساء،يکشف لنا الخيط الذی يربط بين موضوعاته الرئيسـيه،و هو المجتمع الاسلامی بما فيه من قيم الحق،و العداله و التقوی،و بما فيه من حقوق المرأه،و اليتيم،و السـفيه و الفقير،و الدفاع عن المستضعفين و المحرومين و ما له من قياده حکيمه،و سياسيه واضحه،و إراده

حازمه،معتمده علی قواعد راسخه من ایمان الامه بالرسول و بأولی الأمر من بعده.

و بـالطبع لاـ یتحـدث القرآن عن المجتمع المسـلم بطریقه علمیه فحسب، بـل و تربویه أیضا،فنکشف من خلال حـدیثه المبارک کیف نبنی هذا المجتمع و ما هی الدواعی التی تدفعنا الی اختیاره؟

ص:۸

[سوره النساء (۴): آیه ۱]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ . يٰا أَيُّهَا اَلنّٰاسُ اِتَّقُوا رَبَّكُمُ اَلَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وٰاحِدَةٍ وَ خَلَقَ مِنْهٰا زَوْجَهٰا وَ بَثَّ مِنْهُمٰا رِجٰالاً كَثِيراً وَ نِسٰاءً وَ اِتَّقُوا اَللّٰهَ اَلَّذِي تَسٰائَلُونَ بِهِ وَ اَلْأَرْحٰامَ إِنَّ اَللّٰهَ كٰانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً (۱)

اللغه

۱[بث]:نشر.

[رقیبا]:من الترقب و هو الانتظار و یکون بمعنی الحفیظ الذی لا یغیب عنه شیء.

ص:۹

الخطوط العامه للمجتمع الاسلامی

بينات من الآيات:

اشاره

المجتمع الاسـلامی مبنی علی قاعده التوحيد،و شـعار التوحيد اسم اللّه، و المجتمع الجاهلی طافح علی غرور الطاغوت،و شعارهم اسم الطاغوت.

و توحيـد اللّه يعطی المجتمع الاسـلامی فضـلا من اللّه،و رحمه شـامله و دائمه، و شـعار الرحمه الشـامله(الرحمن)و شـعار الرحمه الدائمه(الرحيم).

و هذا يعنی ان المجتمع الاسلامی:مستقر و مستمر،متكامل و دائم،فهو خير و رفاه،و تقدم لجميع الناس فی جميع العصور.

الالتزام المبدئی

[۱]الخط العام الـذی تتفرع عنه سائر الخطوط المميزه للمجتمع الاسـلامی انه مجتمع ملتزم بمنهـج اللّه،و قـد عبر القرآن عن هـذه الفكره فی آيه: (وَ أَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوىٰ) فهو مجتمع مبدئی،و حين نقول مجتمع مبدئی فاننا نتصور شرطين أساسين

ص:۱۰

هما:

أ)انه لا يؤمن بالفوضى فى أى حقل من حقول المجتمع،بل يؤمن بالتنظيم فى كافه الابعاد الخاصه و العامه.

ب)انه ينطلق فى تنظيمه من بصائر سماويه ليست فيها تحديدات قوميه أو اقليميه أو عنصريه أو غيرها..لان السماء هى التى اوحت بهذه البصائر.

من هنا جاءت الكلمه الاولى فى هذه السوره نداء الى الناس:ان يتقوا اللّه ليبنوا على أساسه مجتمعهم الفاضل..

يَا أَيُّهَا النّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ .

و معروف ان الخطـاب للنـاس الـواقعيين الـذين يتحركـون فى أرض الواقع، و ليس الخطـاب الى الإنسـان أو البشـر كصـفات تجريـديه،ان هـذا الخطـاب تعبير عن روح الواقعيه فى الرؤيه الاسـلاميه،و بالتـالى روح توجيه الحيـاه مباشـره،و من دون الالتفات حولها بمسائل نظريه.

و السؤال هو:لمـاذا قـال اللّه«ربكم»؟ الجواب:ان كلمه الرب تـدل على معنى التربيه فهى أقرب الى التشـريع الـذى يـأمر اللّه عباده باتباعه،و لذلك ترى ان القرآن،لا يكتفى بكلمه رب،بل يضيف قائلا:

اَلَّذِى خَلَقَكُمْ ليذكرنا بأن اللّه الذى ربّاكم من بعد أن خلقكم،أجدر أن يتبع الناس تشريعه و يتقونه فى حياتهم.

ص:۱۱

التوحيد منطلق التشريع:

و الميزه الاساسیه فی تشریع السماء،انطلاقه من مبدأ التوحید،و الذی یعنی فیما یعنی الارتفاع فوق کل الحواجز المصطنعه بین الناس،اننا نفهم الیوم و بعد ان اکتشفنا ان أکثر الویلات التی أصابت البشریه و لا تزال تصیبها حتی الیوم آتیه من هذه الحواجز.

(العنصریات،القومیات،الاقلیمیات،الطبقیات و...و...و هکذا..)نحن نعرف انها هی العقبات الحقیقیه فی طریق الإنسان الی السعاده و التقدم.

و لذلک یرکز القرآن علی ان اللّه خلق الناس جمیعا من نفس واحده و یقول:

اَلَّذِی خَلَقَکُمْ مِنْ نَفْسٍ وٰاحِدَهٍ وَ خَلَقَ مِنْهٰا زَوْجَهٰا وَ بَثَّ مِنْهُمٰا رِجٰالاً کَثِیراً وَ نِسٰاءً

النساء کالرجال:

و السؤال:کیف خلق اللّه زوج الإنسان من نفسه؟و هل یعنی هذا ان الإنسان الاول کان ذا طبیعه مزدوجه،ثم انفصلت طبیعه الذکر عن طبیعه الأنثی فی سائر الأجیال؟ أم هل یعنی هذا ان اللّه خلق آدم علیه السلام ثم انتزع من اضلعه صلصالا و خلق منه حواء؟ لا اعلم ذلک بالضبط،و لکن هذا التعبیر یوحی بفکره علمیه تهمنا فی تلاوه آیات القرآن و هی ان الذکر و الأنثی جنس واحد،و لیست الأنثی أقل شأنا من الذکر،لا فی الطبیعه و لا فی منهج اللّه،و قد تکررت فی آیات القرآن هذه الفکره

مثل قوله تعالى:

«خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً» و قد نسف القرآن هذه الفكره العنصريه الجنسيه(كما اسميها)التى تقول:

ان للذكر سلطه مطلقه على الأنثى بسبب انه من جنس أعلى،و الفارق بينه و بينها يشبه تماما الفارق بين الإنسان و الحيوان!! لقد نسف القرآن هذه الفكره و بيّن ان كل الحواجز بين الناس مصطنعه، و لا رصيد لها من الحق أبدا.

الاسره تنظيم ايجابى:

بين القرآن إن فكره التساوى بين الناس لا تعنى الانفلات و الفوضى،انما يجب ان يكون داخل المجتمع تنظيم متقن،و نقبل بالحواجز بقدر أدائها لعمليه التنظيم الايجابى،فالاسره مثلا كأطار ينظم علاقه مجموعه بشريه بأخرى، و يجعلها أكثر تعاونا و تفاعلا...مقبوله و ضروره،و لكن الاسره كأطار لضرب الأسر الثانيه و اشاعه العصبيه و القبليه بين المجتمع مرفوضه أساسا.

و لذلك أكد القرآن على الاسره و قال:

وَ اتَّقُوا اللّهَ الَّذِى تَسائَلُونَ بِهِ وَ الْأَرْحامَ أى اتقوا اللّه و اتقوا الأرحام.

ان التعاون مع الاسره يجب ان يبقى ضمن اطار منهج اللّه،فلا يصبح وسيله للفساد و الرشوه،و غصب الحقوق،و اشاعه الفحشاء،لذلك بدأ الحديث بذكر

تقـوى اللّه و جعلهـا ركيزه البنـاء الاجتمـاعى،ثـم بيـن اهميه الأرحـام(الأقـارب) و تعـبير القرآن ب(تسـاءلون به)يعنى ان اللّه هو المقيـاس النهـائى و الأـخير الـذى يمكن ان يجعل ركيزه التعاون الاجتماعى،فاذا تساءل أحـد شـيئا من آخر هل فعله أم لا،كيف يستطيع ان يثبت انه سيقول له الصحيح أم يكذب عليه.

لا طريق له الى ذلك الا ان يحلفه باللّه،و يستثير ضميره و فطرته المؤمنه باللّه، و يجعل من ذاته على ذاته رقيبا.

ان المجتمع الـذى يتمتع بالايمـان،هو القـادر على إيجاد تعاون حقيقى بين ابنائه على أساس من العـداله و المساواه،و ان لم يكن المجتمع مؤمنا فكل الانظمه الموضوعه تصبح حبرا على ورق يتلاعب بها الناس كما يتلاعب الرياضيون بالكره.

من هنا لا بد ان يبنى المجتمع المسلم على ركيزه الايمان و التقوى.

إِنَّ اللّٰهَ كٰانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً

قيم المجتمع الاسلامى:

ان هذه الايه استهلت الحديث عن المجتمع الاسلامى ببيان قيم المجتمع بايجاز و هى:

أ)تقوى اللّه.

ب)المساواه التامه بين جميع عباد اللّه الذكر منهم و الأنثى.

ج)اعتماد التنظيم الاسرى(و غيره)فى اطار تقوى اللّه.

ص:۱۴

[سوره النساء (۴): الآيات ۲ الى ۱۰]

اشاره

وَ آتُوا اَلْيَتٰامىٰ أَمْوٰالَهُمْ وَ لاٰ تَتَبَدَّلُوا اَلْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَ لاٰ تَأْكُلُوا أَمْوٰالَهُمْ إِلىٰ أَمْوٰالِكُمْ إِنَّهُ كٰانَ حُوباً كَبِيراً (٢) وَ إِنْ خِفْتُمْ أَلاّٰ تُقْسِطُوا فِي اَلْيَتٰامىٰ فَانْكِحُوا مٰا طٰابَ لَكُمْ مِنَ اَلنِّسٰاءِ مَثْنىٰ وَ ثُلاٰثَ وَ رُبٰاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاّٰ تَعْدِلُوا فَوٰاحِدَةً أَوْ مٰا مَلَكَتْ أَيْمٰانُكُمْ ذٰلِكَ أَدْنىٰ أَلاّٰ تَعُولُوا (٣) وَ آتُوا اَلنِّسٰاءَ صَدُقٰاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً (۴) وَ لاٰ تُؤْتُوا اَلسُّفَهٰاءَ أَمْوٰالَكُمُ اَلَّتِي جَعَلَ اَللّٰهُ لَكُمْ قِيٰاماً وَ اُرْزُقُوهُمْ فِيهٰا وَ اُكْسُوهُمْ وَ قُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً (۵) وَ اِبْتَلُوا اَلْيَتٰامىٰ حَتّٰى إِذٰا بَلَغُوا اَلنِّكٰاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوٰالَهُمْ وَ لاٰ تَأْكُلُوهٰا إِسْرٰافاً وَ بِدٰاراً أَنْ يَكْبَرُوا وَ مَنْ كٰانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَ مَنْ كٰانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذٰا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوٰالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَ كَفىٰ بِاللّٰهِ حَسِيباً (۶) لِلرِّجٰالِ نَصِيبٌ مِمّٰا تَرَكَ اَلْوٰالِدٰانِ وَ اَلْأَقْرَبُونَ وَ لِلنِّسٰاءِ نَصِيبٌ مِمّٰا تَرَكَ اَلْوٰالِدٰانِ وَ اَلْأَقْرَبُونَ مِمّٰا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَفْرُوضاً (٧) وَ إِذٰا حَضَرَ اَلْقِسْمَةَ أُولُوا اَلْقُرْبىٰ وَ اَلْيَتٰامىٰ وَ اَلْمَسٰاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَ قُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً (٨) وَ لْيَخْشَ اَلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعٰافاً خٰافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اَللّٰهَ وَ لْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٩) إِنَّ اَلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوٰالَ اَلْيَتٰامىٰ ظُلْماً إِنَّمٰا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نٰاراً وَ سَيَصْلَوْنَ سَعِيراً (١٠)

اللغه

۲[حوبا]:إثما و الحوبه الحزن.

۳[تقسطوا]:تعدلوا و تنصفوا.

[تعولوا]:تميلوا عن الحق و تجوروا و قيل عال يعول يحتاج و يفتقر.

۴[صدقاتهن]:مهورهن.

[نحله]:عطيه من غير المثامنه يقال نحلت الرجل إذا و هبت له نحله.

[هنيئا مريئا]:الهنيء الطيب المساغ و المرىء المحمود العاقبه يقال هنأني الطعام و مرأني أى صار لى دواء و علاجا شافيا.

ص:۱۵

۵[قیاما]:العماد و السناد لما یعمد و یسند به.

۶[انستم]:الإیناس الأبصار من قوله«انس من جانب الطور نارا» و قیل انستم ای أحسستم بمعنی وجدتم.

[إسرافا]:تجاوزا للحد المباح الی ما لم یبح.

[بدارا]:مسارعه.

[حسیبا]:محاسبا و شاهدا.

ص:۱۶

هدی من الآیات:

النظام الاقتصادی وجه بارز من أوجه المجتمع،و لذلک بدأ القرآن حدیثه عن المجتمع الاسلامی ببیان النظام الاقتصادی فی هذا المجتمع،الذی یکفل الملکیه الفردیه فی اطار من الرقابه الاجتماعیه،فهو یشجع الناس علی العمل و الانتاج، و تطویر التجربه الذاتیه فی التنعم بالحیاه.

کل ذلک عن طریق کفاله الملکیه الفردیه،کما انه یحافظ علی دور المال البنّاء لئلا یتحول الی صخره فی طریق الحریه الاجتماعیه أو القیم السامیه للمجتمع.

من هنا نجد ان الآیه الأولی ترکز علی ضروره المحافظه علی حقوق الیتامی و النساء لأنهما العضوان الضعیفان فی المجتمع،و لهذا اقتضی الترکیز علیهما، و المجتمع الذی یحافظ علی حقوق الضعفاء یحافظ طبیعیا علی حقوق الأقویاء.

و لکن القرآن عاد فبیّن حدود الملکیه الفردیه فی الآیه الخامسه،و منع إعطاء

السفهاء اموال المجتمع،لان السفهاء يخالفون فلسفه المال و هى تنظيم حياه المجتمع به،و من هذا المنطلق اشترط الرشد فى اليتيم الذى يبلغ،و يريد ان يتسلم أمواله.

و تحدث بعدئذ عن الإرث باعتباره من توابع الملكيه الفرديه،و ركز حديثه على ضروره المحافظه على حقوق الضعفاء«النساء و الأيتام و اولو القربى و اليتامى و المساكين».

و خلال الحديث فى الآيتين(۴/۳)تحدث القرآن عن الزواج تمهيدا للحديث عن حقوق المرأه فى امتلاك المهر،و ضروره المحافظه عليها.

بينات من الآيات:

اشاره

[۲]اليتيم هو أضعف الحلقات الاجتماعيه،و الولى عليه(الوصى)هو أقوى الحلقات فى قدرته على أكل أمواله من دون رادع اجتماعى،لذلك حذر القرآن الأولياء من ظلم اليتيم ظاهرا أو خفيا،و الظلم الخفى هو تبديل أموال اليتامى بالتى هى أسوأ لحساب الولى عليهم.

و من يأكل أموال اليتامى يتعود على التبذير،لأنه يجد أمامه مالا لا تعب فيه فيلتهمه بدون تدبير،فاذا انتهت أموال اليتيم دفعته عاده التبذير الى تبديد أمواله الخاصه بذات الكيفيه السابقه،فاذا به يخسر ماله الحلال أيضا.من هنا قال اللّه تعالى:

وَ آتُوا الْيَتامىٰ أَمْوالَهُمْ وَ لاٰ تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَ لاٰ تَأْكُلُوا أَمْوالَهُمْ إِلىٰ أَمْوالِكُمْ

ص:۱۹

اى انكم تبدأون بأكل أموال اليتيم و تنتهون بأكل أموالكم:

إِنَّهُ كانَ حُوباً كَبِيراً انه ظلم عظيم.

علاج اليتم:

[۳]الحل مشكله اليتيم وضع الإسلام حلا اجتماعيا هو الزواج بالأرمله«صاحبه الأيتام».

و من هنا نعرف ان فلسفه تعدد الزوجات هى حل لبعض المشاكل الاجتماعيه.

ذلک انه لا يوجد شاب يقدم على الزواج ابتداء من أرمله عجوز،الا إذا جعلها زوجته الثانيه لکى يسترها و يحافظ على حقوقها و حقوق ابنائها،لان الزواج من الام يعطى الزوج دافعا نفسيا الى المحافظه على حقوق أولادها(اليتامى)باعتبار انهم سوف يصبحون كأولاده بالنسب،و سوف ينفعونه عند الكبر،و يرفعون اسمه عند الناس و هكذا.

من هنا ربط القرآن بين الخوف من ظلم اليتيم و بين تعدد الزوجات فقال:

وَ إِنْ خِفْتُمْ أَلاّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتامى فَانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ مَثْنى وَ ثُلاثَ وَ رُباعَ ثم عاد و حذر من الزواج بنيه سيّئه،أو مع عدم القدره على الوفاء بحقوق الزوجيه فقال:

ص:۲۰

فَإِنْ خِفْتُمْ أَلّا تَعْدِلُوا فَوٰاحِدَةً و عـدم العداله قد يكون بالاهتمام بزوجه و ترك الاخريات كالمعلقات لا يحظين بحقوق الزوجيه الجنسيه و الاقتصاديه و الاجتماعيه،و لا هن مطلقات حتى يتزوجن غيره.

و من الناس من يتزوج أرمله بهـدف التهام أموالها ثم يتركها تعانى الأمرين، و لقـد حذّر القرآن من ذلك و أمر هؤلاء بالاقتصار على زوجه واحده.

أَوْ مٰا مَلَكَتْ أَيْمٰانُكُمْ أى التسرى بالإماء بهـدف تفريغ الشـهوه الجنسـيه،و الامتناع عن الفساد، و هـذا جانب من واقعيه التشـريع الاسلامى الذى يمنع بشده الفوضى الجنسيه،و من جانب آخر يفتح طريق اللذه الحلال بالزواج أو الملك.

ذٰلِكَ أَدْنىٰ أَلّا تَعُولُوا فالاكتفاء بزوجه واحده،أو بالتسرى بالإماء،يمنع الميل عن الحق الى الباطل،بينما تعدد الزوجات قد يتسبب فى الظلم و الفقر و المسكنه.

المهر حق المرأه:

[۴]بعـد الحـديث عن اليتيم جـاء دور حقوق المرأه،و أبرزها المهر،لأنه مال ثابت تمتلكه أغلب النساء.فأمر الإسـلام بإعطاء المهر للنسـاء،و بيّن بـذلك ان المرأه تمتلك تماما كالرجل،سواء كانت متزوجه أم عانسا،و قـد كانت الانظمه البشـريه تنفى حق المرأه فى الامتلاك خصوصا المتزوجه،و قريبا جـدا اسـتطاعت المرأه الغربيه ان تحافظ على حريتها فى التملك بعـد الزواج،بالرغم من ان

الإسلام أعطاها هذا الحق منذ اليوم الاول.

و الواقع ان الجاهليه لا تستطيع إلّا ان تظلم الضعفاء،و المرأه هی العضو الضعيف فی المجتمع،و لا يزال العالم الغربی يظلمها فی شخصيتها و حقوقها العامه.

و يسمی القرآن المهر صداقا ليبيّن فلسفته التی هی:المصادقه علی عهد الزوجيه،ذلک ان الرجل يغری فتاه بحلم الزواج،و عند ما يقضی و وطره منها يتركها للفحشاء،فكان عليه ان يقدم دليلا علی صدق حبه لها،و حسن نيته فی ادعاء الزواج،و ذلک الدليل هو المهر،من هنا قال ربنا:

وَ آتُوا النِّسٰاءَ صَدُقٰاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً النحله هی:العطاء،أی قدموا لهن المهر عطاء لا رجعه فيه،و الهنیء ما يسبب الراحه النفسيه،و المریء ما يسبب الراحه الجسديه.

و لا ريب ان المال الحلال الذی يأكله الإنسان براحه نفسيه يعطی الجسد راحه جسميه أيضا لطبيعه العلاقه بين النفس و الجسم.

البعد الاجتماعی فی الحق المالی:

[۵]المال حق من حقوق الفرد،و لكنه ملک لجميع الناس،و للناس أن يفرضوا الرقابه عليه لئلا يصبح أداه فساد،و لذلک فان السفهاء يحرمون من حق التصرف فی أموالهم،لان تلک الأموال هی أموال المجتمع قبل أن تكون للسفهاء.

و لأن المال وضع ليؤدی دور المنظم لا نشطه المجتمع،و الحافظ لجهود الناس،

فاذا استغله صاحبه فی الفوضی و الفساد و السلبیه و السرف فانه یفقد دوره و یصیب الضرر جمیع أبناء المجتمع،و لنتصور سفیها بدأ یشتری البضاعه بأضعاف ثمنها،انه سوف ینشر الخلل فی موازین السوق،و بالتالی یصاب الکثیرون من المحتاجین الی تلک البضاعه بالضرر الفادح.

من هنا یخط الإسلام خطا وسطا بین الرأسمالیه و الشیوعیه،فیحفظ للفرد حقوقه،و یعطیه دوافع للإنتاج و مجالا للاختیار و التحرک،کما یحفظ للمجتمع حقوقه فی الرقابه علی نشاطات الفرد،و توجیهها حسب مصلحه الجمیع و من أجل البناء و الازدهار.

من هنا تجد التعبیر القرآنی یؤکد علی ان المال ملک للجمیع بالرغم من ان السفیه مختص به أکثر من غیره،و بین فلسفه ذلک بقوله:

وَ لاٰ تُؤْتُوا السُّفَهٰاءَ أَمْوٰالَکُمُ الَّتِی جَعَلَ اللّٰهُ لَکُمْ قِیٰاماً هذا الغنی الذی یصرف أموال المجتمع علی متاعه الخاصه،بینما کان علیه ان یصرفها فی بناء المشاریع العمرانیه و الانسانیه،و هذا المستکبر الذی یستثمر ثروته فی محاربه الرساله و مقاومه اصلاحاتها،و هذا المترف الذی یشجع الفاحشه و یبنی دور اللهو و البغاء و المخدرات،و هذا المفسد الذی یحتکر التجاره لذاته، و یعمل بطریقه انانیه تضر بمصلحه سائر التجار و الجماهیر،انهم جمیعا یتجاوزون حدّهم،و یتصرفون فی أموال المجتمع بما یخالف النظام الذی یستقیم بالمال، و یضارون بالناس.و هنا علیهم ان یقفوا ضدهم و یحجروا علی أموالهم و لا یعنی ذلک مصادره أموالهم حتی لا یعطی ذلک مبررا لبعض المنتفعین بالحکومات ان یتهموا الناس ببعض هذه التهم لمصادره أموالهم:کلا...بل یعنی وضع أموالهم تحت رقابه هیئه مخلصه تقوم هی باستثمارها فی الصالح العام،و تضع الأرباح فی

حسابهم،بعد أن تأخذ من أموالهم قدرا معروفا لقاء أتعابها.

و تقوم الهيئه بتوجيه هؤلاء نفسيا،و تحاول تربيتهم على الأفكار التجاريه السليمه تمهيدا لإصلاحهم،و اعاده أموالهم إليهم.

لذلك تجد القرآن يستخدم كلمه(فى)و يقول:

وَ ارْزُقُوهُمْ فِيهٰا وَ اكْسُوهُمْ بينما كان من المنتظر ان يستعمل كلمه(من)و هذا التغيير جاء للدلاله على ضروره صرف هذه الأموال فى مصلحه السفهاء،و الرزق هو مثل للحاجه الطبيعيه،بينما الكسوه مثل للحاجه الكماليه(الاجتماعيه).

ثم قال ربنا عن الجانب التربوى لهؤلاء:

وَ قُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً حتى لا تتحطم نفسيتهم،و لا يعودوا يصلحون للحياه أبدا.

يبقى ان نقول:ان السفيه هو الذى يخالف مصالحه الحقيقيه حسب رؤيه الشرع،و مقياس العرف الصالح.و القيام استخدم فى القرآن بمعنى النظام،أو ما به استمرار الشىء و بقاؤه.

المراهقه الفكريه جذر السفه...

[۶]السفه قد يكون بسبب آفه عقليه أو نفسيه تطرأ على صاحبه،و قد يكون بسبب المراهقه،و عن هذه الثانيه تتحدث الآيه:

ص:۲۴

وَ ابْتَلُوا الْيَتامى حَتّى إِذا بَلَغُوا النِّكاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوالَهُمْ فانما يعاد لليتيم أمواله بعد أن يختبر،ليكشف بلوغه سن النكاح،و تمتعه بالرشد الكافى للتصرف فى أمواله بما يخدم مصلحته و مصلحه مجتمعه.

و يؤكد القرآن هنا مره اخرى ضروره المحافظه على حقوق اليتامى و يقول:

وَ لا تَأْكُلُوها إِسْرافاً وَ بِداراً أَنْ يَكْبَرُوا ذلك ان الذى يأكل أموال اليتيم يسرف فيها،و يسابق الزمن فى التهامها قبل ان يكبر اليتيم فيطالبه بالأموال،بدارا:أى مبادره قبل ان يكبر اليتيم.

و لكن مع ذلك يبقى لولى اليتيم الحق فى أخذ أجرته فى المحافظه عليه و على أمواله ان كان فقيرا أو محتاجا الى ذلك.

وَ مَنْ كانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَ مَنْ كانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَ كَفى بِاللّهِ حَسِيباً اى ان الأهم من الاشهاد هو الوازع النفسى الذى يرى اللّه عليه حسيبا، فيمنعه عن أكل مال اليتيم.

الإرث لماذا؟لمن؟كيف؟

[۷]من مظاهر الاقتصاد الموجه الذى يؤمن به الإسلام هى حقوق الإرث، و التى تشجع الإفراد على العمل و الانتاج باثاره غريزه حب الأبناء لديهم،حتى إذا كان الفرد غنيا عن المال بالنسبه الى حاجاته الخاصه،عمل من أجل إسعاد

ابنائه بعد موته.

ثم ان الإنسان معرض للموت فى أيه لحظه،و قد تراوده فكره خبيثه فيفكر:

لما ذا اعمل و لمن؟ و بالرغم من بعض العادات و الانظمه الجاهليه التى منعت الإرث عن النساء،يؤكد القرآن هنا على مخالفه تلك العادات و الانظمه و يقول:

لِلرِّجالِ نَصِيبٌ مِمّا تَرَکَ الْوالِدانِ وَ الْأَقْرَبُونَ،وَ لِلنِّساءِ نَصِيبٌ مِمّا تَرَکَ الْوالِدانِ وَ الْأَقْرَبُونَ مِمّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ کَثُرَ نَصِيباً مَفْرُوضاً أى لكل رجل أو امرأه حق مفروض فى تركه الميت القريب منهما فى الرحم.

[۸]و للمجتمع حق معلوم فى تركه الميت..

وَ إِذا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبى ممن لا تربطهم بالميت صله قرابه تقتضى توريثهم.

وَ الْيَتامى وَ الْمَساكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَ قُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً و القول المعروف هنا و فى كل مناسبه تشبه الإرث يعنى:ضروره العمل من أجل رفع مستوى الطبقات المحرومه نفسيا وتر بويا حتى لا يشعروا بالذل و المهانه،بل و لكى يساعدهم مستواهم الرفيع على محاربه واقعهم،و العمل الجاد على إصلاحه و تطويره.

فهذا اليتيم الذى اضطرته الحاجه المؤقته الى ان يحضر قسمه الإرث،يرمق ببصره تركه الأموات،انه سيصبح غدا شابا قويا قادرا على العمل البناء،لو لم

تحطم نفسيته أيام فقره و حاجته،و لو لم تحطم سمعته امام الناس و ينظر اليه كطبقه هابطه و منبوذه فى المجتمع،و كذلك المسكين العاطل عن العمل اليوم قد يجد غدا عملا يناسبه،فيصبح عضوا فعالا فى جسم المجتمع ان لم يشعره المجتمع أيام مسكنته بأنه من طبقه منبوذه.

من هنا يركز القرآن على ضروره إعطاء الطبقات المحرومه جرعات روحيه بالاضافه الى توفير الحاجات الماديه لهم،لتساعدهم تلك الجرعات على مقاومه واقعهم بأنفسهم،أو لا أقل لكى يحظوا بالسعاده من تقدير المجتمع لهم،و عدم النظر الى وضعهم الاقتصادى المنحط.

كما تدين تدان:

[۹]و بمناسبه الحديث عن الإرث بيّن القرآن مره أخرى حكم اليتيم باعتبار ان كثيرا من الأموات يتركون ذريه صغارا من ورائهم و يتعرض هؤلاء لطمع الجشعين،و أخذ القرآن يحرك فينا خوفنا الفطرى من الموت،و ضياع ذريتنا من ورائنا و قال لو لم يحترم المجتمع حقوق اليتامى فكل فرد مهدد ان تغتصب حقوق يتاماه غدا كما يغتصب هو حق اليتامى اليوم.إذا...فان لم يكن للّه فلأنفسنا نحافظ على حقوق اليتامى.

وَ لْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعافاً خافُوا عَلَيْهِمْ اذن فلا يظلمون ذريه الناس ما داموا هم أصحاب ذريه يخشون عليهم لو ماتوا...أ فلا يعرفون ان من طرق باب الناس طرق بابه.

فَلْيَتَّقُوا اللّهَ وَ لْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً

ص:۲۷

فلا یخالطون فی حساب الإرث و یقسمونه بحیث یظلمون حق الیتامی.

[۱۰]ثم هدد القرآن الحکیم الذین یأکلون أموال الیتامی و قال:

إِنَّ الَّذِینَ یَأْکُلُونَ أَمْوٰالَ الْیَتٰامیٰ ظُلْماً إِنَّمٰا یَأْکُلُونَ فِی بُطُونِهِمْ نٰاراً وَ سَیَصْلَوْنَ سَعِیراً ما هذه النار التی یأکلونها؟هل هی هذه المواد الحرام التی تتحول-بقدره اللّه-الی نار لاهبه فی یوم القیامه؟أم انها الآلام النفسیه و من ثم الجسدیه التی تلاحقهم بسبب ظلمهم الیتامی؟أم انها الانحرافات الاجتماعیه التی سوف تحرق حضارتهم و تخرب عمرانهم عاجلا أم آجلا؟ المهم انها نار فی الدنیا و سعیر فی الآخره...و کفی بذلک رادعا عن الاقتراب من حق الضعفاء.

ص:۲۸

[سوره النساء (۴): الآیات ۱۱ الی ۱۴]

اشاره

یُوصِیکُمُ اَللّهُ فِی أَوْلادِکُمْ لِلذَّکَرِ مِثْلُ حَظِّ اَلْأُنْثَیَیْنِ فَإِنْ کُنَّ نِساءً فَوْقَ اِثْنَتَیْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثا ما تَرَکَ وَ إِنْ کانَتْ واحِدَةً فَلَهَا اَلنِّصْفُ وَ لِأَبَوَیْهِ لِکُلِّ واحِدٍ مِنْهُمَا اَلسُّدُسُ مِمّا تَرَکَ إِنْ کانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ یَکُنْ لَهُ وَلَدٌ وَ وَرِثَهُ أَبَواهُ فَلِأُمِّهِ اَلثُّلُثُ فَإِنْ کانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ اَلسُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِیَّةٍ یُوصِی بِها أَوْ دَیْنٍ آباؤُکُمْ وَ أَبْناؤُکُمْ لا تَدْرُونَ أَیُّهُمْ أَقْرَبُ لَکُمْ نَفْعاً فَرِیضَةً مِنَ اَللّهِ إِنَّ اَللّهَ کانَ عَلِیماً حَکِیماً (۱۱) وَ لَکُمْ نِصْفُ ما تَرَکَ أَزْواجُکُمْ إِنْ لَمْ یَکُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ کانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَکُمُ اَلرُّبُعُ مِمّا تَرَکْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِیَّةٍ یُوصِینَ بِها أَوْ دَیْنٍ وَ لَهُنَّ اَلرُّبُعُ مِمّا تَرَکْتُمْ إِنْ لَمْ یَکُنْ لَکُمْ وَلَدٌ فَإِنْ کانَ لَکُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ اَلثُّمُنُ مِمّا تَرَکْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِیَّةٍ تُوصُونَ بِها أَوْ دَیْنٍ وَ إِنْ کانَ رَجُلٌ یُورَثُ کَلالَةً أَوِ اِمْرَأَةٌ وَ لَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِکُلِّ واحِدٍ مِنْهُمَا اَلسُّدُسُ فَإِنْ کانُوا أَکْثَرَ مِنْ ذلِکَ فَهُمْ شُرَکاءُ فِی اَلثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِیَّةٍ یُوصی بِها أَوْ دَیْنٍ غَیْرَ مُضَارٍّ وَصِیَّةً مِنَ اَللّهِ وَ اَللّهُ عَلِیمٌ حَلِیمٌ (۱۲) تِلْکَ حُدُودُ اَللّهِ وَ مَنْ یُطِعِ اَللّهَ وَ رَسُولَهُ یُدْخِلْهُ جَنّاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا اَلْأَنْهارُ خالِدِینَ فِیها وَ ذلِکَ اَلْفَوْزُ اَلْعَظِیمُ (۱۳) وَ مَنْ یَعْصِ اَللّهَ وَ رَسُولَهُ وَ یَتَعَدَّ حُدُودَهُ یُدْخِلْهُ ناراً خالِداً فِیها وَ لَهُ عَذابٌ مُهِینٌ (۱۴)

اللغه

ص:۲۹

۱۲[کلاله]:أصل الکلاله الاحاطه و منه الإکلیل لاحاطته بالرأس و منه.

الکل لاحاطته بالعدد فالکلاله تحیط بأصل النسب الذی هو الولد و الوالد.

ص:۳۰

الإرث بين الاهداف و الالتزام

هدى من الآيات:

فى الآيات هذه بعض احكام الإرث،و التى تكشف ما وراءها من النظره الاسلاميه فى الطبقات المتدرجه للتنظيم الأسرى،و للحقوق المتبادله فيها.

و الإرث عموما رابطه وثيقه تشد أبناء الاسره ببعضها،كما انه فى الاقتصاد الاسلامى طريقه لتوزيع الثروه فى المجتمع.

و أهم حكم يعكسه أحكام الإرث فى هذه الآيات و أشده إثاره للجدل هو:

تفضيل الذكر على الأنثى فى أغلب موارد الإرث،إذ ان الإسلام يعطى الذكر دورا قياديا أكبر فى الاسره،و تحميله نفقات العائله دون الأنثى فيضاعف نصيبه من الإرث و مع ذلك فانه عند التعمق نجد ان المرأه تشارك الرجل فى ارثه،دون ان يشاركها الرجل فيتعادلان،أو تميل كفه المرأه قليلا فتحصل على قدر أكبر من الإرث.

و تتحدث الآيه الاولى عن ارث أبناء العائله التى تتكون من الوالدين و الأبناء

و الاخوه.

بینما تتحدث الآیه الثانیه عن العلاقه الزوجیه و کیفیه تبادل الزوجین الإرث من بعضهما.

اما الآیتان الثالثه و الرابعه،فهی تبین ضروره الالتزام الدقیق بأحکام اللّه التی یسمیها القرآن بالحدود،و یوعد من تجاوزها بأشد العذاب.

بینات من الآیات:

حکمه الإرث:

[۱۱]انطلاقا من طبیعه الدور الذی یکلف الذکر به فی الحیاه العامه و فی الحیاه الزوجیه و هو دور الإنفاق و التوجیه الأشد صعوبه و الأکثر جهدا،فقد حدد القرآن للذکر ضعفی نصیب الأنثی من الإرث،و عبر عن ذلک بقوله تعالی:

یُوصِیکُمُ اللّهُ فِی أَوْلاٰدِکُمْ لِلذَّکَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَیَیْنِ و یبدو هذا التعبیر رؤیه حیاتیه أکثر من ان یکون قاعده قانونیه.

فالذکر فی طبیعه و دوره الفطری الذی خلق له،هو ان یصبح له مثل حظ الأنثیین فی المجال الاقتصادی،کما ان الأنثی تملک مثل حظ الذکرین فی المجالات الاخری العاطفیه و الجاذبیه،و القدره علی التربیه.

و استعاض اللّه(بالوصیه)عن صیغه الأمر فقال(یوصیکم)للدلاله علی ان فی ذلک فائده کبیره لکم قبل ان تکون امرا علیکم.

هذا إذا کانوا أولادا مختلطین من ذکور و إناث،اما لو کن إناثا فقط فإنهن یقتسمن ثلثی الترکه بینهن بالسویه.

ص:۳۲

فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَ إِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ اما بقيه المال:فان كان للميت أبوان فإنهما يرثان الثلث فيما إذا كانتا اثنتين و أكثر،و ترث الام السدس و يرث الأب البقيه فيما إذا كانت واحده فلها النصف، و كذلك يشاركهما الزوجان حسب التفصيل القادم.

اما إذا لم يكن للميت أبوان و لا زوج فان بقيه المال يرد على البنات أو البنت بطريقه الرد.

وَ لِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَ وَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ اما الأب فنصيبه غير محدود فهو يأخذ البقيه الباقيه أنّى كانت قلّت أم كثرت،فمثلا-إذا ماتت البنت فللأم الثلث أن كان للميت أم من دون أولاد و للأب الثلثان الباقيان،اما لو كان الميت امرأه فلزوجها النصف مما تركت، و لأمها الثلث،و يبقى لأبيها السدس فقط.

فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ لان اخوه الميت يحجبون الأم عن سدس إرثها،كل هذه التفاصيل و الفروضات تحسب...

مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا الميت يتصرف فى حدود ثلث المبلغ الذى خلفه لا أكثر،الا إذا رضى الورثه بالزياده فتعطى لمن وصى به حقه،ثم تقسم التركه كذلك بعد الدين.

أَوْ دَيْنٍ

فالدين المتعلق بالميت مقدم على الوصيه،و على الورثه حتى و لو غطى التركه كلها.

ان الإنسان يجب ان يرث أبناؤه كل ثروته دون أبويه،و هما على شفا الموت بينهما أبناؤه يستقبلون الحياه الحافله بالمشاكل و الصعوبات،من هنا يتساءل:لماذا وضع اللّه نصيبا مفروضا للأبوين؟و يجب القرآن الكريم على ذلك:

آبٰاؤُكُمْ وَ أَبْنٰاؤُكُمْ لاٰ تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً فربما يكون الآباء هم أقرب الى نفعكم من الأبناء،فلو لا جهود أولئك و مساعيهم،و لو لا رعايتهم و لو لا خبرتهم لكانت حياتكم جحيما،فلا بد ان تكون لهم مكافأه رمزيه.

فَرِيضَةً مِنَ اللّٰهِ إِنَّ اللّٰهَ كٰانَ عَلِيماً حَكِيماً .

موارد الإرث:

[١٢]بعد الحديث عن القرابه«الرحميه»جاء دور القرابه الزوجيه«السببيه»و بين القرآن ان الزوج يرث نصف تركه الزوجه ان لم يكن لها ولد،و الا فالربع،اما الزوجه فترث الربع ان لم يكن له ولد،و الا فالثمن.

و أكدت الآيه أكثر من مره ضروره أداء دين الميت و احترام وصيته،و أكدتها هنا أكثر من الآيه السابقه باعتبار ان العلاقه الزوجيه لا تكون قويه فيستأثر الوارث منها بالمال دون ان يعير وصيه الميت انتباها.

وَ لَكُمْ نِصْفُ مٰا تَرَكَ أَزْوٰاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كٰانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ

الرُّبُعُ مِمّٰا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهٰا أَوْ دَيْنٍ وَ لَهُنَّ الرُّبُعُ مِمّٰا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كٰانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمّٰا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهٰا أَوْ دَيْنٍ اما ارث الاخوه الذين يسميهم القرآن كلاله،لأنهم فى طبقته يشكلون زينته كالاكاليل فان اخوه الإنسان من الام يرثون هكذا:إذا كان أخ الميت واحدا فانه يورث سدس التركه،اما إذا كان له أخوان أو ثلاثه فان ثلث المال يخصص لهم فيتقاسمونه بينهم بالسويه،لا فرق بين الذكر و الأنثى(اى بين الاخت و الأخ).

لذلک قال ربنا:

وَ إِنْ كٰانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلاٰلَةً أَوِ امْرَأَةٌ اى ان كان ميت يرثه أقاربه على طريقه الكلاله سواء كان الميت رجلا[أو امرأه].

و هناك مثل لارث الكلاله هو ان يكون للميت وارث واحد.

وَ لَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وٰاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ .

اما إذا كان له أكثر من ذلک اى اثنان فزائد فالحكم يختلف:

فَإِنْ كٰانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذٰلِكَ فَهُمْ شُرَكٰاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصىٰ بِهٰا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ انما قدمت الوصيه على الدين لان أكثر الناس يوصون بينما قد لا يكون الأمر كذلک بالنسبه الى الدين.

و الا فان الدين مقدم على الوصيه لان الدين يتعلق بحقوق الناس.

و لكن الوصيه يجب ان لا تكون بقصد الإضرار بالورثه،و فى هذه الحاله تلغى

ص:۳۵

الوصيه بسبب قانون«الضرار».

كما ان من كتب على نفسه دينا كاذبا بهدف الإضرار بورثته فان اعترافه هذا لا يؤخذ به،و يتحقق القاضى فى الأمر ليرى هل هو مديون فعلا أم لا؟...

وَصِيَّةً مِنَ اللّٰهِ وَ اللّٰهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ عليم بما يفعله العباد ببعضهم من الظلم،لكنه يحلم عنهم لفتره دون ان ينساهم،إذ سيأتى يوم يؤخذ فيه المسيء بأشد الجزاء.

[۱۳]يسمى القرآن احكام الدين ب(الحدود)تعبيرا عن الدقه المتناهيه التى تتميز بها هذه الأحكام،و التى من الضرورى ان يراعيها المؤمن فليس من الصحيح الزياده أو النقيصه فيها باجتهادات خاصه أو حسب مصالح مؤقته،لأن أيه زياده أو نقيصه تحمل فى طياتها عقوبه تجاوزها.

تِلْكَ حُدُودُ اللّٰهِ وَ مَنْ يُطِعِ اللّٰهَ وَ رَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنّٰاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰارُ خٰالِدِينَ فِيهٰا وَ ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ [۱۴] وَ مَنْ يَعْصِ اللّٰهَ وَ رَسُولَهُ وَ يَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نٰاراً خٰالِداً فِيهٰا وَ لَهُ عَذٰابٌ مُهِينٌ ان الاستخفاف بحدود اللّٰه ينتهى الى الهوان فى الآخره،و لأنه فى الواقع يصل الى درجه معصيه اللّٰه و التهاون به.

ص:۳۶

[سوره النساء (۴): الآیات ۱۵ الی ۲۱]

اشاره

وَ اَللاّٰتِی یَأْتِینَ اَلْفٰاحِشَهَ مِنْ نِسٰائِکُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَیْهِنَّ أَرْبَعَهً مِنْکُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِکُوهُنَّ فِی اَلْبُیُوتِ حَتّٰی یَتَوَفّٰاهُنَّ اَلْمَوْتُ أَوْ یَجْعَلَ اَللّٰهُ لَهُنَّ سَبِیلاً (۱۵) وَ اَلَّذٰانِ یَأْتِیٰانِهٰا مِنْکُمْ فَآذُوهُمٰا فَإِنْ تٰابٰا وَ أَصْلَحٰا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمٰا إِنَّ اَللّٰهَ کٰانَ تَوّٰاباً رَحِیماً (۱۶) إِنَّمَا اَلتَّوْبَهُ عَلَی اَللّٰهِ لِلَّذِینَ یَعْمَلُونَ اَلسُّوءَ بِجَهٰالَهٍ ثُمَّ یَتُوبُونَ مِنْ قَرِیبٍ فَأُولٰئِکَ یَتُوبُ اَللّٰهُ عَلَیْهِمْ وَ کٰانَ اَللّٰهُ عَلِیماً حَکِیماً (۱۷) وَ لَیْسَتِ اَلتَّوْبَهُ لِلَّذِینَ یَعْمَلُونَ اَلسَّیِّئٰاتِ حَتّٰی إِذٰا حَضَرَ أَحَدَهُمُ اَلْمَوْتُ قٰالَ إِنِّی تُبْتُ اَلْآنَ وَ لاَ اَلَّذِینَ یَمُوتُونَ وَ هُمْ کُفّٰارٌ أُولٰئِکَ أَعْتَدْنٰا لَهُمْ عَذٰاباً أَلِیماً (۱۸) یٰا أَیُّهَا اَلَّذِینَ آمَنُوا لاٰ یَحِلُّ لَکُمْ أَنْ تَرِثُوا اَلنِّسٰاءَ کَرْهاً وَ لاٰ تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مٰا آتَیْتُمُوهُنَّ إِلاّٰ أَنْ یَأْتِینَ بِفٰاحِشَهٍ مُبَیِّنَهٍ وَ عٰاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ کَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسیٰ أَنْ تَکْرَهُوا شَیْئاً وَ یَجْعَلَ اَللّٰهُ فِیهِ خَیْراً کَثِیراً (۱۹) وَ إِنْ أَرَدْتُمُ اِسْتِبْدٰالَ زَوْجٍ مَکٰانَ زَوْجٍ وَ آتَیْتُمْ إِحْدٰاهُنَّ قِنْطٰاراً فَلاٰ تَأْخُذُوا مِنْهُ شَیْئاً أَ تَأْخُذُونَهُ بُهْتٰاناً وَ إِثْماً مُبِیناً (۲۰) وَ کَیْفَ تَأْخُذُونَهُ وَ قَدْ أَفْضیٰ بَعْضُکُمْ إِلیٰ بَعْضٍ وَ أَخَذْنَ مِنْکُمْ مِیثٰاقاً غَلِیظاً (۲۱)

اللغه

۱۹[تعضلوهن]:العضل التضییق بالمنع من التزویج و أصله الامتناع.

ص:۳۷

٢٠-[قنطارا]:المال الكثير.

[بهتانا]:كذبا.

٢١[أفضى]:الإفضاء الى شىء هو الوصول اليه بالملامسه.

ص:٣٨

هدى من الآيات:

من الحقوق الثابته للمرأه الحصانه عن القذف و التهمه،ذلك أن رأسمال المرأه سمعتها و عفتها و نظافه حصنها،و لا بد أن تبقى هذه السمعه مصونه من ألسنه العابثين.

الا إذا اخترقت حجاب العفه،و مارست الفاحشه علنا،و بصوره جلبت أنظار أربعه شهود من المؤمنين آنئذ يجب ان تحجز بعيده عن أصحاب الشهوات الذين يتخذونها سلعه و متاعا رخيصا.

و ابعاد المرأه عن ممارسه الفحشاء،و توفير حاجاتها من بيت المال،حق آخر من حقوقها على المجتمع.

و بمناسبه الحديث عن القذف،و لأنه جريمه تشتهر فى المجتمعات الجاهليه، و يستهين بأبعادها الناس،فقد ذكر القرآن التوبه،و بين ان باب التوبه مفتوح لمن أراد أن يدخله،و لكن بشرط أن يسارع اليه قبل ان يحضره الموت،فاذا حضره

فان التوبه لن تقبل.

بعد حق الحصانه الاجتماعيه بيّن القرآن مره اخرى حق المرأه فى الملكيه و حرمه أكل إرثها جبرا،أو الضغط عليها لتتنازل عن بعض مهرها للزوج كما بين حق العشره المعروفه معها بالرغم من سلبياتها.

و عاد و بيّن حق المرأه فى المهر بمجرد الزوجيه،و انه لا يحق للزوج استرجاع المهر ان أراد أن يطلقها.

و عموما:يتحدث هذا الدرس عن جانب من حقوق المرأه بالنسبه الى علاقتها الزوجيه و الاجتماعيه.

بينات من الآيات:

التشريعات حصن المجتمع:

[۱۵]اهتمام الإسلام بالاسره يفوق اهتمامه بأيه روابط اجتماعيه(غير المبدئيه)،لأنها الإطار الطبيعى المتين للتعارف و التعاون و التفاعل من أجل بناء حضاره الإنسان،و لكى يحافظ الإسلام على الاسره حصّنها بسور منيع من الانظمه و التعليمات،و من أهمها تحريم الفاحشه و القذف.

فلا يحق للمرأه فى أى وجه من الوجوه أن تتجاوز حدود الاسره،و بينها هو بين الزوج فى علاقاتها الجنسيه أو العاطفيه.

و إذا امتنعت الأنثى عن تعاطى الجنس اللامشروع،فان الرجل يضطر الى أن يبحث عن الزواج المشروع،و ان يقدم فى سبيله الكثير من التنازلات،و بالتالى أن يحافظ على كرامه المرأه من جهه،و على متانه الاسره و قوتها و تماسكها من جهه

ثانيه.

و إذا سقطت المرأه فى أحضان الفاحشه فان عقوبتها التى ذكرها القرآن فى هذه الآيه هى حجزها فى البيت،لماذا؟ لأنها تجاوزت حدود البيت حين منحت الحريه،فمن الطبيعى ان تعاد الى هذه الحدود جبرا،و لأنها إذا تركت حره بين الناس فان رجالا كثيرين قد يسقطون فى أحضان الجريمه و لا يجدون دافعا قويا للزواج،و بالتالى فان نساء كثيرات يحرمن من نعمه الزواج،و أسر كثيره تتحطم على صخره الفاحشه.

من هنا فان الوسيله الجيده هى حجز المرأه الزانيه فى البيت.

وَ اللاّتِي يَأْتِينَ الْفاحِشَةَ مِنْ نِسائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتّى يَتَوَفّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً و التعبير القرآنى يستخدم كلمتين(يأتين)و(استشهدوا)للدلاله على ان المرأه التى تعمل الفاحشه فعلا،و التى تتعاطى فى المجتمع هذه الجريمه على عين السلطه و سمعها،انها مع ذلك لا تعاقب بمجرد وجود أدله خفيه على جرمها بل يجب ان تكون هناك أدله ظاهره،فيستشهد عليها أربعه من المؤمنين أى يطلب منهم الأدلاء بشهاداتهم ليكون العقاب بعد حجه ظاهره.

و هذا يفسر ضروره توفر شهاده أربعه من الرجال فى هذه الجريمه التى تعتبر عاده من الجرائم الخفيه-خصوصا فى أجواء المجتمع الاسلامى،حيث ان شهاده هؤلاء انما هى ممكنه بحق المرأه المعلنه بالفاحشه،و اما التى تسقط مره ثم تتوب فلا يمكن عاده ان يلاحظها أربعه من الشهود.

و السبيل الذى أشار اليه القرآن فى نهايه الآيه: أَوْ يَجْعَلَ اللّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً :هو

اقامه الحد عليها و اطلاق سراحها كبديل عن حجزها فى البيت.

حرمه القذف:

[۱۶]و لكى يعطى القرآن حصانه للأسره و للمرأه بالذات،و لكى يستر على السقطات الجنسيه التى قد تتعرض لها نساء شريفات،و لكى يقضى على الشائعات الجنسيه التى يتسلى بها خبثاء النفوس فى سهراتهم الليليه و يستعرضون بها عن حرمانهم الجنسى أو عقدهم الاجتماعيه.

لكل ذلك حرّم و عاقب على القذف بالزنا ما لم يصل الى مستوى شهاده أربعه من الرجال و قال:

وَ اَلَّذانِ يَأْتِيانِها مِنْكُمْ فَآذُوهُما فَإِنْ تابا وَ أَصْلَحا فَأَعْرِضُوا عَنْهُما إِنَّ اللّهَ كانَ تَوّاباً رَحِيماً الأذى قد يكون بأشهارهما أمام الناس،أو بضربهما بالسياط،أو حتى بسجنهما أو تقريعهما من قبل الحاكم و هكذا.

لمن التوبه؟و كيف؟

[۱۷]و لان القذف و التهمه بالسقطات الجنسيه تكثر فى المجتمع،و يمارسها كثير من الناس فى بعض فترات حياتهم،لذلك فقد استعمال القرآن المؤمنين و دعاهم الى التوبه و قال:

إِنَّمَا التَّوْبَهُ عَلَى اللّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهالَهٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولئِكَ يَتُوبُ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَ كانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً

ص:۴۲

ثم قال:

[١٨] وَ لَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ فهناك صنفان من الناس:صنف يتوب بسبب روحه الايمانيه،و تذكره عذاب اللّه و خوفه و تقواه،و صنف لا يتوب إلاّ بعد اضطراره الى التوبه،و التوبه تقبل فقط من الصنف الاول.

و ليس هناك صنف ثالث،ذلك لان الذين يسوّفون التوبه و يؤجلونها من يوم لآخر،انهم لا يضمنون حياتهم حتى يتوبوا قبل موتهم بأيام مثلا،كلا بل لا يصدقون بالموت إلاّ حين يحضرهم فعلا و هناك لا تنفعهم التوبه.

و مثل هؤلاء مثل الكفار الذين يؤمنون قبل موتهم بلحظات،و لذلك ساقهم القرآن بعصا واحده مع الكفار فقال:

وَ لاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَ هُمْ كُفّارٌ أُولٰئِكَ أَعْتَدْنٰا لَهُمْ عَذٰاباً أَلِيماً

من حقوق المرأه الزوجيه:

[١٩]في حصن الأسره يجب ان تسود العداله،لأنها لو سادت فى الاسره استطاعت ان تسود فى المجتمع كله و أبرز مظاهر العداله المحافظه على حقوق المرأه فى حياتها و بعد موتها،فلا يمكن خلط حسابها مع حسابه حتى يلتهم أموالها بعد موتها،انه لا يرث إلاّ جزءا من مالها قد لا يتجاوز الربع،فلا يجوز أن يأكلها جميعا.

كما لا يجوز الضغط على المرأه حتى تتنازل عن بعض حقوقها أو كلها فى

سبیل إنقاذ نفسها من إرهاب الزوج الوحشی(هناک قانون فی الطلاق یسمی بالخلع و یکون ذلک بعد تنازل المرأه عن مهرها لقاء فک سراحها)کما لا یجوز له أیضا أن یرث نکاح النساء کما هو المعمول فی الجاهلیه.

یٰا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لاٰ یَحِلُّ لَکُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسٰاءَ کَرْهاً وَ لاٰ تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مٰا آتَیْتُمُوهُنَّ یبدو لی ان التعبیر(لتذهبوا ببعض)یوحی بالطلاق،لان کلمه الذهاب به یدل علی الابتعاد مع الشیء مثل ذهب السارق بالمال.

إِلاّٰ أَنْ یَأْتِینَ بِفٰاحِشَهٍ مُبَیِّنَهٍ هنالک یحق للزوج ان یضغط علی زوجته حتی تتنازل عن بعض مهرها و یطلقها،و ذلک جزاء خیانتها به.

و من الحقوق الثابته للمرأه أن تعاشر بالمعروف،فتعطی لها الحقوق التی یراها العرف و بالقدر الذی یحکم به،و الا تخضع حقوق المرأه للانفعالات المؤقته.

وَ عٰاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ کَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسیٰ أَنْ تَکْرَهُوا شَیْئاً وَ یَجْعَلَ اللّٰهُ فِیهِ خَیْراً کَثِیراً إن النظام الاسلامی یعتمد فی کثیر من تفصیلات تشریعه علی العرف العام بعد أن یضع إطارا عاما له معتمدا علی القیم الرسالیه،و فی عشره الزوجه و حقوقها اعتمد التشریع الاسلامی علی العرف لیحدد ما هی المعاشره السلیمه.

[۲۰]الصداق الذی یقدمه الزوج هل هو رهن فی ید الزوجه مقابل استمرار عقد الزواج فاذا أرادت الزوجه أو الزوج فسخ العلاقه الزوجیه یستعید الزوج

الصداق؟! كلا...بل هو تصديق على صدق الزوج فى ادعاء الزواج،و بناء الاسره و عليه فان المهر يصبح ملكا كاملا للزوجه بمجرد الدخول بها،و لا و لا يحق للزوج أن يسترجع المهر أنى كان كثيرا إذا أراد أن يطلقها.

وَ إِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدالَ زَوْجٍ مَكانَ زَوْجٍ وَ آتَيْتُمْ إِحْداهُنَّ قِنْطاراً فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً أَ تَأْخُذُونَهُ بُهْتاناً وَ إِثْماً مُبِيناً [۲۱] وَ كَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَ قَدْ أَفْضى بَعْضُكُمْ إِلى بَعْضٍ وَ أَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثاقاً غَلِيظاً أى كيف يحق لكم أخذه بعد إتمام العمليه الزوجيه بالدخول التى كانت مقابل المهر فى العقد،و اتخذ عليه الميثاق.

ص:۴۵

[سوره النساء (۴): الآیات ۲۲ الی ۲۸]

اشاره

وَ لاٰ تَنْکِحُوا مٰا نَکَحَ آبٰاؤُکُمْ مِنَ اَلنِّسٰاءِ إِلاّٰ مٰا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ کٰانَ فٰاحِشَةً وَ مَقْتاً وَ سٰاءَ سَبِیلاً (۲۲) حُرِّمَتْ عَلَیْکُمْ أُمَّهٰاتُکُمْ وَ بَنٰاتُکُمْ وَ أَخَوٰاتُکُمْ وَ عَمّٰاتُکُمْ وَ خٰالاٰتُکُمْ وَ بَنٰاتُ اَلْأَخِ وَ بَنٰاتُ اَلْأُخْتِ وَ أُمَّهٰاتُکُمُ اَللاّٰتِی أَرْضَعْنَکُمْ وَ أَخَوٰاتُکُمْ مِنَ اَلرَّضٰاعَةِ وَ أُمَّهٰاتُ نِسٰائِکُمْ وَ رَبٰائِبُکُمُ اَللاّٰتِی فِی حُجُورِکُمْ مِنْ نِسٰائِکُمُ اَللاّٰتِی دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَکُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلاٰ جُنٰاحَ عَلَیْکُمْ وَ حَلاٰئِلُ أَبْنٰائِکُمُ اَلَّذِینَ مِنْ أَصْلاٰبِکُمْ وَ أَنْ تَجْمَعُوا بَیْنَ اَلْأُخْتَیْنِ إِلاّٰ مٰا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اَللّٰهَ کٰانَ غَفُوراً رَحِیماً (۲۳) وَ اَلْمُحْصَنٰاتُ مِنَ اَلنِّسٰاءِ إِلاّٰ مٰا مَلَکَتْ أَیْمٰانُکُمْ کِتٰابَ اَللّٰهِ عَلَیْکُمْ وَ أُحِلَّ لَکُمْ مٰا وَرٰاءَ ذٰلِکُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوٰالِکُمْ مُحْصِنِینَ غَیْرَ مُسٰافِحِینَ فَمَا اِسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِیضَةً وَ لاٰ جُنٰاحَ عَلَیْکُمْ فِیمٰا تَرٰاضَیْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ اَلْفَرِیضَةِ إِنَّ اَللّٰهَ کٰانَ عَلِیماً حَکِیماً (۲۴) وَ مَنْ لَمْ یَسْتَطِعْ مِنْکُمْ طَوْلاً أَنْ یَنْکِحَ اَلْمُحْصَنٰاتِ اَلْمُؤْمِنٰاتِ فَمِنْ مٰا مَلَکَتْ أَیْمٰانُکُمْ مِنْ فَتَیٰاتِکُمُ اَلْمُؤْمِنٰاتِ وَ اَللّٰهُ أَعْلَمُ بِإِیمٰانِکُمْ بَعْضُکُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْکِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَ آتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنٰاتٍ غَیْرَ مُسٰافِحٰاتٍ وَ لاٰ مُتَّخِذٰاتِ أَخْدٰانٍ فَإِذٰا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَیْنَ بِفٰاحِشَةٍ فَعَلَیْهِنَّ نِصْفُ مٰا عَلَی اَلْمُحْصَنٰاتِ مِنَ اَلْعَذٰابِ ذٰلِکَ لِمَنْ خَشِیَ اَلْعَنَتَ مِنْکُمْ وَ أَنْ تَصْبِرُوا خَیْرٌ لَکُمْ وَ اَللّٰهُ غَفُورٌ رَحِیمٌ (۲۵) یُرِیدُ اَللّٰهُ لِیُبَیِّنَ لَکُمْ وَ یَهْدِیَکُمْ سُنَنَ اَلَّذِینَ مِنْ قَبْلِکُمْ وَ یَتُوبَ عَلَیْکُمْ وَ اَللّٰهُ عَلِیمٌ حَکِیمٌ (۲۶) وَ اَللّٰهُ یُرِیدُ أَنْ یَتُوبَ عَلَیْکُمْ وَ یُرِیدُ اَلَّذِینَ یَتَّبِعُونَ اَلشَّهَوٰاتِ أَنْ تَمِیلُوا مَیْلاً عَظِیماً (۲۷) یُرِیدُ اَللّٰهُ أَنْ یُخَفِّفَ عَنْکُمْ وَ خُلِقَ اَلْإِنْسٰانُ ضَعِیفاً (۲۸)

اللغه

۲۳[ربائبکم]:الربائب جمع ربیبه و هی بنت زوجه الرجل من غیره و سمیت بذلک لتربیته إیاها.

[حلائل]:الحلائل جمع الحلیله و هی بمعنی المحلله مشتقه من الحلال.

ص:۴۶

۲۵[المحصنات]:من حصنت المرأه فرجها من الفجور و السفاح يقال أحصن الرجل زوجته،أی حفظها من الفجور..

[مسافحات]:من السفاح و هو الزنا و أصله من السفح و هو صب الماء

ص:۴۷

لأنه يصب الماء باطلا.

[طولا]:الطول الغنى و هو مأخوذ من الطول خلاف القصر شبه الغنى به لأنه ينال به معالى الأمور.

[أخدان]:جمع خدن و هو الصديق.

[العنت]:الجهد و الشده من جهه ترک الزواج.

ص:۴۸

المحرمات الزوجیه و مفهوم الزواج

هدی من الآیات:

فی هذا الدرس ینظم التشریع القرآنی الحکیم العلاقه الزوجیه بین الذکر و الأنثی،فیبیّن النساء المحرمات ابتداء بزوجه الأب و انتهاء بالجمع بین الأختین،أو التفکیر فی الزواج من امرأه ذات بعل.

ثم تتحدث الآیات عن العلاقه المشروعه بین الذکر و الأنثی التی تتم عن طریق الزواج کعقد یتراضی علیه الطرفان،و ان من الضروری الالتزام بکافه بنوده،و لیست الزوجیه امتلاکا للأنثی من قبل الذکر کما کان یتصوره الجاهلیون.

و تتحدث عن الزواج من الإماء،و کیف یجب ان تنظم العلاقه معهن حتی لا تتحول الامه الی باغیه بحکم حاجتها الی المال و الی الحمایه الاجتماعیه بسبب انها امرأه غریبه عن المجتمع المسلم.

و یشدد الإسلام علی ذلک فی الآیات الثلاث الاخیره من الدرس حین یقول:

ص:۴۹

ان هذه التشريعات هى عماد حضارتكم،و ان الاستهانه بها يهدد كيانكم بالدمار كما فعل بالذين كانوا من قبلكم.

و يبين ان التشريع الاسلامى تشريع واقعى يلاحظ ضعف الإنسان،و حدود قدراته على الضبط،و انه لو لا واقعيه هذا التشريع لانهار كثير من الناس فى بؤره الفساد و اتباع الشهوات.

بينات من الآيات:

النساء المحرمات...

[۲۲]كانت العادات الجاهليه تقضى بتوريث زوجه الأب لأكبر أبنائه، و كأنها سلعه من السلع،فجاءت الآيه الأولى من آيات تنظيم العلاقه الزوجيه فى هذا المجال:

وَ لاٰ تَنْكِحُوا مٰا نَكَحَ آبٰاؤُكُمْ مِنَ النِّسٰاءِ إِلاّٰ مٰا قَدْ سَلَفَ اى ما سلف منكم فى الجاهليه،فانه بالرغم من حرمته يعتبر نكاحا فى ذلك العرف و لا يوصم أبناء هذا النكاح بأنهم أولاد زنا،أما الآن فيجب الفراق و الابانه بين الزوجين.

و بيّن القرآن ان هذا النكاح عمل جنسى حرام(فاحشه)و انه يجلب الذل و الهوان(مقت)و انه ليس السبيل السوى فى العلاقه الزوجيه.

إِنَّهُ كٰانَ فٰاحِشَةً وَ مَقْتاً وَ سٰاءَ سَبِيلاً ان الحاجه الجنسيه تجرى فى الإنسان كالسيل تكاد تتدفق من جوانبه،فلو لا وجود قنوات تمتصها و تنظم مسيرتها لفاضت فى كل اتجاه،و نشأت منها

الصراعات و الخلافات و هدمت الاسره الواحده.

و قد جعل اللّه فی الإنسان و فی موازاه الحاجه الجنسیه الهائله جعل حواجز الحیاء الفطری لتمنع الفوضی الجنسیه،و لکی یدعم الحیاء الفطری وضع قوانین شرعیه منظمه لهذه الحاجه،و حرمه زوجه الأب علی الابن من تلک القوانین،ذلک لأنها ترفع الزوجه الی درجه الام،و تجعلها مصونه من حاجات الأولاد الجنسیه، و بالتالی من صراعاتهم علیها،و من معاملتهم لها کسلعه تورث.

و من هنا قال اللّه انه مقت یورث الهوان،لأنه تحطیم لکرامه المرأه،و هدر لحق الأب.

فلسفه التحریم:

[۲۳]و یسرد القرآن المحرمات من النساء و هن:القریبات فی الطبقه الاولی و الثانیه،و فلسفه الحرمه ان ذلک الزواج یهدد الاسره بالخلافات الداخلیه، و یسبب شیوع علاقات فاحشه بین الأقارب فی الاسره الواحده،و یسبب نقل الأمراض الوارثیه بشکل فظیع الی الأجیال التالیه،و یسبب بالتالی ضعف النسل البشری الی درجه خطیره،و تحول نظره الأقارب فی الاسره الواحده من نظره تعاون بنّاء الی نظره جنسیه شاذه و هکذا..قال ربنا:

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَ بَنَاتُكُمْ وَ أَخَوَاتُكُمْ وَ عَمَّاتُكُمْ وَ خَالاَتُكُمْ وَ بَنَاتُ الْأَخِ وَ بَنَاتُ الْأُخْتِ وَ أُمَّهَاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَ أَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَ أُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَ رَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ بنت زوجه الإنسان(من غیره)محرمه علیه إذا دخل بأمها،فلا یحق له ان

يستعيض زوجته بابنتها من أب غيره بعد ان تكبر و تكون صالحه للزواج.

ان ذلك يشكل اهانه بحق الزوجه حيث ان الزوج،يريد منها ان تكون فقط اداه لإشباع غرائزه و حين استنفذ حاجته منها استبدلها ببنتها المولوده من غيره.

اما قبل ان يدخل بها فان ذلك يجوز لأن هذه الفلسفه لا تحكم فيه.

و لا يجوز ان يتزوج الإنسان من زوجات ابنائه لأنهن يصبحن بحكم بناته، و لا يجوز ان ينظر الأب إليهن نظره جنسيه حتى لا تنمو الكراهيه فى الاسره الواحده،و تؤدى الى الصراعات العائليه.

وَ حَلاٰئِلُ أَبْنٰائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلاٰبِكُمْ أما الابن المتبنى فانه يجوز لأبيه(بالتبنى)ان يتزوج زوجته بعد طلاقها، خلافا للاعراف الجاهليه التى نسخها القرآن الحكيم فى قصه«زيد»ابن رسول اللّه بالتبنى،حيث طلق زوجته زينب فزوجها اللّه لرسوله.

وَ أَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ لما فى ذلك من إثاره للصراعات فى الأسره الواحده بسبب تنافس الضرتين فى ود الزوج،و يتحول التنافس الى خلاف بينهما ينعكس بالتالى على اسرتهما.

إِلاّٰ مٰا قَدْ سَلَفَ فى الجاهليه.

إِنَّ اللّٰهَ كٰانَ غَفُوراً رَحِيماً [۲۴]لا يجوز للإنسان ان ينظر بريبه الى زوجات الناس اللاتى دخلن فى

حصن الزواج و حریم البیت،فان ذلک یهدد البناء الاسری للمجتمع،و یجر الیه ریاح الفوضی و الخلاف.

ان الرجل الذی یعتز بماله و جماله و یحاول ان یخدع نساء الآخرین لا بد ان یعرف ان فی المجتمع من هو أکثر مالا و أروع جمالا،و ارفع شهره منه،و انه من الممکن ان یطمع فی زوجته فهل یرضی؟ وَ الْمُحْصَنٰاتُ مِنَ النِّسٰاءِ إِلاّٰ مٰا مَلَکَتْ أَیْمٰانُکُمْ کِتٰابَ اللّٰهِ عَلَیْکُمْ ان کتاب اللّه یشهد علیکم لو انکم تجاوزتم حدود اللّه فی المحرمات من النساء،حیث لا یجوز مباشرتهن الا فی حدود احکام اللّه بالعقد أو بملک الیمین.

وَ أُحِلَّ لَکُمْ مٰا وَرٰاءَ ذٰلِکُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوٰالِکُمْ مُحْصِنِینَ غَیْرَ مُسٰافِحِینَ ای یحل لکم إنشاء علاقات جنسیه بهدف تکوین اسره،و الدخول فی حصن الزوجیه،و فی حصانه العلاقه الجنسیه المستقره،لا بهدف السفاح و الهبوط الی مستوی البهائم،و سفح ماء الحیاه فی کل ارض صالحه أو طالحه.

ان الهدف من ای عمل هو الذی یحدد طبیعته و صبغته،و حسنه و قبحه، و حرمته و حلّیته،و العلاقه بهدف تکوین الاسره هی علاقه جیده،حتی و لو کانت مؤقته مثل المتعه التی استدل طائفه من المفسرین جوازها انطلاقا من هذه الآیه.

شرعیه الزواج المؤقت

الزواج المؤقت(المتعه)یختلف عن الزنا فی انه ذو هدف شریف،و هو أشبه شیء بالزواج و الطلاق بعد فتره لظروف طارئه.بید ان المتعه تأخذ تلک الظروف

بعین الاعتبار و تقصر فتره العقد منذ البدایه،مثل ان یکون الرجل مسافرا(للدراسه أو للعمل)الی بلد بعید و لا یستطیع ان یجلب الیه زوجته کما لا یرید ان یستوطن ذلک البلد الی الأبد،فاذا أراد البقاء هناک لمده خمس سنوات مثلا فالأفضل له ان یتزوج خلال الفتره زواجا بهدف بناء الاسره،و انجاب و تربیه الأولاد،و لکن محدد بفتره معینه.

و بدلا من ان یلعب علی المرأه و یوعدها بالزواج الدائم ثم یفترق عنها بسبب قهر الظروف فانه منذ البدء یصارحها بالحقیقه حتی تکون علی بیّنه من أمرها.

و القانون الاسلامی الذی شرع الطلاق لا یمکنه ان یشرع الزواج المؤقت لأنه فی المحتوی یتشابه مع الزواج ثم الطلاق لذلک قال اللّه تعالی:

فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِیضَهً حیث شرع المتعه بهذه الآیه حسب تفسیر ابن عباس و السری و ابن سعید و جماعه من التابعین و الصحابه،و لکنه اشترط فیها شرطین، الأول:اراده الزواج و لیس السفاح و بتعبیر آخر:ان یکون التزاما ببناء اسره.

الثانی:ان یدفع الرجل کامل المهر للزوجه،و ان یضع لها مهرا واجبا علیه.

نعم إذا تنازلت المرأه عن مهرها طواعیه جاز لها ذلک.

وَ لاٰ جُنٰاحَ عَلَیْکُمْ فِیمٰا تَرٰاضَیْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِیضَهِ إِنَّ اللّٰهَ کٰانَ عَلِیماً حَکِیماً

فلسفه الرق:

[۲۵]قانون الرق فی الإسلام یختلف عنه فی التشریعات الجاهلیه اختلافا

ص:۵۴

كبيرا،و ابرز نقاط الخلاف ان القانون الاسلامی يحرم الاسترقاق القسری أو الطوعی للأحرار الا فی حاله واحده هی اسری الحرب الذين وضع الإسلام امامهم طريق الاسترقاق لتذويبهم فی المجتمع المسلم بصوره تدريجيه،و من دون وجود مضاعفات سلبيه.

ان الأسير الذی يفترض ان يكون معتديا علی امن الوطن الاسلامی،و محاربا سابقا ضد الامه المسلمه لا يمكن ان يطلق سراحه فی البلاد الاسلاميه ليعيث فيها فسادا،بل لا بد ان يمر بدوره تربويه تؤهله ليصبح مواطنا صالحا للبلاد الاسلاميه،و عضوا بنّاء فی المجتمع المسلم.

اين توجد هذه الدوره التربويه؟هل تستطيع الدوله الاسلاميه ان تؤسس آلاف المعسكرات(و بتعبير آخر المعتقلات)و تحتفظ فيها بهؤلاء الأسری؟و هل ينجح هذا الأسلوب لو فعلت؟كلا..ان الدوره الجيده هی إعطاء الأسير جزءا من حريته،و ربطه بواحد من المسلمين و إعطاء حق التوجيه لذلک المسلم و تشجيعه علی ان يصبح عضوا جيدا لإعاده كامل حريته اليه،و أخيرا تزويد مولاه بالوصايا المؤكده لرعايه حقوقه،بل بالأوامر المشدده تحت طائله العقوبه القانونيه.

و بهذه الطريقه استطاعت الامه الاسلاميه استقطاب الشعوب التی فتحت بلادها فی فترات متعاقبه،بالرغم من ان تلک الشعوب كانت أضعاف عدد الامه،و تحولت فی فتره وجيزه الی جزء من الامه حملت رسالتها الی آفاق جديده.

ان المقاتل العدو الذی أسر فی هذا العام مثلا كان يتحول فی العام المقبل الی قائد اسلامی لموجه جديده من الفتوحات،و ربما فی بلاده هو و ضد رفاق السلاح، كيف كان ذلک ممكنا لو لم تكن هناک دورات تربويه داخل كل بيت و كل

اسره يتأثر الأسير بها فيتحول الى مؤمن صادق.

و بالطبع لا تفلح التربيه الا بإشراف المربى،و هذا هو هدف الإسلام من إعطاء حقوق معينه للمولى على العبد و من تلك الحقوق حق زواج الامه ممن يراه المولى صالحا.

و لكن من جهه اخرى يفرض قيودا على الزوج،و يهدد علاقته الزوجيه و بنائه الاسرى للخطر.

لذلك نصح الإسلام عدم الزواج من الإماء الا فى حاله الاضطرار و قال:

وَ مَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنٰاتِ الْمُؤْمِنٰاتِ فَمِنْ مٰا مَلَكَتْ أَيْمٰانُكُمْ مِنْ فَتَيٰاتِكُمُ الْمُؤْمِنٰاتِ ليس من الصحيح تصور ان الاسيره لم تصبح مؤمنه ايمانا حقيقيا،بل ايمانا ظاهرا بسبب مغريات الايمان،و يقول القرآن ليس هذا التصور صحيحا:إذ ان اللّه هو العالم بحقيقه الايمان.

و أما الناس فلو أرادوا ان يتعاملوا مع بعضهم بهذا المقياس،إذا لسرى الشك الى كل إنسان و لا يمكنهم ان يتعاونوا أبدا،انما علينا ان نلاحظ ظواهر الايمان، كما انه ليس من الصحيح الاعتقاد بأن الاسيره ذات عنصر أدنى من العنصر العربى،لأن اللّه خلق الناس جميعا من نفس واحده،و الناس بعضهم من بعض.

وَ اللّٰهُ أَعْلَمُ بِإِيمٰانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ و لكن الزواج يجب ان يتم بإذن أهلها باعتبارها عبده مملوكه لمولاها، و باعتبار انها جديده العهد بالتقاليد الاسلاميه،و لربما كانت فى بلادها تمارس

الفـاحشه حسب تقاليـدها،و يخشـی ان يتخـذها المفسـدون سـلعه للهوی،و اشـاعه الفاحشه فی البلاد الاسـلاميه مسـتغلين ظروفها المعيشيه،و عاداتها الخلقيه،و حداثه عهدها بالقيم الاسلاميه،من هنا ركز الإسلام علی هذه الحقيقه و قال:

فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَ آتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنٰاتٍ غَيْرَ مُسٰافِحٰاتٍ وَ لاٰ مُتَّخِذٰاتِ أَخْدٰانٍ يحـذر القرآن من تسـيب الاسـيرات و تحولهن الی بنـات هوی فی المجتمع الاسـلامی،و لكنه من جهه اخری خفف العقـاب عنهنّ لو فعلن الفاحشه،لأنهن جديدات عهد بالقيم الاسلاميه،و لظروفهن المعيشيه و الاجتماعيه الخاصه التی تساعد علی الفاحشه،و قال اللّه:

فَإِذٰا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفٰاحِشَهٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مٰا عَلَی الْمُحْصَنٰاتِ مِنَ الْعَذٰابِ و عاد القرآن ليبين ان الزواج من الاسـيره محـدود بظرف الاضطرار و قال:

ذٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَ أَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَ اللّٰهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ

كيف ننظر الی التاريخ؟

[۲۶]هذه شـرائع اللّه يبينها للناس لكی يفتحوا أعينهم،و يبصروا دربهم بوضوح،ذلك الدرب الذی مشی عليه السابقون الصالحون فبلغوا اهدافهم، و تنكب عنهم الفاسقون فسقطوا فی جهنم.

ان اسـتخلاص تجارب التاريخ،و إعطاء رؤيه حياتيه منبثقه من حقائق التاريخ هو من أهم ما يقوم به القرآن الذی فيه خبر من قبلنا كما يقول الرسول

الأكرم محمد صلى الله عليه و آله .

و على المؤمن ان يتسلح بمنظار القرآن،ثم ينظر الى احداث التاريخ ليعرف فلسفه أحكام الدين،حتى يربى نفسه على الأعمال الصالحه،و يتوب الى اللّه من سيئات اعماله.

يُرِيدُ اللّٰهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَ يَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَ اللّٰهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ [٢٧]هذا ما يريده اللّه،أما ما يريده الغاوون الـذين يتبعون أهواءهم، و يسترسلون مع شهواتهم دون حكمه أو علم،و لا ينظرون الى تجارب الأولين ليتخذوا منها العبره و الموعظه،فإنهم يريدون ان يفرط الإنسان تفريطا ذات اليمين أو اليسار،و يذهب بعيدا فى انحرافه عن جاده الحق المستقيمه.

وَ اللّٰهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَ يُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوٰاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً

ميزات التشريع الاسلامى:

[٢٨]و إذا مال الإنسان الميل العظيم،فانه سوف يحمل مآسى و ويلات أكبر من طاقاته،و الإنسان ضعيف لا يحتمل الصعاب.

اما منهج اللّه فهو يحافظ على استقامه الإنسان على الطريق السوى حتى لا يكلف أكثر من طاقته.

يُرِيدُ اللّٰهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَ خُلِقَ الْإِنْسٰانُ ضَعِيفاً فى هذه الآيات الثلاث بيّن اللّه ميزات التشريع الاسلامى بتلخيص و هى:

أ/انه تشريع واضح مبين.

ب/انه تشريع يعتمد على رصيد ضخم من التجربه التاريخيه.

ج/انه يربى الإنسان و يخلصه من سلبياته.

د/انه متين و مستقيم و بعيد عن الانحرافات.

ه/انه تشريع واقعى يلاحظ طبيعه الإنسان الضعيف.

ص:۵۹

[سوره النساء (۴): الآيات ۲۹ الی ۳۳]

اشاره

يَا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا لاٰ تَأْكُلُوا أَمْوٰالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبٰاطِلِ إِلاّٰ أَنْ تَكُونَ تِجٰارَةً عَنْ تَرٰاضٍ مِنْكُمْ وَ لاٰ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اَللّٰهَ كٰانَ بِكُمْ رَحِيماً (۲۹) وَ مَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ عُدْوٰاناً وَ ظُلْماً فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نٰاراً وَ كٰانَ ذٰلِكَ عَلَى اَللّٰهِ يَسِيراً (۳۰) إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبٰائِرَ مٰا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئٰاتِكُمْ وَ نُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيماً (۳۱) وَ لاٰ تَتَمَنَّوْا مٰا فَضَّلَ اَللّٰهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلىٰ بَعْضٍ لِلرِّجٰالِ نَصِيبٌ مِمَّا اِكْتَسَبُوا وَ لِلنِّسٰاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اِكْتَسَبْنَ وَ سْئَلُوا اَللّٰهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اَللّٰهَ كٰانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً (۳۲) وَ لِكُلٍّ جَعَلْنٰا مَوٰالِيَ مِمّٰا تَرَكَ اَلْوٰالِدٰانِ وَ اَلْأَقْرَبُونَ وَ اَلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمٰانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اَللّٰهَ كٰانَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً (۳۳)

اللغه

۳۳[موالی]:أصل المولی من ولی الشیء یلیه ولایه و هو اتصال الشیء بالشیء من غیر فاصل.

ص:۶۰

الإنسان و منطلقات العمل

هدى من الآيات:

الحلقه الاولى فى المجتمع الاسلامى هى الاسره التى تحدثت عنها الآيات السابقه،حيث بينت حقوقها و أنظمتها،أما الحلقه الثانيه فهى المرتبطه بسائر أبناء المجتمع الذين نظم القرآن علاقات بعضهم ببعض عبر كثير من سور القرآن، و لكن أشار الى بعضها هنا لتكتمل الصوره،و لكى لا يقتصر الحديث عن الحقوق فى اطار الاسره الصغيره،بل تتعداها الى الاسره الكبرى و هى المجتمع.

و الحقوق الاجتماعيه هى:

حرمه المال،حرمه الدم،و الوفاء بالعقود،و تكافؤ الفرص،و احترام الميزات...

و تحدث القرآن أولا عن حرمه المال(احترام الملكيه الخاصه)ثم عن الدم، لان الاعتداء على المال هو السبب المباشر للاعتداء على النفس غالبا.

ص:۶۲

و بيّن القرآن ان المحرمات الاجتماعيه هى أهم و أكبر ذنب من المحرمات الاخرى،و أن الذى يتجنبها يكفر اللّه عنه سيئاته الاخرى،ذلك لان الالتزام بهذا الجانب من الدين أصعب كثيرا من الإلتزام بالجوانب الشخصيه،و لذلك تجد الكثير من الناس يفرغون الدين من محتوياته الاجتماعيه تماما،فاختص التحذير من قبل اللّه بهم...

و فى الآيه الاخيره ذكّرنا اللّه بالإرث،باعتباره سببا من أسباب التفاضل فى المجتمع المسلم...

بينات من الآيات:

حرمه المال و النفس:

[۲۹]الإنسان محترم،و يحترم كل ما يمت بصله اليه،و المال جزء من جهد الإنسان،و بالتالى جزء من الإنسان و الاعتداء عليه حرام لأنه اعتداء على كرامته،و من يعتد على كرامه الناس فلا بد ان يستعد لاعتداء الآخرين عليه.

لذلك تجد التعبير القرآنى يوجه الخطاب للجميع و يأمرهم باحترام حقوق بعضهم و يقول:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ لأنه لو لم تحكم قيمه الاحترام المالى أوساط المجتمع،فان كل فرد سوف يعانى من الاعتداء فى يوم من الأيام،إذن لندع أكل الأموال بالطرق الباطله...

و الطرق الباطله هى كل ما ترفضه قيم الدين،و لا تكون خاضعه للتجاره المتراضى عليها،فأكل الأموال أما بالقمار أو بيع الخمر و المخدرات،أو بالاحتيال

ص:۶۳

و السرقه و النهب باطل و حرام،و الاستثناء الوحيد هو التجاره بتراض و تعنى أمرين:

الاول:أن تكون تجاره،أى تدويرا للمال بالطرق المشروعه(البيع،الايجار، الرهن)فلا يجوز أكل الأموال غصبا أو احتيالا.

الثانى:أن تكون هذه التجاره بعيده عن الإكراه،و الجبر،أو الغش و الخداع، لان ذلک يفقد شرط التراضى....

و هذه القاعده توضح ان کل العقود التجاريه التى يتراضى عليها الطرفان صحيحه حسب الرؤيه الاسلاميه،إلاّ إذا خالفت شرطا أکيدا من الشروط المبينه فى الدين(کالتجاره بالحرام)مما يعطى التشريع الاسلامى مرونه کافيه لمواکبه تطور الحاجات الاجتماعيه.

إِلاّ أَنْ تَكُونَ تِجٰارَةً عَنْ تَرٰاضٍ مِنْكُمْ و بعد المال يأتى دور النفس،التى تبقى مصونه إذا حافظنا على الحقوق الماليه المتبادله،فالغنى الذى يحافظ على حقوق الفقراء لا تتعرض حياته للخطر لأنه لا يدع سببا لثوره الفقير و تمرده.

وَ لاٰ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ان الإنسان لا يصل الى درک الاعتداء على الأنفس إلاّ إذا هبط اليه شيئا فشيئا بسبب الاعتداء على الأموال،حيث يخلق فى ذاته الکراهيه و القلق و حب الجريمه،و کثيرا ما ينساق الى جريمه الاعتداء على النفس لتعبيد الطريق أمام اعتدائه على المال.

ص:۶۴

إِنَّ اللّهَ كٰانَ بِكُمْ رَحِيماً فحرم عليكم الاعتداء على المال و النفس ليرحمكم،و ينجيكم من عذاب بعضكم.

[۳۰]و من يعتدى على حقوق الناس(أموالهم و أنفسهم)اعتداء مع سبق الإصرار،و يقوم فعلا فى اغتصاب حقوق الآخرين،فان اللّه يعذبه عذابا أليما...

وَ مَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ عُدْوٰاناً وَ ظُلْماً فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نٰاراً وَ كٰانَ ذٰلِكَ عَلَى اللّٰهِ يَسِيراً

اجتناب الظلم غفران الذنب:

[۳۱]إن الظلم الاجتماعى أشد الظلم،و ان اجتناب هذا الظلم يشفع للإنسان فى سائر سيئاته،فمن لا يصلى و لكنه لا يعتدى على الناس فى أموالهم و أنفسهم قد يشفع له التزامه بحقوق الناس فى غفران ذنبه،لان الهدف الأسمى من الصلاه زياده الايمان و احترام حقوق الناس،أما من يصلى و يأكل أموال الناس أو يقتلهم فان صلاته لن تنفعه و لن تشفع له..

ان عمل الإنسان الصالح يشفع له فى عمله السىء،و لكن بشرط أن يكون العمل الصالح أكبر من السيئه،قال اللّٰه تعالى: (إِنَّ الْحَسَنٰاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئٰاتِ) .

إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبٰائِرَ مٰا تُنْهَوْنَ عَنْهُ مثل الشرك باللّٰه،و ظلم الناس،و قتل النفس المحترمه و...و...إلخ...

نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئٰاتِكُمْ

أی نسترها.بعملکم الصالح،حتی لا تحاسبوا علیها تماما کما یکفر الفلاح البذره فی الأرض و یجعلها تحت التراب....

وَ نُدْخِلْکُمْ مُدْخَلاً کَرِیماً ذلک المدخل الکریم هو الفلاح فی الدنیا،و السعاده فی الآخره،ذلک ان الإنسان الذی یسیطر علی أهوائه فی الذنوب الصغیره یوفقه اللّه للسیطره علی ذاته فی الذنوب الکبیره فتکون حیاته کریمه،و الحیاه الکریمه هی التی تتوفر فیها الحاجات الجسدیه و النفسیه معا،و هذه الحیاه سوف تساعد صاحبها علی بلوغ الجنه.

و المدخل:الباب الذی یدخل اللّه عباده منه.

لا تحسد الآخرین:

[۳۲]من عوامل الشقاء البشری الحسد،و هو صفه نفسیه نابعه من قصر الرؤیه و ضیق الصدر،حیث یزعم الإنسان ان نعم اللّه محدوده،و ان فرص الحیاه قد انتهت...

و لذلک فهو یتمنی لو یفقد الآخرون النعم لیحصل هو علیها،بینما المفروض أن یفکر فی الحصول علیها کما حصل أولئک علیها بالطرق المشروعه...

و بالطبع یسبب الحسد عقدا نفسیه مؤلمه تنعکس علی السلوک فاذا بصاحبها یحاول مع الآخرین من التقدم و الاستمتاع بالحیاه.

ان التاجر المحتکر،و السلطان الدیکتاتور،و الرئیس المستبد،و العالم العنید،

و الفقير الكسول الذى لا يفتر عن اجترار الآهات،انهم جميعا حسّاد يريدون استلاب ما فى أيدى الناس.

و يضع اللّه لهؤلاء علاجا نفسيا عبر النقاط التاليه:

إن اللّه هو الذى فضل الناس بعضهم على بعض،و اللّه عادل لا يظلم و لا يسأل عما يفعل.

ان اللّه لم يفضل أحدا إلا بما اكتسبه بجهده،سواء كان رجلا أو امرأه، و أنت إذا أجهدت حصلت على ذلك الفضل مثله.

فبدلا من تمنى ما عند الناس لماذا لا تتمنى ما عند اللّه،و تتحرك أنت أيضا كما تحرك أولئك الذين فضلهم اللّه و تجهد نفسك،و اللّه يعلم جهدك و يعطيك مثلما أعطاهم.

وَ لاٰ تَتَمَنَّوْا مٰا فَضَّلَ اللّٰهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلىٰ بَعْضٍ لِلرِّجٰالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَ لِلنِّسٰاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَ سْئَلُوا اللّٰهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللّٰهَ كٰانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً و إذا استطاع المجتمع أن ينطلق من قاعده تكافؤ الفرص،و الاعتقاد،بأن كل من يعمل يحصل على نصيبه فان تناحره و تباغضه يتحول الى تنافس بناء يخدم الجميع.

الإرث عامل تفاضلى:

[۳۳]و قد لا يكون الفرد قد اكتسب شيئا بنفسه،و لكنه ورث والده الذى حصل على المال بجهده،و قد فضل اللّه الابن على الآخرين فى الرزق كرامه لأبيه،و تشجيعا له و للآخرين أن يعملوا و ينشطوا فى الانتاج.

من هنا عاد القرآن و ذكر الإرث باعتباره من عوامل التفاضل الاجتماعی و قال:

وَ لِكُلٍّ جَعَلْنا مَوالِيَ مِمّا تَرَكَ الْوالِدانِ وَ الْأَقْرَبُونَ أی أورثنا كل إنسان مواليه الذين هم اولی الناس به،و تشجيعا له علی العمل و بذلك أعطينا تركه الوالدين و الأقربين لألصق الناس بهم.

وَ الَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ و هذه الفئه هی التی تمت للعائله بصله عن طريق عقد التحالف،فأمر القرآن أن يعطی لهم نصيب من الإرث حسب التعاقد.و تسمی هذه الفئه ب(ضامن الجريره)و هی ترث و تورث حسب الاتفاق.

و فی الوطن الاسلامی الكبير حيث ينفصل الكثير من الناس عن مواطنهم الاصليه،فيحتاجون الی اسره ينتمون إليها و يتبادلون معها الحب و التعاون فی شؤون الحياه،هنالك شرع الإسلام قانون التحالف،و تحدث هنا عن جانبه الاقتصادی حيث يصبح الفرد كواحد من أبناء الاسره يرثها و يورثها و يضاعف هذا القانون من قوه التحالف و التماسک،و يجعل للافراد مأوی اجتماعی يلجأون اليه فی مواجهه صعوبات الحياه.

و لكن بما ان بعض الناس يمكن أن يخونوا تحالفهم مع هؤلاء الضعفاء لذلك حذر القرآن من ذلك و قال:

إِنَّ اللّهَ كانَ عَلی كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً فلا تفكروا فی نقض الميثاق،و نكث الحلف.

[سوره النساء (۴): الآیات ۳۴ الی ۴۲]

اشاره

اَلرِّجالُ قَوّامُونَ عَلَی اَلنِّساءِ بِما فَضَّلَ اَللّهُ بَعْضَهُمْ عَلی بَعْضٍ وَ بِما أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوالِهِمْ فَالصّالِحاتُ قانِتاتٌ حافِظاتٌ لِلْغَیْبِ بِما حَفِظَ اَللّهُ وَ اَللاّتِی تَخافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَ اُهْجُرُوهُنَّ فِی اَلْمَضاجِعِ وَ اِضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَکُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَیْهِنَّ سَبِیلاً إِنَّ اَللّهَ کانَ عَلِیًّا کَبِیراً (۳۴) وَ إِنْ خِفْتُمْ شِقاقَ بَیْنِهِما فَابْعَثُوا حَکَماً مِنْ أَهْلِهِ وَ حَکَماً مِنْ أَهْلِها إِنْ یُرِیدا إِصْلاحاً یُوَفِّقِ اَللّهُ بَیْنَهُما إِنَّ اَللّهَ کانَ عَلِیماً خَبِیراً (۳۵) وَ اُعْبُدُوا اَللّهَ وَ لا تُشْرِکُوا بِهِ شَیْئاً وَ بِالْوالِدَیْنِ إِحْساناً وَ بِذِی اَلْقُرْبی وَ اَلْیَتامی وَ اَلْمَساکِینِ وَ اَلْجارِ ذِی اَلْقُرْبی وَ اَلْجارِ اَلْجُنُبِ وَ اَلصّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَ اِبْنِ اَلسَّبِیلِ وَ ما مَلَکَتْ أَیْمانُکُمْ إِنَّ اَللّهَ لا یُحِبُّ مَنْ کانَ مُخْتالاً فَخُوراً (۳۶) اَلَّذِینَ یَبْخَلُونَ وَ یَأْمُرُونَ اَلنّاسَ بِالْبُخْلِ وَ یَکْتُمُونَ ما آتاهُمُ اَللّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ أَعْتَدْنا لِلْکافِرِینَ عَذاباً مُهِیناً (۳۷) وَ اَلَّذِینَ یُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ رِئاءَ اَلنّاسِ وَ لا یُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَ لا بِالْیَوْمِ اَلْآخِرِ وَ مَنْ یَکُنِ اَلشَّیْطانُ لَهُ قَرِیناً فَساءَ قَرِیناً (۳۸) وَ ما ذا عَلَیْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللّهِ وَ اَلْیَوْمِ اَلْآخِرِ وَ أَنْفَقُوا مِمّا رَزَقَهُمُ اَللّهُ وَ کانَ اَللّهُ بِهِمْ عَلِیماً (۳۹) إِنَّ اَللّهَ لا یَظْلِمُ مِثْقالَ ذَرَّةٍ وَ إِنْ تَکُ حَسَنَةً یُضاعِفْها وَ یُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْراً عَظِیماً (۴۰) فَکَیْفَ إِذا جِئْنا مِنْ کُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِیدٍ وَ جِئْنا بِکَ عَلی هؤُلاءِ شَهِیداً (۴۱) یَوْمَئِذٍ یَوَدُّ اَلَّذِینَ کَفَرُوا وَ عَصَوُا اَلرَّسُولَ لَوْ تُسَوّی بِهِمُ اَلْأَرْضُ وَ لا یَکْتُمُونَ اَللّهَ حَدِیثاً (۴۲)

اللغه

۳۴[نشوزهن]:النشوز الترفع علی الزوج.

[اهجروهن]:اترکوهن.

[المضاجع]:جمع مضجع و هو محل النوم و فراشه و أصل الضجوع الاستلقاء.

۳۵[شقاق]:خلاف.

ص:۶۹

۳۶[الجار ذی القربی]:القریب.

[الجار الجنب]:بالغریب.

[مختالا]:أصل المختال من التخیل و هو التصور لأنه یتخیل بحاله مرح البطر و المختال الصلف التیاه.

ص:۷۰

الحقوق الاجتماعيه فی القرآن

هدی من الآیات:

فی هـذا الـدرس یبین القرآن الحقوق و الواجبـات الاجتمـاعیه،ابتـداء من الحقوق المتبـادله بین الزوجین،و مرورا بحق الأقارب و المحرومین،و انتهاء بحق المجتمع فی ثروه الأغنیاء.

و فی الـدرس القادم یتابع القرآن الحـدیث عن حق العلم و واجب رجال العلم عموما،و رجال العلم الدینی خصوصا،تجاه العلم و تجاه المجتمع.

و خلال حـدیثه عن حقوق هؤلاء یوصـینا القرآن بضـروره تحدیـدها فی اطار القیم الاسـلامیه،حتی لا یتحول أی واحد منهم الی طاغوت اجتماعی یطاع من دون اللّه.

للزوج حقـوقه و لکـن فی اطــار طـاعه اللّه،و طـاعه رسـوله،و اولی الأـمر ممـن أمر اللّه بطـاعتهم،و إذا أراد الزوج تجـاوز هــذا الإطـار،فعلی الزوجه أن ترد علیه و تطرده بـالقوه،و الاّ فانها تصـبح مشـرکه و عابـده للطاغوت،لأن کل من أطیع من دون اللّه فهو طاغوت.

ص:۷۲

و كـذلك للوالـدين حقوقهم بشـرط الاّـ يتبعهم المسـلم فى كـل مـا زعموه،أو فعلوا من أفكـار أو أعمـال،و الاّ فان الإحسان الى الوالدين يتحول الى عباده ممقوته لهما و شرك واضح.

و هكذا رجال المال لهم احترامهم،و لكن إذا بخلوا بأموالهم فهم أسوأ الناس،و على المجتمع ان يسقطهم من عينه،حتى لا يصبح هؤلاء طبقه تستعبد الناس طغيانا و ظلما.

و هكذا رجال العلم و الدين لهم حقوقهم،و لكن دون أن يصبح هؤلاء طبقه طاغيه تعبد من دون اللّه.

بينات من الآيات:

لماذا قيمومه الرجل

؟ [۳۴]لا بـد للمجتمع من التنظيم،و لا بـد للتنظيم من قيم تحكمه،و تحد من طغيانه و تجاوزه،و يبدأ التنظيم فى الاسـره و بالذات فى العلاقه بين الزوج و الزوجه من يقود الآخر؟ ان اللاقياده فوضى يرفضها الإسلام،كما ترفضها الطبيعه،حيث أن اللّه خلق الذكر بحيث جبل على حب القياده،بينما خلق الأنثى و فطرها على الانسجام و الطاعه.

و لـذلك حـدثت تجاوزات من قبل الـذكر فى حقوق الأنثى،و جاءت رسالات السـماء لتحد من هذه التجاوزات،و لتضع حدودا حاسمه لقياده الذكر للأنثى.

من هنا نستطيع أن نؤكّد أن إعطاء الإسلام حق القياده للرجل داخل

الاسره،ليس سوى تقرير للوضع القائم فطريا،فهو لم يبدع حقيقه بل أقرّبها تمهيدا لتنظيم القياده،و تحديد اطار مناسب لها يمنع الزوج من تجاوزه.

القرآن يسمى النظام ب(القيام)،و يسمى المنظم ب(القيم)و(القائم بالأمر)،و القائم يبالغ فيه و يقال قوام(مثل ضارب،ضراب،صائم،صوام، و هكذا)و قد استخدم القرآن هنا كلمه قوام للتعبير عن تحمل الرجال لتنظيم شؤون نسائهم بشكل مستمر،و يحمل هذا اللفظ معنى المسؤوليه التامه عن شؤونهم.

اَلرِّجالُ قَوّامُونَ عَلَى النِّسٰاءِ بِمٰا فَضَّلَ اللّٰهُ بَعْضَهُمْ عَلىٰ بَعْضٍ وَ بِمٰا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوٰالِهِمْ و يجيب القرآن على ذلك فيقول بسببين:

(۱)بالجهد الذى يبذله هؤلاء،ذلك الجهد الذى يجعل بعض الرجال أفضل من بعض فى المراتب الاجتماعيه،فبعضهم يصبح غنيا،و البعض فقيرا، و بعضهم يصبح مفكرا،و البعض عاملا...و هكذا و كذلك الرجال أكثر جهدا و أصعب عملا من النساء.و لذلك تحملوا المسؤوليه دون النساء.

و لأننا نقبل تفاضل الرجال فيما بينهم بسبب الجهد الذى يبذله البعض دون الآخر، فلا بد أن نقبل أفضليه الرجال على النساء لذات السبب.

(۲)بالعطاء فعلى الرجال أن ينفقوا على النساء،بل أن طبيعه الرجال و فطرتهم الصافيه تدفعهم الى الإنفاق على النساء،و قد بين التشريع السماوى هذه الطبيعه،و فرض على الرجال الإنفاق على النساء.

و بكلمه:المسؤول(و القائد و المنظم)يجب أن يكون الأكثر جهدا و الأكثر إنفاقا من النساء،و لذلك فهم المسؤولون الطبيعيون عن الاسره،و سوف يفقدون هذه المسؤوليه بقدر توانيهم عن العمل أو العطاء.

و إذا كانت القياده للرجال،فعلى النساء الطاعه،فالمرأه الصالحه هى الأكثر طاعه للّه و لزوجها،و الأكثر حفظا لفرجها الذى اختص به الزوج،و لقد زوّد اللّه المرأه بالحياء الفطرى و العلاقه الرقيقه بالزوج،و أمرها بأن تحفظ نفسها عن التعلق بغير الزوج و قال:

فَالصّالِحاتُ قانِتاتٌ حافِظاتٌ لِلْغَيْبِ بِما حَفِظَ اللّهُ حافظات للغيب:أى تحفظ نفسها عن الزنا فى غياب الزوج.

اما إذا تجاوزت المرأه حدها،و لم تطع الزوج فى حقوقه،بل بدأت تنظر فيما وراء حصن الزوجيه،هنالك يعطى الإسلام الحق للزوج بأن يفرض النظام على مملكته داخل البيت بالقوه المتدرجه،فيبدأ بالنصيحه،ثم يبتعد عنها فى الفراش ليشعرها بالوحده،ثم يضربها ضربا خفيفا(و قد جاء فى الحديث يضربها بالمسواك)كل ذلك ليعبر عن انزعاجه و غضبه من تصرفاتها.و يبدو أن المرأه العاديه تستجيب لهذه العقوبات، و عليه فلا بد للزوج أن يقتصر عليها، و لا يستخدم العقوبات فى فرض الظلم فى البيت،بل فقط فى فرض الحقوق، و ليعلم الزوج أن اللّه أكبر منه،و أنه لو ظلم الزوجه فان اللّه سوف ينتصر لها.

وَ اللاّتِى تَخافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَ اهْجُرُوهُنَّ فِى الْمَضاجِعِ وَ اضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللّهَ كانَ عَلِيًّا كَبِيراً

متى تبدأ مسئوليه المجتمع

[۳۵]متى تنتهى حدود القياده التى منحت للزوج،و تبدأ مسئوليه المجتمع حين يكون الخلاف بينهما حادا و جذريا،فلم يكن الخلاف فى بضعه حقوق تقصر فيها الزوجه،بل تهم متبادله و حقوق ضائعه،هنا لا يجوز للزوج أن

يفرض وجهه نظره على البيت،و يضيع حقوق الزوجه.

بل لا بـد أن يتـدخل المجتمع قبل أن ينتهى الأمر الى الطلاق،و ذلك بأن يبعث أهل الزوج و أهل الزوجه حكمين يتفاوضان فى الأمر،فاذا توصلا الى حـل فرضاه على الزوجين،و على هـذين الحكمين أن يخلصا نيّتهما حتى يجمع اللّه بهما بين الزوجين مره أخرى،و إخلاص النيه هو إراده الإصلاح حقيقه.

وَ إِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وَ حَكَماً مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلاحاً يُوَفِّقِ اللّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيماً خَبِيراً

كيف تكون علاقاتک الاجتماعيه

؟ [۳۶]المجتمع الاسـلامى يبنى على قاعـده التوحيـد و التحرر،فهو لا ـ يؤمن الاّ ـ بـاللّه،و لا ـ يسـلم الاّ لمنهجه،و لا يعترف بأيه قوه ضاغطه أو عقبه فى طريق تطبيق شرائع اللّه.

عباده اللّه هى التسليم له،و تفجير كل الطاقات و توجيهها فى قنوات منهجه.

و الشرك باللّه هو الخضوع لأيه قياده أخرى أو أيه قوه اجتماعيه من دون اللّه.

فالتسليم للوالدين بصفه مطلقه و اتباعهما بلا قيد أو شرط،شرك و عبوديه لغير اللّه،و عقبه فى طريق تقدم الانسانيه و تطورها.

و التسـليم للاسـره مثل التسـليم للوالدين شرك و عبوديه،و التسليم للأغنياء شرك و عبوديه و عقبه،و التسليم لرجال الكهنوت،أو رجال العلم شرك و عبوديه و عقبه.

و المجتمع المسلم متحرر من كل ذلك التسليم،و مسلم وجهه للّه الواحد

القهار،و يردد مع إبراهيم-الأب الروحى لكل المجتمعات التوحيديه الخالصه- يردد:(إِنَّ صَلاٰتِی وَ نُسُکِی وَ مَحْیٰایَ وَ مَمٰاتِی لِلّٰهِ رَبِّ الْعٰالَمِینَ).

و فی هـذه الآیـات و الآیـات التی تأتی یبیّن القرآن نوع العلاقه التی یجب أن تحکم علاقتک بالناس،ابتـداء من أقاربک و انتهاء برجال الدین،و مرورا بالمحرومین و الأغنیاء.

و یبـدأ القرآن حـدیثه بـالنهی عن علاـقه الشـرک،التی تعنی التسـلیم المطلق، و الأـمر-بـدیلا عنه-بعلاـقه الإحسان فما هی هـذه العلاـقه؟ انهـا علاـقه العطـاء من الیـد العلیا،لا العطاء و أنت صاغر مکره،و الفارق بینهما:أنک فی حاله العطاء بالیـد العلیا لم تفقد شخصـیتک،و لـم تتنـازل عن عقلـک و أرادتـک و اسـتقلالک و حریتـک،أمـا فی الصـوره الثـانیه فانـک قـد هبطت الی درک العبودیه.

ان الـذین یطیعون آباءهم بعلّه انهم آباؤهم سواء کان هؤلاء مهتـدین أو ضالین لا یعقلون شـیئا،و هؤلاء ینطلقون فی عبادتهم من الضعف و الهزیمه، و بالتالی یفقدون صفه الإنسان،و یتحولون الی آله صماء تتحرک بلا اراده.

أمـا الـذین یحسـنون لآبـائهم دون أن یطیعوهم طـاعه عمیـاء،و ینفقون علیهم دون ان یتنازلوا عن حریتهم،فهم ینطلقون من موقع القوه،و یحققون أصالتهم، و یثبتون حریتهم و استقلالهم بذلک.

من هنا جاءت الکلمه الاولی فی هذه الآیه تقارن بین العباده و الإحسان فقالت:

وَ اعْبُدُوا اللّٰهَ وَ لاٰ تُشْرِکُوا بِهِ شَیْئاً وَ بِالْوٰالِدَیْنِ إِحْسٰاناً

ص:۷۷

فالعباده للّه و الطاعه له،و للوالدين و سائر أبناء المجتمع الإحسان.

وَ بِذِى الْقُرْبى وَ الْيَتامى وَ الْمَساكِينِ ذو القربى هم رحمك الـذين تشترك معهم فى الأسره أو العشيره الواحده، فعليك أن تحسن إليهم سواء كانوا أغنياء أو فقراء و لكن دون أن تعبدهم،و هذا يعنى انه لا يجوز لكأن تربط مصيرك بمصيرهم دون استقلال فكرى لأنه جاهليه و شرك،و دون أن تخالف النظام الاسلامى فى تأييدك للأقارب،و لا أن تنصرهم ضد المظلومين،و تجادل عنهم فى الباطل،كما يفعل الجاهليون الجدد اليوم فى مجتمعاتنا الفاسده.

ان النظام العشائرى مطلوب فى المجتمع الاسلامى،بشرط أن يكون اطارا للتعاون البناء،و التفاعل الفكرى و الاجتماعى،دون ان يكون وسيله للعصبيه، و سحن حقوق الناس،و تجاوز قيم الرساله.

و بعد الأقارب يأتى اليتيم،و على أبناء المجتمع الاّ يحسبوا اليتيم فقيرا أو مسكينا يحتاج الى دعمهم المادى فحسب،بل عليهم أن يغدقوا عليه من حنانهم كما لو كان قريبا من أقاربهم،و لذلك فضله القرآن عن المساكين.

و فى المرحله الثالثه يأتى المسكين و هو الذى أسكنه الفقر،و يجب أن تكون علاقتك بالمسكين هى علاقتك بالوالدين العطاء دون خضوع أو تسليم،كما هى ذاتها علاقتك مع الأغنياء بلا فرق.

اما المرحله الرابعه فيأتى دور الجار القريب،و الجار الملاصق،و إذا كانت العلاقه بين الجيران(و الذين كان تربطهم القرابه قديما فى الغالب)علاقه الإحسان،سهل التعاون بينهم،و تحولوا الى قوه بناءه داخل المجتمع المسلم.

ص:٧٨

ذلـك ان المجتمع المسـلم يسـتفيد من كـل العلاقـات الطبيعيه كـالقرابه و الجوار و غيرهما من أجل تأصـيل جـذور المجتمع فى أنفس الأفراد،و تحويلهم الى كتله صخريه تقاوم الانحرافات و لكن بعد أن يهذبها تهذيبا كاملا.

وَ الْجارِ ذِی الْقُرْبی وَ الْجارِ الْجُنُبِ و الجار الجنب:أی الملاصق.

ثم تأتی مرحله الزماله سواء كانت فی الطریق،أو فی الدراسه،أو فی الشغل، انها إطار جید للتعاون البناء،بید أن المشكله هی حب الذات و البخل و الشح النفسی،مما یشكل عقبه فی طریق التعاون،و الإسلام یأمر بتصفیه هذه العقبه عن طریق الإحسان.

فانك حین تحسن الی صاحبك بالجنب(زملك).فانك سوف تكسبه و تكسب ودّه و تمهد الطریق لتعاون بناء.

وَ الصّاحِبِ بِالْجَنْبِ و الغریب الـذی فقـد ماله علینا ان نضـیّفه و نعینه حتی یعود الی بلـده،و مما ملكت أیـدینا من أسـراء الحرب علینا أن نحسن إلیهم،فلا نتعالی فوقهم بالباطل لمجرد أننا أرفع درجه منهم فی المجتمع.

وَ ابْنِ السَّبِیلِ وَ ما مَلَكَتْ أَیْمانُكُمْ إِنَّ اللّهَ لا یُحِبُّ مَنْ كانَ مُخْتالاً فَخُوراً

البخل مرض الأغنياء

[۳۷]الجبل الراسـی ینحدر منه السـیل بقوه و اندفاع،و لكن دون أن تتأثر صخوره الصلبه بأمواج السیل أو بهدیره،كذلك المؤمن ینحدر منه الإحسان الی

ص:۷۹

كل جوانب الحياه،و لكن دون أن يسبب الإحسان فى ضعفه أو استسلامه.

المؤمن لا يتعالى على الفقراء،و فى ذات الوقت لا يسمح أن يتعالى عليه الأغنياء،و لا يخضع لرجال العلم و لكنه لا يمنع نفسه فضلهم،بل يحسن إليهم كما يحسن الى الفقراء دون فرق.

اما الأغنياء الذين يريدون أن يفرضوا عليه سلطانهم،فالمؤمن يثور عليهم و لا يخضع أبدا لما لهم،و لا يخشى عقابهم.

و لكن بما ان أغلب الأغنياء يفرضون سلطانهم على الضعفاء بشكل أو آخر، فان القرآن بدأ حديثه عن سلبيات هذه الطبقه الاسقاطها فى أنظار الناس،الاّ إذا التزموا بشروط الطاعه للّه و الرسول و القياده الاسلاميه،و الإنفاق فى سبيل اللّه بإخلاص تام،و قال:(إِنَّ اللّٰهَ لاٰ يُحِبُّ مَنْ كٰانَ مُخْتٰالاً فَخُوراً) اَلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَ يَأْمُرُونَ النّٰاسَ بِالْبُخْلِ وَ يَكْتُمُونَ مٰا آتٰاهُمُ اللّٰهُ مِنْ فَضْلِهِ المختال:هو المغرور بثروته أو أى ميزه اخرى له،و الفخور هو المتظاهر بهذه الثروه و المتكبر بها على الناس،و هذه الصفه النفسيه ناشئه من الشعور بالضعف و النقص،و محاوله جبران هذا الشعور بالاختيال و الفخر و التكبر.

ان الإنسان يختال بنعم اللّه عليه،و يتطاول على الناس بها،و الطبقه الغنيه هى الأكثر تعرضا لخطر هذه الصفه.أما الممارسات السلوكيه التى تفرزها هذه الصفه السيئه فهى البخل،لأن المختال بماله يخشى أن ينفلت المال من يديه فيفقد شخصيته،و لذلك يحرص على المال حرصه على حياته و شخصيته و كرامته، و يعتبر بالمال القيمه الوحيده فى حياته.

و لكن البخيل المختال بماله سرعان ما يكتشف ان الذين ينفقون أموالهم

يكتسبون شهره واسعه و علوا عند الناس،فيبدأ ينهى الناس عن الإنفاق حتى يصبحوا مثله و يجعل رسالته فى الحياه الصد عن سبيل الإنفاق.

و حين يشتد ضغط الناس عليه بضروره الإنفاق،تراه يكتم عن الناس ثرواته و يتظاهر بالفقر،و فى بعض الحالات يكتم المختال ثروته خوفا عليها، و حفاظا لها عن أعين المنافسين.

و يقع البخيل فيما هرب منه،أ و ليس هرب من الفقر و ما فيه من صفه اجتماعيه و قيود ماديه،فها هو عاد فجلب الى ذاته كراهيه الناس،كما قيد نفسه عن الإنفاق،و كتم نعم اللّه عليه و لم ينتفع بها،أو ليس هذا فقرا أشد ألما من عدم الفقراء و مسكنه الصعاليك،من هنا جاء فى الحديث:(البخل فقر حاضر) و ينهى القرآن الآيه بهذه الكلمه:

وَ أَعْتَدْنا لِلْكافِرِينَ عَذاباً مُهِيناً للايحاء بأن كتمان نعم اللّه،و البخل بها،و الاختيال و الفخر،انما هى كفر باللّه و مما آتاه اللّه للإنسان من نعم الحياه،و بالنسبه للمختال يهيء له اللّه عذابا مهينا،جزاء تطاوله على الناس و تكبره عليهم.

المرائى شيطان ناطق

[۳۸]بلى طبقه الأغنياء تنفق المال و لكن لمن؟و لماذا؟ انها تنفق المال لأولئك المتملقين الذين يكيلون لهم الثناء الباطل بغير حساب،و يزينون للناس صورتهم القبيحه،و هم يقصدون من وراء ذلك امتصاص المزيد من جهد الناس و حقوقهم.

و هذه الطبقه المتملقه يسميها القرآن هنا شيطانا لأنها تخدع صاحبها و تضله عن الصراط و تزين له اعماله السيئه و يقول:

وَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ رِئاءَ النّاسِ وَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَ لا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَ مَنْ يَكُنِ الشَّيْطانُ لَهُ قَرِيناً فَساءَ قَرِيناً [۳۹]و لنتساءل من هؤلاء؟و لماذا يكفرون باللّه و لا ينفقون أموالهم الاّ رياء؟أو ليست هذه الأموال نعم اللّه عليهم،أو لا ينبغى لهم شكر اللّه على نعمه بالايمان به و الإنفاق فى سبيله؟و ما الذى يخشى هؤلاء من الايمان و الإنفاق؟هل يخشون أن يسلب اللّه نعمه عنهم لو أنفقوها فى سبيله؟أم يخشون ان لا يجازيهم عليها؟ وَ ما ذا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ أَنْفَقُوا مِمّا رَزَقَهُمُ اللّهُ وَ كانَ اللّهُ بِهِمْ عَلِيماً [۴۰] إِنَّ اللّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقالَ ذَرَّهٍ فهو يجازى الناس بالضبط،و إذا كفر شخص بقدر وزن ذره صغيره، فانه يجازيه بقدر كفره.

اما إذا أحسن بهذا القدر فهو ليس يجازيه فحسب،بل و يزيد له من رحمته.

وَ إِنْ تَكُ حَسَنَهً يُضاعِفْها وَ يُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً يضاعفها فى الدنيا،و يجزى عليها بثواب عظيم فى الآخره.

من هو القائد

؟ [۴۱]طبقه الأغنياء تتعالى على الناس بالباطل،و تتعالى على القياده

الشرعیه،و تحاول التمرد علیها خصوصا فی إعطاء حقوقها من الضرائب الشرعیه.

من هنا جاء ذکر الرسول صلی الله علیه و آله باعتباره القیاده الشرعیه،و بیّن اللّه ان الرسول صلی الله علیه و آله هو القائد الحقیقی للناس،فاذا لم یطعه شخص فی الدنیا فانه فی الآخره شهید علیه،و هنالک یتمنی هذا الشخص انه کان تحت التراب و لم یعص اللّه،و یکتم نعم اللّه علیه و یقول کذبا أن لیس للّه علیه حقوق کما تفعل طبقه الأغنیاء.

فَکَیْفَ إِذٰا جِئْنٰا مِنْ کُلِّ أُمَّهٍ بِشَهِیدٍ وَ جِئْنٰا بِکَ عَلیٰ هٰؤُلاٰءِ شَهِیداً [۴۲] یَوْمَئِذٍ یَوَدُّ الَّذِینَ کَفَرُوا وَ عَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوّٰی بِهِمُ الْأَرْضُ وَ لاٰ یَکْتُمُونَ اللّٰهَ حَدِیثاً تسوّی بهم الأرض تعبیر رائع للدلاله علی أنهم یودون لو کانوا تحت التراب بحیث لا یبقی لهم أثر ظاهر علیه.

ص:۸۳

[سوره النساء (۴): الآيات ۴۳ الی ۵۰]

اشاره

يَا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقْرَبُوا اَلصَّلاٰةَ وَ أَنْتُمْ سُكٰارىٰ حَتّٰى تَعْلَمُوا مٰا تَقُولُونَ وَ لاٰ جُنُباً إِلاّٰ عٰابِرِي سَبِيلٍ حَتّٰى تَغْتَسِلُوا وَ إِنْ كُنْتُمْ مَرْضىٰ أَوْ عَلىٰ سَفَرٍ أَوْ جٰاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ اَلْغٰائِطِ أَوْ لاٰمَسْتُمُ اَلنِّسٰاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مٰاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَ أَيْدِيكُمْ إِنَّ اَللّٰهَ كٰانَ عَفُوًّا غَفُوراً (۴۳) أَ لَمْ تَرَ إِلَى اَلَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ اَلْكِتٰابِ يَشْتَرُونَ اَلضَّلاٰلَةَ وَ يُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا اَلسَّبِيلَ (۴۴) وَ اَللّٰهُ أَعْلَمُ بِأَعْدٰائِكُمْ وَ كَفىٰ بِاللّٰهِ وَلِيًّا وَ كَفىٰ بِاللّٰهِ نَصِيراً (۴۵) مِنَ اَلَّذِينَ هٰادُوا يُحَرِّفُونَ اَلْكَلِمَ عَنْ مَوٰاضِعِهِ وَ يَقُولُونَ سَمِعْنٰا وَ عَصَيْنٰا وَ اِسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَ رٰاعِنٰا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَ طَعْناً فِي اَلدِّينِ وَ لَوْ أَنَّهُمْ قٰالُوا سَمِعْنٰا وَ أَطَعْنٰا وَ اِسْمَعْ وَ اُنْظُرْنٰا لَكٰانَ خَيْراً لَهُمْ وَ أَقْوَمَ وَ لٰكِنْ لَعَنَهُمُ اَللّٰهُ بِكُفْرِهِمْ فَلاٰ يُؤْمِنُونَ إِلاّٰ قَلِيلاً (۴۶) يٰا أَيُّهَا اَلَّذِينَ أُوتُوا اَلْكِتٰابَ آمِنُوا بِمٰا نَزَّلْنٰا مُصَدِّقاً لِمٰا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهاً فَنَرُدَّهٰا عَلىٰ أَدْبٰارِهٰا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمٰا لَعَنّٰا أَصْحٰابَ اَلسَّبْتِ وَ كٰانَ أَمْرُ اَللّٰهِ مَفْعُولاً (۴۷) إِنَّ اَللّٰهَ لاٰ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَ يَغْفِرُ مٰا دُونَ ذٰلِكَ لِمَنْ يَشٰاءُ وَ مَنْ يُشْرِكْ بِاللّٰهِ فَقَدِ اِفْتَرىٰ إِثْماً عَظِيماً (۴۸) أَ لَمْ تَرَ إِلَى اَلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اَللّٰهُ يُزَكِّي مَنْ يَشٰاءُ وَ لاٰ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً (۴۹) اُنْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اَللّٰهِ اَلْكَذِبَ وَ كَفىٰ بِهِ إِثْماً مُبِيناً (۵۰)

اللغه

۴۳[لامستم]:واقعتم النساء.

[صعيدا]:وجه الأرض.

۴۶[ليا]:اللّى الفتل وليا من لوى يلوى إذا حرف و أمال ولى اللسان تحريكه لتحريف الكلام.

ص:۸۴

۴۷[نطمس]:الطمس عفو الأثر،و طمس الشیء إذهاب أثره.

۴۸[افتری]:اختلق و کذّب.

۴۹[یزکون]:التزکیه التطهیر و التنزیه.

[فتیلا]:الفتیل هو ما فی شق النوات من خیط ضعیف.

ص:۸۵

مسئوليه العلم و خطر الانحراف

هدى من الآيات:

الآـيه الاـولى تتنـاول التطهّر و تثير هـذا السؤال:لمـاذا هنـا بالـذات بين القرآن موضوع الطهـاره الجسـديه؟ألم يكن من الأولى أن تتحـدث عنهـا ضـمن آيـات الصـلاه مثلاـ؟ الجواب بالاضـافه الى طبيعه التفاعـل بين الطهـاره الجسـديه(موضوع الآيه) و الطهاره الروحيه(موضوع الآيـات السـابقه و اللاـحقه)فـان هنـاك جانبـا اساسـيا آخر يبيّنه لحن ألفـاظ القرآن هو الجـانب الاجتماعى من الطهـاره،حيث يحتمـل الإنسـان مسـئوليه النظـافه رعايه لمشاعر الآخرين،فحين يـدخل المسـجد و يتواجه مع المجتمع فيه عليه أن يكون نظيفـا من السـكر و الجنـابه،فحـتى لو لم يسـتطع التطهر بالمـاء،فعليه أن يتطهر بـالتراب ليرفع عن نفسه قـذارات الجنـابه أو الغائط.

و بعد الحديث عن هذه المسؤوليه يتناول القرآن مسئوليه العلم،باعتباره أداه

فعاله لبناء المجتمع إذا استخدم بأمانه،أو هدمه لو خان صاحبه الامانه.

و علم الـدين هو أبرز مظاهر العلم،و هؤلاء الذين يدّعون علم الدين(و هم فى الواقع لا يعرفون منه الاّ قليلا) و يخونون أمانه العلم فى أعناقهم من أجل مصالـح عاجله و زهيـده،هؤلاء يضـلون الناس بـدل أن يهدوهم،و يحرّفون كلام اللّه،و ينافقون مع رسـله،و عـاقبه هؤلاء لعنـه فى الـدنيا و عـذاب فى الآخره،حيـث تنحرف عنهـم الجمـاهير فى الـدنيا،و يحاسـبهم اللّه فى الآخره حسـاب المشركين.

و من صـفه هؤلاء أنهم يزكون أنفسـهم،و يجعلونها فوق الجميع،و يكذبون على اللّه،و يفضلون قياده الظلمه(الطواغيت)على قياده اللّه و رسله.

و من صـفاتهم السـيئه أنهم بخلاء،يسـتغلون مناصـبهم فى بلاط الطـواغيت،من أجـل التسـلط على النـاس و تحديـد حريـاتهم،و ابتزازهم حسدا و بخلا.

هذه بعض الصفات التى يبتلى بها هؤلاء المثقفون الذين يخونون أمانه الكتاب،فيحرفون فيه لقاء دراهم معدوده.

بينات من الآيات:

الاغتسال زكاه الجسد:

[۴۳]التوضؤ أو الاغتسال يهيئان المؤمن نفسـيا و جسديا للدخول فى محراب العباده،فالذى يخوض فى معارك التجاره،أو صـراع العمل الشاق،يحتاج الى بعض الوقت حتى ينقطع عن مؤثرات التجاره،و آثار العمل،و يستعد للقاء ربه.

و الوضوء أو الغسل يعطيه هذا الوقت،و يعزله مؤقتا من صخب الحياه،و يعطيه فرصه للتفكير الجاد فى مجمل أحداث الدنيا بوعى و تعقل.

و بالاضافه الى هذا الاعداد،فان الغسل و الوضوء يعطى المؤمن أناقه تساعد على تبادل الحب مع إخوانه،و التعاون معهم على البر و التقوى.

مظهر الشخص الذى لا يزال النعاس يملأ عينيه،و الرائحه تتصاعد من حلقه، و تكسو وجهه آثار النوم و الكسل،إن هذا المظهر لا يساعد على التعاون و تبادل الحب بين المسلمين.

و كذلك الذى يحمل فى جسمه آثار المعاشره الجنسيه،أو قذاره الحاجه الطبيعيه،انه مظهر كريه،و ان دل على شىء فانما يدل على اهانه الآخرين،و عدم القيام بواجب احترامهم.

من هنا بيّن القرآن فى مجال حديثه عن المسؤوليات الاجتماعيه،واجب الاغتسال و الوضوء أو التيمم و قال:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقْرَبُوا الصَّلاَةَ وَ أَنْتُمْ سُكَارَى الصلاه عاده تكون فى المساجد و بشكل جماعى،فالاقتراب منها اقتراب من الاخوه المؤمنين،و يدل على ذلك قوله بعدئذ(إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ)أى عابرى السبيل من خلال المساجد.

و السكر هنا قد يكون سكر النوم،أو سكر الخمر قبل أن تصبح حراما،اما بعد أن أصبحت محرمه فان اقتراب المخمور من مجامع المسلمين يعتبر أشد حرمه، لأنها اهانه لمقدسات الامه.

و يرتفع سكر النوم بالوضوء حيث يعود الى الفرد رشده و يصبح كلامه بوعى كامل،و يتجنب المسلمون النزاعات التافهه التى تنشأ بسبب النعاس و ابتداء

الکلمات الشاذه من بعضهم،أو التی تنشأ بسبب فقدان الوعی بالخمر،لذلک أکد القرآن علی أن الوعی شرط مسبق لمن یرید أن یقرب الصلاه و قال:

حَتّٰی تَعْلَمُوا مٰا تَقُولُونَ ثم بیّن ضروره التطهر من الجنابه باعتبارها قذاره جسدیه و نفسیه،ذلک أن التعامل مع المسلمین،أو مناجاه اللّه لا تکون مع جو المعاشره الجنسیه،بما فیها من انغماس فی الشهوه،و ابتعاد موقت عن الحیاء الانسانی.

من هنا جاء الغسل لیکون تطهیرا للجسد من قذاره الجنابه،و اعدادا للروح للدخول فی مجالات انسانیه أخری.

وَ لاٰ جُنُباً إِلاّٰ عٰابِرِی سَبِیلٍ حَتّٰی تَغْتَسِلُوا ان الجنب لا یدخل المسجد الاّ بصوره عابره،یدخل من باب لیخرج من باب آخر،کما لا یحضر تجمعات المسلمین الأخری الاّ بشکل عابر.

و فی صوره تعذر الوضوء أو الغسل،علی الفرد أن یستخدم التراب أداه لتطهیر جسمه و اعداد نفسه،فان التراب طهور یکفی صاحبه عشر سنین إذا استمر عذره.

وَ إِنْ کُنْتُمْ مَرْضیٰ أَوْ عَلیٰ سَفَرٍ أَوْ جٰاءَ أَحَدٌ مِنْکُمْ مِنَ الْغٰائِطِ أَوْ لاٰمَسْتُمُ النِّسٰاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مٰاءً فَتَیَمَّمُوا أی توجهوا الی الأرض.

صَعِیداً طَیِّباً منطقه نظیفه من الأقذار.

فَامْسَحُوا بِوُجُوهِکُمْ وَ أَیْدِیکُمْ

من ذلک الصعید بعد أن تضربوا فیه أیدیکم،و تمسحوا بها علی الجبهه حتی الأنف،ثم علی ظهر الکفین.

إِنَّ اللّٰهَ کٰانَ عَفُوًّا غَفُوراً یسهل علیکم أمر الدین،و یجعل لکم بدل الماء ترابا تطهرون به أنفسکم.

الضلاله نتیجه الخیانه:

[۴۴]هؤلاء فریق من الناس یخونون أمانه العلم فی أعناقهم،و یشترون بعلمهم متاع الحیاه الدنیا،و لکن هذا المتاع لا یأتیهم الاّ مقرونا بالضلاله و الانحراف عن الصراط المستقیم،فرجل العلم الدینی الذی یسکت عن جرائم الظلمه لقاء سلامته،أو فی مقابل بضعه دراهم،لا بد أنه یبدأ فی تأیید مواقف الظلمه،و بالتالی یفقد قدرته علی التمییز بین الحق و الباطل،بل و یصل الی حد الدعوه الی الباطل الذی یمثله الظلمه.

أَ لَمْ تَرَ إِلَی الَّذِینَ أُوتُوا نَصِیباً مِنَ الْکِتٰابِ یَشْتَرُونَ الضَّلاٰلَهَ وَ یُرِیدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِیلَ و قد عبّر القرآن عن هؤلاء المسمون بعلماء الدین بقوله(اَلَّذِینَ أُوتُوا نَصِیباً مِنَ الْکِتٰابِ)استخفافا بهم و بعقولهم،انهم أنصاف المثقفین و لیسوا علماء بالکامل.

اللّٰه نصیر المؤمنین:

[۴۵]یتظاهر هؤلاء الرهبان و الأحبار و علماء الدین الخونه،بالصلاح، و حب الناس،و طیبه القلب فی نصائحهم،بینما هم بمقیاس اللّٰه خونه،و لا أمان لخائن،إنهم سکتوا عن جرائم الطغاه بحق أمتهم فکیف بالآخرین؟!

ان الإنسان المسلم ذكى،لا يأخذ الأشياء ببساطه و طيبه قلب ،بل بالتقييم الموضوعى وفق مقاييس اللّه الذى هو أعلم بالعدو و الصديق.

و يجب الاّ نخشى من هؤلاء الدجالين المقنعين بقناع الدين،و لا نقول(قد) يكونون مقرّبين عند اللّه،بل علينا أن نتصل مباشره باللّه و بهداه فى تقييم الناس، و هو يكفينا شر هؤلاء.

وَ اللّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدائِكُمْ وَ كَفى بِاللّهِ وَلِيًّا وَ كَفى بِاللّهِ نَصِيراً الولى هو:الذى يلى الإنسان فى القرب،أو يلى شؤونه و يقوم بها،و قد يكون للإنسان صديق عاجز و لكن اللّه ولى ينصر عباده.

كيف تعرف العالم المزيف

؟ [۴۶]و إذا أردنا أن نعرف هذا الفريق من الناس،فما علينا إلا أن نلقى نظره على صفاتهم التى من أبرزها تحريف الكتاب،و تأويل آياته فى غير معانيها الصحيحه،فاذا أنزلت آيه فى سلطان جائر حرّفوها حتى تنطبق على السلطان العادل،أو على الشعوب المطالبه بحقوقها.مثلا:يحرفون كلمه الفتنه من معناها الحقيقى الذى يعنى الظلم الى معنى الثوره ضد الظلم،و بدلا من أن يسموا الحكام بالمفتنين و يصدروا بحقهم أحكام القرآن،تجدهم يؤلون ذلك فى الثوار فيسمونهم بأصحاب الفتنه.

هؤلاء منافقون،يميعون قرارات القياده،و يبررون مواقفهم الجبانه ببعض التبريرات السخيفه التى لا تعود الى محصل.

مِنَ الَّذِينَ هادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَواضِعِهِ وَ يَقُولُونَ سَمِعْنا وَ عَصَيْنا وَ اسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ

أی أنهم بعد الاعتراف بالعصیان یحاولون تبریره،و یطلبون الاستماع لهم، الاّ أن أقوالهم لا تستحق السماع.

وَ رٰاعِنٰا لَیًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَ طَعْناً فِی الدِّینِ ان کلامهم و اعتذارهم لا ینطلق من منطلق التوبه،بل من منطلق النفاق، و التمییع للقرارات،و المخالفه لها،و بالتالی الطعن فی الدین و أصوله.

و کان الأفضل لمصلحه هؤلاء الشخصیه،و لاستقامه حیاتهم العامه،أن یطیعوا اللّه اطاعه تامه،حتی إذا خدعتهم الدنیا عن الطاعه،تابوا الی اللّه و طالبوا بأمهالهم فتره من الوقت لکی یطیعوا اللّه فی المستقبل.

وَ لَوْ أَنَّهُمْ قٰالُوا سَمِعْنٰا وَ أَطَعْنٰا وَ اسْمَعْ وَ انْظُرْنٰا أی طلبوا الاستماع الی أعذارهم،و طالبوا بإمهالهم و انظارهم،حتی یطبقوا القرارات فی المستقبل.

لَکٰانَ خَیْراً لَهُمْ وَ أَقْوَمَ أی أکثر نظما لحیاتهم(مقتبس من القیام بمعنی ما یقوم به الشیء) و یبقی سؤال:لماذا خالف هؤلاء أوامر اللّه؟ الجواب:لأنهم یکفرون باللّه فی واقع أمرهم،بالرغم من ایمانهم الظاهر، و اللّه یبعد الکفار عن رحابه.

وَ لٰکِنْ لَعَنَهُمُ اللّٰهُ بِکُفْرِهِمْ فَلاٰ یُؤْمِنُونَ إِلاّٰ قَلِیلاً

ص:۹۲

ما هو مصير الخونه

؟ [۴۷]و المصير الذى ينتظر هؤلاء الخونه من علماء الدين،أنهم يفقدون ثقه الجماهير بهم،و كأن وجوههم قد طمست معالمها،و أصبحت صفيحه ممسوخه لا تعرف،و يعودون الى حاله ما قبل العلم،و كأنهم لم يحصلوا على علم الدين أبدا.

و بالاضافه الى ذلک فإنهم ملعونون،ينزل عليهم صاعقه من قبل اللّه،كما فعل اللّه بالـذين عصوه فى تعطيل يوم السبت،فتحولوا الى قرده و خنازير و هكذا يفعل اللّه بالخائنين.

يا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ آمِنُوا بِما نَزَّلْنا مُصَدِّقاً لِما مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهاً فَنَرُدَّها عَلى أَدْبارِها،أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَما لَعَنّا أَصْحابَ السَّبْتِ وَ كانَ أَمْرُ اللّهِ مَفْعُولاً

الشرک نهايه المطاف:

[۴۸]و النهايه المأساويه التى قد يصل إليها هؤلاء:هى الشرک باللّه،و ذلک بالاستسلام للطواغيت.

و تمهيدا للحديث عن ذلک بيّن القرآن حقيقتين:

الاولى:ان الشرک افتراء عظيم على اللّه،و ان اللّه لن يغفره.

الثانيه:أن هؤلاء يزكّون أنفسهم باستمرار،و يجعلونها مقياسا للحق و الباطل،و لذلک لا يقبلون الانتقاد،و لا هم يقيّمون أنفسهم و يحاسبونها بدقه موضوعيه،و طبيعى فى هؤلاء أن تنتهى مسيرتهم الضاله الى الشرک.

إِنَّ اللّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَکَ بِهِ وَ يَغْفِرُ ما دُونَ ذلِکَ لِمَنْ يَشاءُ

ص:۹۳

أى ان اللّه ذو المغفره الواسعه،و مع ذلک لا یغفر للمشرکین.

وَ مَنْ یُشْرِکْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَری إِثْماً عَظِیماً بالرغم من ان الشرک کذب عظیم،و لکنه فی الواقع ممارسه عملیه لهذا الکذب،و لذلک فهو اثم عظیم،من هنا تجد القرآن قد عبّر أولا-بکلمه(افتری) (الدلاله)علی الجانب النفسی و الفکری فی الکذب،ثم عبّر(اثم)للدلاله علی الجانب العملی منه.

اللّه مقیاس الحق:

[۴۹]و من صفات هؤلاء تزکیه أنفسهم،و جعلها مقیاس الحق و الباطل، بینما الصحیح،أن یجعل الإنسان ربه مقیاسا لذلک،فیقیم ذاته حسب قیم اللّه و أوامره.

أَ لَمْ تَرَ إِلَی الَّذِینَ یُزَکُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللّهُ یُزَکِّی مَنْ یَشاءُ و اللّه عادل فی تقییمه للبشر،و لذلک یجب الاّ یتدخّل البشر ذاته فی هذا المجال خوفا من الحاق الظلم به.

وَ لا یُظْلَمُونَ فَتِیلاً أی بمقدار الخیط الموجود فی شق نواه التمر.

[۵۰]و تزکیه الذات هی افتراء علی اللّه،و ادعاء علیه بأنه قد طهّر هؤلاء من الذنوب،و عصمهم من الزلل.

و هؤلاء الخونه من علماء الدین لا یتورعون عن هذا الکذب، و هو اثم واضح

إذ يسبب فى إفساد المقاييس و القيم،و تشويش الرؤيه،و دفع الناس الى الضلاله.

اُنْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَ كَفى بِهِ إِثْماً مُبِيناً ان الفريه على اللّه تكفى إسقاط صاحبها عن الاعتبار،و سحق شخصيته الاجتماعيه.

ص:٩٥

[سوره النساء (۴): الآیات ۵۱ الی ۵۷]

اشاره

أَ لَمْ تَرَ إِلَی اَلَّذِینَ أُوتُوا نَصِیباً مِنَ اَلْکِتٰابِ یُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَ اَلطّٰاغُوتِ وَ یَقُولُونَ لِلَّذِینَ کَفَرُوا هٰؤُلاٰءِ أَهْدیٰ مِنَ اَلَّذِینَ آمَنُوا سَبِیلاً (۵۱) أُولٰئِکَ اَلَّذِینَ لَعَنَهُمُ اَللّٰهُ وَ مَنْ یَلْعَنِ اَللّٰهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِیراً (۵۲) أَمْ لَهُمْ نَصِیبٌ مِنَ اَلْمُلْکِ فَإِذاً لاٰ یُؤْتُونَ اَلنّٰاسَ نَقِیراً (۵۳) أَمْ یَحْسُدُونَ اَلنّٰاسَ عَلیٰ مٰا آتٰاهُمُ اَللّٰهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَیْنٰا آلَ إِبْرٰاهِیمَ اَلْکِتٰابَ وَ اَلْحِکْمَهَ وَ آتَیْنٰاهُمْ مُلْکاً عَظِیماً (۵۴) فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَ مِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَ کَفیٰ بِجَهَنَّمَ سَعِیراً (۵۵) إِنَّ اَلَّذِینَ کَفَرُوا بِآیٰاتِنٰا سَوْفَ نُصْلِیهِمْ نٰاراً کُلَّمٰا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنٰاهُمْ جُلُوداً غَیْرَهٰا لِیَذُوقُوا اَلْعَذٰابَ إِنَّ اَللّٰهَ کٰانَ عَزِیزاً حَکِیماً (۵۶) وَ اَلَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصّٰالِحٰاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنّٰاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا اَلْأَنْهٰارُ خٰالِدِینَ فِیهٰا أَبَداً لَهُمْ فِیهٰا أَزْوٰاجٌ مُطَهَّرَهٌ وَ نُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِیلاً (۵۷)

ص:۹۶

شروط قیاده العلماء

هدی من الآیات:

لکی لا ـ یتلاعب رجال الکهنوت بمقدرات الأمه بالاتفاق مع الانظمه الفاسده،سحب کتاب اللّه الثقه بهم بوجه مطلق،و حدد شروطا معینه(تدل علیها الآیات بصوره غیر مباشره)إذا وجدت فی علماء الدین جاز للأمه إتباعهم، و الاّ وجب علیهم الثوره ضدهم دون ما وازع من الخوف أو الحیاء.

و من تلک الشروط:

أولا:محاربه الطغاه و الوقوف ضد ظلمهم للناس،أما إذا ارتمی علماء الدین فی أحضان الانظمه الفاسده،و آمنوا بها و زعموا أنها أهدی سبیلا من المعارضین لهم،المؤمنین باللّه،فإنهم یسقطون من أی اعتبار،بل تلاحقهم لعنه اللّه و عذابه.

ثانیا:حب الخیر للناس جمیعا،و طهاره القلب من الحسد،و التسلیم للحق حتی و لو کان عند منافسیهم من العلماء،و حب الخیر للناس.أما علماء السوء فهم بالعکس،إذا وصلوا الی أعتاب السلطات،ضاقت أنفسهم و حاولوا منع

السلطات من كل خير حسدا و ضعه و بخلا،و يتحاسدون بينهم،و يستعينون بالسلطات على بعضهم البعض،و لا يؤمنون بأن اللّه يقدر للعباد الرزق،و عليهم أن يجتهدوا بأنفسهم للحصول على فضل اللّه ذلك الفضل الذى أعطاه ربنا لآل إبراهيم فحسدهم البعض عليه،و أخذوا يصدون الناس عنه صدودا.

و جزاء من يصد عن الهدى حسدا ان يذيقه اللّه عذاب نار أليمه،أما جزاء من يحارب الحسد فى ذاته،و يسلم وجهه للّه،و يؤمن برسله،و يعمل صالحا،فان جزاءه الجنات الطيبه.

بينات من الآيات:

ما هو معنى الجبت

؟ [۵۱]الجبت هو:الشيطان الخفى الذى يحاول خداع الإنسان عن طريق تزيين الأعمال المنكره عنده،و الجبت كذلك هو:الأفكار الخبيثه التى ينطلق منها الشيطان فى إفساد ضمير البشر،و هى التبريرات و الاعذار التى يحتمى وراءها الكسالى و المتقاعسون عن تنفيذ أوامر اللّه،و هى الثقافه المتخلفه التى تعتمد على القدريه و الحتميه الكسوله،و التى تدعو صاحبها الى الترهل و اللامسؤوليه.

و بالتالى الجبت هو:العوامل الذاتيه التى تدعو الإنسان الفرد و المجتمع الى الخمول و الانحراف.

من هو الطاغوت

؟ الطاغوت هو:الرجل أو النظام المتسلط على الجماهير باسم الجبت،و بسبب الجبت،فالديكتاتور الأرعن الذى يستبد بمقدرات الامه،يجد فى ايمان الامه

بالجبت،و بالتالی فی تخلفها و کسلها و لا مسئولیتها ضمانا لاستمراره فی الظلم و العدوان.

و علماء الدین هم الذین یکفرون بالجبت،و یفکون عن الناس أغلال الخوف و الحتمیه و الکسل و یرغبونهم فی التضحیه و النشاط،و هم الذین یقاومون الطاغوت،و یقودون ثوره الجماهیر ضده.

صفات العالم المزیف:

ان علماء السوء هم الذین یبیعون أنفسهم للطاغوت،و یؤمنون بالجبت، و یضللون الجماهیر،و یتخذون موقفا جبانا من الرجال العاملین ضد الجبت و الطاغوت،و ذلک لکی تستمر مراکزهم عند الطاغوت،و لهؤلاء العلماء اللعنه، و لهم العزله الجماهیریه.

أَ لَمْ تَرَ إِلَی الَّذِینَ أُوتُوا نَصِیباً مِنَ الْکِتابِ یُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَ الطّاغُوتِ وَ یَقُولُونَ لِلَّذِینَ کَفَرُوا هؤُلاءِ أَهْدی مِنَ الَّذِینَ آمَنُوا سَبِیلاً .

[۵۲] أُولئِکَ الَّذِینَ لَعَنَهُمُ اللّهُ وَ مَنْ یَلْعَنِ اللّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِیراً هؤلاء یریدون أن یجمعوا بین مراکزهم عند الناس و عند الطاغوت،و لکن اللّه ینسف مراکزهم عند الناس،و یفضحهم أمام الجماهیر،و آنئذ لا یشتریهم الطاغوت بشیء،لان الطاغوت انما أرادهم لأنهم یخدعون الجماهیر،و ها هی الجماهیر تکشف ما وراء أقنعتهم الدنیئه من الزیف و الضلال،فیطردهم الطاغوت فلا یبقی لهم نصیر لا فی الأرض و لا فی السماء.

[۵۳]بعض هؤلاء یبرر اقترابه من الطاغوت بأنه فی مصلحه الناس،و من أجل تمشیه حاجاتهم،و لکنهم یکذبون،فاذا وصلوا أعتاب الملک نسوا الناس،

و استأثروا بالخيرات لأنفسهم:

أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذاً لا يُؤْتُونَ النّاسَ نَقِيراً لا يؤتون شيئا للناس حتى بمقدار ما يوجد فى الحفيره الصغيره الموجوده فى طرف نواه التمره.

[۵۴]ان هؤلاء حساد،يتقربون الى السلطات لدعم مركزهم فى مواجهه منافسيهم من العلماء الأكثر علما و شعبيه.

و السؤال هو:لماذا الحسد ما دام اللّه هو الذى فضل أولئك العلماء عليهم لما وجد فيهم من المثابره و النشاط و النيه الصالحه؟! ان الأفضل لهم أن يعترفوا بفضل أولئك عليهم،و التسليم لهم لا الكفر بهم، و التقرب الى الأعداء.

أَمْ يَحْسُدُونَ النّاسَ عَلى ما آتاهُمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنا آلَ إِبْراهِيمَ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَهَ وَ آتَيْناهُمْ مُلْكاً عَظِيماً و ما دام اللّه هو الذى يؤتى كل خير،فلما ذا لا نتوسل به ليؤتينا الخيرات التى آتاها لغيرنا؟!

جزاء الايمان و الخيانه:

[۵۵]ان فضل اللّه كبير،و عطاءه واسع لا يحد،و خير للإنسان أن يجتهد من أجل الوصول الى ذلك الفضل و العطاء بطريق مستقيم،و أول شروطه الاعتراف بمن فضله اللّه،و الايمان بالأنبياء بغير تردد.

فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَ مِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَ كَفىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيراً انها تستعر و تلتهم علماء السوء،الذين كفروا بالأنبياء حسدا،و صدوا الناس عن رسالاتهم.

[۵۶]و جزاء هذا الفريق و من اتبعهم من الكفار نار تصليهم و تؤلمهم.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيٰاتِنٰا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نٰاراً كُلَّمٰا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنٰاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهٰا لِيَذُوقُوا الْعَذٰابَ إِنَّ اللّٰهَ كٰانَ عَزِيزاً حَكِيماً لان الجلود الطريه أكثر ألما من الجلود المحترقه،و هؤلاء علماء السوء بدّلوا جلودهم فى الدنيا فاختاروا الكفر بعد الايمان طلبا للذه الحياه،و عليهم أن يستعدوا لتبديل الجلود فى الآخره،حيث يصيبهم ألم العذاب جزاء ردتهم.

[۵۷]و لكن بالرغم من صعوبه مقاومه الحسد،و اتباع صاحب الحق حتى و لو كان غريما،فان على الإنسان ان يتحملها حتى يحصل على جزاء اللّه فى الجنان.

وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنّٰاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰارُ خٰالِدِينَ فِيهٰا أَبَداً لَهُمْ فِيهٰا أَزْوٰاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَ نُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً ان ثمن ابتعادهم عن خيرات الظالمين،و رضاهم بشظف العيش فى ظل الحق،هو الحصول على خيرات الجنان،و أنس الأزواج الطاهره،و ظل اللّه الظليل،و كذلك لا يضيع اللّه أجر من أحسن عملا.

[سوره النساء (۴): الآيات ۵۸ الی ۷۰]

اشاره

إِنَّ اَللّٰهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا اَلْأَمٰانٰاتِ إِلىٰ أَهْلِهٰا وَ إِذٰا حَكَمْتُمْ بَيْنَ اَلنّٰاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اَللّٰهَ نِعِمّٰا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اَللّٰهَ كٰانَ سَمِيعاً بَصِيراً (۵۸) يٰا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اَللّٰهَ وَ أَطِيعُوا اَلرَّسُولَ وَ أُولِي اَلْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنٰازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اَللّٰهِ وَ اَلرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَ اَلْيَوْمِ اَلْآخِرِ ذٰلِكَ خَيْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلاً (۵۹) أَ لَمْ تَرَ إِلَى اَلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمٰا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَ مٰا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحٰاكَمُوا إِلَى اَلطّٰاغُوتِ وَ قَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَ يُرِيدُ اَلشَّيْطٰانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلاٰلاً بَعِيداً (۶۰) وَ إِذٰا قِيلَ لَهُمْ تَعٰالَوْا إِلىٰ مٰا أَنْزَلَ اَللّٰهُ وَ إِلَى اَلرَّسُولِ رَأَيْتَ اَلْمُنٰافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوداً (۶۱) فَكَيْفَ إِذٰا أَصٰابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمٰا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جٰاؤُكَ يَحْلِفُونَ بِاللّٰهِ إِنْ أَرَدْنٰا إِلاّٰ إِحْسٰاناً وَ تَوْفِيقاً (۶۲) أُولٰئِكَ اَلَّذِينَ يَعْلَمُ اَللّٰهُ مٰا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَ عِظْهُمْ وَ قُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً (۶۳) وَ مٰا أَرْسَلْنٰا مِنْ رَسُولٍ إِلاّٰ لِيُطٰاعَ بِإِذْنِ اَللّٰهِ وَ لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جٰاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اَللّٰهَ وَ اِسْتَغْفَرَ لَهُمُ اَلرَّسُولُ لَوَجَدُوا اَللّٰهَ تَوّٰاباً رَحِيماً (۶۴) فَلاٰ وَ رَبِّكَ لاٰ يُؤْمِنُونَ حَتّٰى يُحَكِّمُوكَ فِيمٰا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاٰ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمّٰا قَضَيْتَ وَ يُسَلِّمُوا تَسْلِيماً (۶۵) وَ لَوْ أَنّٰا كَتَبْنٰا عَلَيْهِمْ أَنِ اُقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اُخْرُجُوا مِنْ دِيٰارِكُمْ مٰا فَعَلُوهُ إِلاّٰ قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَ لَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مٰا يُوعَظُونَ بِهِ لَكٰانَ خَيْراً لَهُمْ وَ أَشَدَّ تَثْبِيتاً (۶۶) وَ إِذاً لَآتَيْنٰاهُمْ مِنْ لَدُنّٰا أَجْراً عَظِيماً (۶۷) وَ لَهَدَيْنٰاهُمْ صِرٰاطاً مُسْتَقِيماً (۶۸) وَ مَنْ يُطِعِ اَللّٰهَ وَ اَلرَّسُولَ فَأُولٰئِكَ مَعَ اَلَّذِينَ أَنْعَمَ اَللّٰهُ عَلَيْهِمْ مِنَ اَلنَّبِيِّينَ وَ اَلصِّدِّيقِينَ وَ اَلشُّهَدٰاءِ وَ اَلصّٰالِحِينَ وَ حَسُنَ أُولٰئِكَ رَفِيقاً (۶۹) ذٰلِكَ اَلْفَضْلُ مِنَ اَللّٰهِ وَ كَفىٰ بِاللّٰهِ عَلِيماً (۷۰)

ص:۱۰۲

طاعه القياده الرساليه

اشاره

واجب و ضروره

هدى من الآيات:

بعد الحديث عن مسئوليه المال و العلم الاجتماعيه،و دورهما فى إصلاح أو إفساد المجتمع،و بعد ضرب القرآن لقيمه العلم و المال،إلّا إذا حققا هدف الرساله،و تحولا الى أداتين فى خدمه المجتمع،بعدئذ يتناول القرآن مسئوليه السلطه،فهى الاخرى ليست قيمه بذاتها إنما هى وسيله لتحقيق العداله،التى تعنى حصول كل شخص على حقه كاملا غير منقوص.

و هذه القيمه يحققها سلطان اللّه فى الأرض المتمثل فى قياده الرسول صلى الله عليه و آله ، و أولى الأمر من بعده الذين يجسدون رسالته،و قد كانوا هم أهل بيته،أما الآن فهم حمله رساله اللّه فى الأرض بكل معنى الكلمه.

و السلطات الاخرى تمثل الطاغوت الذى يدعمه الشيطان و قد أمرنا بالكفر به و التمرد عليه.

ص:۱۰۵

و مخالفه الرسول و أولى الأمر من بعده هى من عمل المنافقين،الذين سوف يكتشـفون ان قياده الرسول أفضل لهم،و ذلك حين تنزل عليهم المصائب بسبب انتمائهم الى سلطات الطاغوت،و على الرسول أن يستغل الفرصه و يعظهم.

كـل رسـل اللّه جاؤوا ليتسـلموا قياده الناس،و إذا عاد الناس الى قياده الرسل و صـححوا مسـيرتهم،لأصـلح اللّه حياتهم،و غفر لهم سيئاتهم.

أما الـذين يخـالفون رسل اللّه،فإنهم ليسوا بمؤمنين،لأنهم يخالفون بـذلك هـدف الرساله أساسا،و قياده الرسول ليست محصوره بالصلاه و الصيام،بل فى كل الشؤون،و على المسلم الا يفرق بين الموضوعات،و يتبع الرسول فى القضايا البسيطه فقط،بل حتى و لو أمره اللّه بأن يقتل نفسه فعليه أن يطيعه،لأنه ذلك خير له و أقوم.

خير له لأنه سوف يحصل بسـببه على أجر عظيم،و أقوم له لأنه سوف يهتـدى الى الصـراط المسـتقيم،و سوف يحشـر عند اللّه مع الصـفوه من خلقه،و هم النبيّون و الصـديقون و الشـهداء و الصـالحون و هـذا هو التطلع الأسـمى الـذى يجب أن يسـعى من أجله الإنسان.

ان هذه الآيات أوضحت لنا ضروره الطاعه للرسول لتحقيق المسؤوليه الاجتماعيه و هى:العداله.

بينات من الآيات:

بين الرقابه الذاتيه و الاجتماعيه

[۵۸]يجب أن يكون كل شخص واعظا لنفسه،رقيبا عليها.فلا يفرط فى

أموال الناس عند ما تكون عنده بل يرجعها إليهم متى تسلمها.و على كل مسلم ان يكون واعظا للناس،رقيبا عليهم فيسعى من أجل اعاده حقوقهم إليهم بالعدل.

إِنَّ اللّٰهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمٰانٰاتِ إِلىٰ أَهْلِهٰا وَ إِذٰا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النّٰاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّٰهَ نِعِمّٰا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللّٰهَ كٰانَ سَمِيعاً بَصِيراً ان هناك صله وثيقه بين أداء الامانه و اقامه العدل لان من لا يؤدى حقوق الناس،كيف يمكنه أم يساعد الآخرين على أداء الحقوق؟!و بالتالى كيف يمكن أن يصبح رقيبا على العداله فى المجتمع؟!.

و لا يجب ان يكون الحكم بين الناس بصوره السلطه الرسميه،بل يكون فى الأكثر فى صوره التعاون الاجتماعى على حل المشاكل القائمه بين بعضهم البعض.قبل الرجوع الى المحاكم.

حينما يبدأ النزاع بين شريكين،فأول ما يصنع كل واحد منهما هو عرض وجهه نظره على أصدقائه المقربين،فاذا كان هؤلاء مؤمنين حقا أو ضحوا للخاطئ منهما طبيعه خطئه،و أعطوا الحق لصاحبه،و فيتراجع المخطئ قبل أن يرفع دعوى الى المحكمه أما إذا لم يلتزموا بواجبهم كمؤمنين فى الحكم بالعدل، فان كل فريق يؤيد صاحبه و يشجعه على مطالبه،حقا كانت أم باطلا، فترفع القضيه الى المحاكم.و تبدأ سلسله المشاكل و هنا نعرف دور الرقابه الاجتماعيه على العداله و مدى تأثيرها فى أداء الحقوق.

السلطه و فصل القرار

[۵۹]و لكن الرقابه الاجتماعيه لا تردع كثيرا من الناس من الاعتداء على

حقوق الآخرين،و هی لا تستطیع أن تکون فیصلا حاسما فی کثیر من المشاکل المعقده،التی یظن کل طرف انه صاحب الحق فیها،و یورد أدله کثیره علی ظنه.

هنالک نری ضروره وجود السلطه الشرعیه القویه التی یلتزم الجمیع بحکمها، و هی متمثله فی النبی و أولی الأمر من بعده.

یٰا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا أَطِیعُوا اللّٰهَ وَ أَطِیعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِی الْأَمْرِ مِنْکُمْ ان أولی الأمر هم الامتداد الطبیعی للرسول،و هم أهل بیته من بعده، و العلماء باللّه،الأمناء علی حلاله و حرامه،الأکفاء علی القیام بأمره،الصابرون المتقون،و بالتالی هم أکثر الناس طاعه للّه،و أقربهم الی نهج رسوله،و یتحقق الیوم فی حمله رساله اللّه فی الأرض انی کانوا.

و الهدف من هذه الطاعه هو فض الخلافات بردها الی حکم اللّه،و قضاء رسوله أو اولی الأمر من بعده.

فَإِنْ تَنٰازَعْتُمْ فِی شَیْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَی اللّٰهِ وَ الرَّسُولِ إِنْ کُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَ الْیَوْمِ الْآخِرِ ذٰلِکَ خَیْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِیلاً أی ان رفع الدعاوی الی الرسول خیر لکم،لأنه یساعد علی فض النزاعات، و هو أفضل عاقبه فی المستقبل،لأنه یعطیکم التلاحم و الرصانه.

طاعه الطواغیت ضلال

[۶۰]و التحول عن قضاء الرسول الی قضاء حکام الجور من الطواغیت ضلال شیطانی،إذ أن اللّه أمر المؤمنین بالکفر بالطاغوت و الثوره علی سلطانه، فکیف یجوز التحاکم الیه و دعوته للتدخل فی شؤون المؤمنین الداخلیه؟!

أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمٰا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَ مٰا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحٰاكَمُوا إِلَى الطّٰاغُوتِ وَ قَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَ يُرِيدُ الشَّيْطٰانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلاٰلاً بَعِيداً أ صحيح زعم هؤلاء بأنهم مؤمنون و هم يخالفون أبسط قواعد الايمان،و هو الكفر بالطاغوت؟و يذهبون اليه خاضعين أم انه ضلال بعيد؟ ان اللّه بعث رسله لكى يذكروا الناس بربهم،و يعبدوه وحده،و يتحرروا من عباده الطاغوت،فاذا عاد الناس الى الطاغوت انتهى كل شيء،و لم يبق الاّ قشور الايمان.

[۶۱]فى حاله الرخاء يبتعد هؤلاء عن قياده الرسول،و يبعدون عنها الناس بكل عناد و يلتجئون الى الطاغوت زاعمين انه أفضل لهم،و لكن سرعان ما يكتشفون ان الطاغوت قد خدعهم و أراد استعبادهم.فيعودون الى الرسول و هم يبررون موقفهم السابق بأنه كان بنيه طيبه حيث أرادوا خدمه الناس،و حل الخلافات بينهم،أو حل خلافات ناشئه من سوء الفهم و ليست خلافات مبدئيه؟و بالطبع ان هذا التبرير باطل و سخيف،و لكن على الرسول الا يطردهم، بل ينصحهم بكلام ينفذ فى أنفسهم عسى اللّه ان يهديهم الى الايمان الواقعى.

وَ إِذٰا قِيلَ لَهُمْ تَعٰالَوْا إِلىٰ مٰا أَنْزَلَ اللّٰهُ وَ إِلَى الرَّسُولِ أى عودوا الى كتاب اللّه و قياده الرسول.

رَأَيْتَ الْمُنٰافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوداً

[۶۲] فَكَيْفَ إِذٰا أَصٰابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمٰا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ أى بالذنب الذى ارتكبوه و هو التحاكم الى الطاغوت.

ثُمَّ جٰاؤُكَ يَحْلِفُونَ بِاللّٰهِ إِنْ أَرَدْنٰا إِلاّٰ إِحْسٰاناً وَ تَوْفِيقاً أى ما كان هدفنا من التحاكم الى الطاغوت(السلطات الظالمه)الاّ الإحسان الى الناس بسبب قربنا من مواقع السلطه،و التوفيق بين الناس،و فض خلافاتهم، أو تلطيف الأجواء بين السلطات الظالمه و بين أنصار الرساله المناوئين لهم.

[۶۳] أُولٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللّٰهُ مٰا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ أى لا تعاقبهم بالذى بدر منهم من التحاكم الى الطاغوت.

وَ عِظْهُمْ وَ قُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً نافذا من منطلق انهم سوف لا يحصدون من الطاغوت الاّ الاستعباد و الظلم و الخيانه،فعليهم ان يبتعدوا عن الطاغوت ان هم أحبوا أنفسهم.

ان المنافقين يريدون مصالحهم،و لا بد للرسالى أن يوجههم من هذا المنطلق.

هدف بعث الأنبياء

[۶۴]ان الهدف من بعث الرسل ليس سوى تحرير الناس من قياده الطاغوت،و توفير قياده صالحه لهم،و لذلک يجب على الناس أن يطيعوا الرسول،إذ سيجدون مغفره من اللّه و فضلا.

وَ مٰا أَرْسَلْنٰا مِنْ رَسُولٍ إِلاّٰ لِيُطٰاعَ بِإِذْنِ اللّٰهِ وَ لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جٰاؤُكَ

فَاسْتَغْفَرُوا اللّهَ وَ اسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللّهَ تَوّاباً رَحِيماً ان اللّه يتوب على عباده،و ينشر رحمته عليهم ان هم تابوا اليه،و أطاعوا ممثله فى الأرض و هو الرسول،و طاعه الرسول تشفع للبشر ذنوبهم الصغيره،إذ أن فى ذلك طاعه للّه فى أعظم ما أمر به،و ان الحسنات الكبيره تشفع فى السيئات الصغيره،كما ان السيئات الكبيره(كالشرك باللّه و طاعه الطاغوت)تحبط الحسنات الصغيره.

مفهوم الشفاعه فى القرآن:

ان فكره الشفاعه الصحيحه هى:ان الرسول يستغفر لمن يطيعه،و يتوب اليه بإخلاص،و لا يعنى استغفار الرسول لأحد ان اللّه يغفر له حتما،كما جاء فى نص القرآن:(إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللّهُ لَهُمْ) و قد ردّ اللّه شفاعه نوح فى ابنه و استغفار إبراهيم فى أبيه.

و هذا هو الفارق بين فكره الشفاعه الاسلاميه و نظيراتها فى الديانات الوثنيه و المسيحيه و اليهوديه المنحرفه،ان الشفاعه الاسلاميه لا تعرف الحتميه،و ما هى سوى دعاء الرسول ربه أن ينزل رحمته،و بالرغم من أن الرسول مستجاب الدعاء،فان ذلك لا يحتم على اللّه سبحانه أن يستجيب للرسول،بل قد يرفضه رفضا لأنه هو اللّه الحكيم العليم.

اما فكره الشفاعه أو الفداء عند الوثنيه و اليهوديه و المسيحيه،فهى آتيه من فكره خاطئه اخرى هى:الزعم بتعدد الآلهه،و وجود شركاء للّه يتغالبون و يتنافسون فى شؤون العباد،و بتعبير آخر:الاعتقاد بفكره وجود مراكز قوى

فی سلطان الکون،و ان کل مرکز یستطیع ان یعمل باتجاه معین،و یجبر ذی العرش(و هو اللّه سبحانه)علی فعل شیء.

هذه الفکره مرفوضه فی القرآن،لأنها مخالفه لرؤیه التوحید و بصیره الأحدیه، و أهمیه الشفاعه الاجتماعیه،انها تعطی المجتمع الاسلامی مزیدا من التلاحم و الصلابه،إذ أن الرسول یصبح محورا یستقطب حوله جمیع الطاقات،لیس فقط بدوافع مادیه،بل و أیضا بدافع إیمانی غیبی.

و مثل الرسول فی ذلک أوصیاؤه الائمه،و من بعدهم القاده الرسالیون الذین یستمدون قدراتهم الاجتماعیه من التفاف الناس حولهم طوعا لا کرها،کل واحد منهم یأمل أن یشفع له القائد عند اللّه،و یستغفر له ربه،و هذا الالتفاف یخدم قضیه الامه الاساسیه،و بذلک یستطیع القائد أن یطبق سائر الواجبات الدینیه.

و تکون النتیجه وجود مرونه فی التشریع الاسلامی،بحیث تتقدم الاهداف الکبری علی الاهداف الجانبیه،و یکون الوصول الی تلک شفیعه فی عدم الوصول الی هذه مؤقتا،بل و طریقا إلیها فی المستقبل.

و لنتصور قائدا رسالیا یخوض معرکه مصیریه مع أعداء الامه، و یجد شابا مندفعا یطیعه حتی الموت فی هذه المعرکه،فلا ریب ان هذا الشاب یعتبر من الصالحین عند اللّه حتی و لو استخف بالصیام مثلا،لان طاعته لإمامه،و تضحیته فی المعرکه المصیریه التی تواجه الامه،قد تشفعان له فی ترک الصیام لان الانتصار فی المعرکه المصیریه سوف یساعد علی اقامه الشعائر و منها الصیام و لکن

يجب الا يدفعنا ذلک الی الاستهانه بالواجبات بتبرير قيامنا بالواجبات الأهم و منها الطاعه للإمام،إذ أن هذه الواجبات قد لا تشفع فی تلک،و قد لا يستجيب اللّه دعاء الرسول،فما ذا نصنع؟ ان رفض الإسلام لفکره الحتميه فی الشفاعه تنفع المسلم فی عدم التوغل فی الذنوب،کما ان وجود الفکره أساسا تساعده علی الاهتمام بالواجبات الأهم حتی و لو کان علی حساب الأقل أهميه.

ان الغموض الذی اکتنف فکره الشفاعه و الخلافات الکبيره فيها دفعنا الی الحديث حولها فی هذه الآيه التی نراها تتحدث مباشره عن هذه الفکره،و کما تری فانها جاءت فی سياق الآيات التی تبين ضروره الطاعه للرسول،مما يوحی بأن فکره الشفاعه ذکرت أساسا لدعم الطاعه للقياده الرساليه دعما غيبيا.

الطاعه دليل الايمان

[۶۵]و إذا لم تکن عند المؤمن صفه الطاعه للرسول فما ذا يبقی عنده من الايمان؟أليس الايمان هو التسليم للّه،و ماذا يعنی التسليم لو لم تکن الطاعه للرسول؟و ما قيمه القياده التی لا تستطيع فض الخلافات بين الناس؟!.

ان الايمان وقر فی القلب،يجعل صاحبه يسلم للّه حتی فيما يصيبه من مصيبات،أو يخالف مصالحه أو آراءه.فاذا لم يرض الفرد قلبيا بحکم اللّه المتمثل فی قضاء الرسول فی الخلافات الاجتماعيه بينه و بين اخوته،إذا لم يرض بذلک فليس هو بمؤمن أبدا.

فَلاٰ وَ رَبِّکَ لاٰ يُؤْمِنُونَ حَتّٰی يُحَکِّمُوکَ فِيمٰا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاٰ يَجِدُوا فِی أَنْفُسِهِمْ

حَرَجاً مِمّا قَضَيْتَ وَ يُسَلِّمُوا تَسْلِيماً فيما شجر:أى فيما يبرز بينهم من خلافات،الحرج:الضيق،و هو يتنافى مع الرضا الكامل،و التسليم هو:التسليم القلبى و العملى.

الطاعه شامله

[۶۶]و طاعه الرسول يجب أن تكون شامله لكافه القضايا الصغيره و الكبيره، حتى و لو خالفت مصالح الإنسان الاساسيه.

وَ لَوْ أَنّا كَتَبْنا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيارِكُمْ ما فَعَلُوهُ إِلاّ قَلِيلٌ مِنْهُمْ هذا القليل هم المؤمنون حقا،و هم الذين يعملون بالخير و الهدايه.

وَ لَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا ما يُوعَظُونَ بِهِ لَكانَ خَيْراً لَهُمْ وَ أَشَدَّ تَثْبِيتاً

الطاعه بين التأثير و الجزاء

[۶۷]كيف تكون الطاعه خيرا؟ انها خير لأن اللّه يعطى المطيعين أجرا عظيما متمثلا فى الدنيا بالنصر، و التقدم،و الرفاه،و فى الآخره بالجنان الخالده.

وَ إِذاً لَآتَيْناهُمْ مِنْ لَدُنّا أَجْراً عَظِيماً [۶۸]كيف تكون الطاعه أشد تثبيتا،و بالتالى مؤثره فى دعم ايمان صاحبها و هداه؟

ص:۱۱۴

الجواب:ان الانحراف يحدث عند الإنسان بسبب ضغط الشهوات،فالخوف من الموت،و حب الوطن و الأولاد و الراحه و ما أشبه هو الذى يجعل الواحد منا يفكر بالمقلوب،و يعكس الحقائق الكونيه.

أما لو تجاوز الإنسان ذاته فى سبيل أهدافه،و استعد للتضحيه،فليس هناك أى سبب لانحرافه.

وَ لَهَدَيْناهُمْ صِراطاً مُسْتَقِيماً [۶۹]هذا الصراط المستقيم ينتهى بصاحبه الى الانتماء للصفوه المختاره من عباد اللّه،و ما أحسن هذا الانتماء!!.

وَ مَنْ يُطِعِ اللّهَ وَ الرَّسُولَ فَأُولئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصِّدِّيقِينَ وَ الشُّهَداءِ وَ الصّالِحِينَ وَ حَسُنَ أُولئِكَ رَفِيقاً [۷۰]و هذه هى الدرجه الرفيعه التى لا يصل الشخص الى مستواها الاّ بجهد بالغ،و بتوفيق من اللّه،و ليس رخيصا و لا سهلا الحصول على بطاقه الانتماء الى حزب اللّه الغالب المنتصر.

ذلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللّهِ وَ كَفى بِاللّهِ عَلِيماً يعلم سرائر الناس فيقبل انتماء خالصى النيه فقط.

ص:۱۱۵

[سوره النساء (۴): الآیات ۷۱ الی ۷۶]

اشاره

یا أَیُّهَا اَلَّذِینَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَکُمْ فَانْفِرُوا ثُبٰاتٍ أَوِ اِنْفِرُوا جَمِیعاً (۷۱) وَ إِنَّ مِنْکُمْ لَمَنْ لَیُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصٰابَتْکُمْ مُصِیبَهٌ قٰالَ قَدْ أَنْعَمَ اَللّٰهُ عَلَیَّ إِذْ لَمْ أَکُنْ مَعَهُمْ شَهِیداً (۷۲) وَ لَئِنْ أَصٰابَکُمْ فَضْلٌ مِنَ اَللّٰهِ لَیَقُولَنَّ کَأَنْ لَمْ تَکُنْ بَیْنَکُمْ وَ بَیْنَهُ مَوَدَّهٌ یٰا لَیْتَنِی کُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِیماً (۷۳) فَلْیُقٰاتِلْ فِی سَبِیلِ اَللّٰهِ اَلَّذِینَ یَشْرُونَ اَلْحَیٰاهَ اَلدُّنْیٰا بِالْآخِرَهِ وَ مَنْ یُقٰاتِلْ فِی سَبِیلِ اَللّٰهِ فَیُقْتَلْ أَوْ یَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِیهِ أَجْراً عَظِیماً (۷۴) وَ مٰا لَکُمْ لاٰ تُقٰاتِلُونَ فِی سَبِیلِ اَللّٰهِ وَ اَلْمُسْتَضْعَفِینَ مِنَ اَلرِّجٰالِ وَ اَلنِّسٰاءِ وَ اَلْوِلْدٰانِ اَلَّذِینَ یَقُولُونَ رَبَّنٰا أَخْرِجْنٰا مِنْ هٰذِهِ اَلْقَرْیَهِ اَلظّٰالِمِ أَهْلُهٰا وَ اِجْعَلْ لَنٰا مِنْ لَدُنْکَ وَلِیًّا وَ اِجْعَلْ لَنٰا مِنْ لَدُنْکَ نَصِیراً (۷۵) اَلَّذِینَ آمَنُوا یُقٰاتِلُونَ فِی سَبِیلِ اَللّٰهِ وَ اَلَّذِینَ کَفَرُوا یُقٰاتِلُونَ فِی سَبِیلِ اَلطّٰاغُوتِ فَقٰاتِلُوا أَوْلِیٰاءَ اَلشَّیْطٰانِ إِنَّ کَیْدَ اَلشَّیْطٰانِ کٰانَ ضَعِیفاً (۷۶)

اللغه

۷۱[انفروا]:أصله الفزع.

[ثبات]:جماعات فی تفرقه وحدتها ثبه.

۷۲[لیبطئن]:التبطئه التأخر عن الأمر.

ص:۱۱۶

الجهاد مظهر الطاعه

اشاره

و نجاه المستضعفین

هدی من الآیات:

الجهـاد أبرز مظـاهر الطاعه و من یطع الرسول فی الجهاد یسـهل علیه تطبیق سائر الواجبات الـدینیه لأنها لا تنطوی علی صـعوبات الجهاد أو أخطاره الجسیمه.

و إذ یتحـدث القرآن عن الطـاعه للرسول و الکفر بالطـاغوت یضـرب لنـا مثلا من واقع الطاعه المفترضه و هو الجهاد الـذی یأتی مباشـره بعد تکوّن الامه،و انفصالها عن المجتمع الجاهلی و طاغوته الذی یتبعونه،إذ لا یلبث ان یتفجر الصـراع بین الجاهلیه و بین الأمه،و علی أبناء الأمه الاستعداد لخوض الصراع،و ذلک یکون بالتحذر،و الانطلاق للجهاد جمیعا أو فی مجموعات.

و بالتسارع فی تنفیـذ امر الجهاد حتی لا یکون المسـلم کأولئک المتقاعسـین الـذین یتثاقلون عن الجهاد حتی تنتهی المعرکه،فان کانت فی صالح الجاهلیه زعموا انهم ربحوا حین لم یساهموا فی الحرب، و الا تمیزوا غیظا و حسره و کأنهم

ليسوا من أبناء الامه أبدا.

صفه المسارعه فى القتال تأتى بعد الايمان بأن الآخره أفضل من الدنيا،و ان اللّه عنده أجر عظيم للمقاتلين خسروا أو ربحوا المعركه.

و هدف القتال هو إنقاذ المستضعفين من براثن الطغاه و الظلم،فان قتال المسلمين هو من أجل اللّه بينما قتال الكفار من أجل تثبيت نظام الطاغوت و قهر الشعوب.

بينات من الآيات:

واجب الاعداد

[۷۱]ان يكون أبناء الامه على استعداد للانطلاق فى معارك الدفاع عن قيمها الرساليه هو منتهى الجديه فى الحياه و الفاعليه و الطاعه للقياده.

و ليس المهم العمل حين تدق طبول الحرب،بل الاستعداد قبل ذلك فى أيام السلم حيث يسترخى الناس،و يغالبهم نعاس الأمن،و يحسبون ان الحياه لهو و لعب.

آنئذ يستعد المسلمون للمعارك المحتمله فاذا حانت ساعه الحرب خفوا إليها فى شكل مجموعات(ثبات)أو وحدات صغيره منسقه و مستعده للعمليات الحربيه أو نفروا إليها جميعا بصوره(التعبئه العامه).

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعاً انها تشكل خلفيّه جيش الرساله،الاعداد المسبق و التضحيه و التنظيم(الحذر-النفر-الثبات أو الجميع).

[۷۲]و لاـ تکونـوا-أیهـا المؤمنون-مثـل أولئـک الجبنـاء الـذین یتکاسـلون و یتقـاعسون عن الحرب و ینتظرون نتائجهـا و هم فی بیوتهم،فاذا دارت ضد المسـلمین بداوا یشـمتون و یفرحون بأنهم لم یکونوا معهم علما بأن تثاقلهم عن الجهاد قد یکون هو سبب هزیمه المسـلمین و لکن هؤلاء لا یحسبون لأنفسهم حسابا و دائما یتصورون سائر المسلمین هم المسؤولون بل و یجدون بینهم و بین سائر المسلمین فارقا و کأنهم من غیر المسلمین.

و الدلیل علی ذلک:انهم یتمیزون حسره و حسدا إذا انتصر المسلمون و حصلوا علی مکاسب مادیه فی معرکتهم.

ان اللّه یذم هؤلاء لکی لا یصبح الواحد منا هکذا یری نفسه و کأنه من غیر المسلمین فلا یتحمل مسئولیه الجهاد و یقول عنهم:

وَ إِنَّ مِنْکُمْ لَمَنْ لَیُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصابَتْکُمْ مُصِیبَهٌ قالَ قَدْ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَیَّ إِذْ لَمْ أَکُنْ مَعَهُمْ شَهِیداً أی یشـکر ربه لأنه لم یوفق لحضور المعرکه(شهیدا)،بینما کان هو السبب وراء تقاعسه عن الجهاد،و اللّه سیحاسبه علی ذلک غدا.

[۷۳] وَ لَئِنْ أَصابَکُمْ فَضْلٌ مِنَ اللّهِ لَیَقُولَنَّ کَأَنْ لَمْ تَکُنْ بَیْنَکُمْ وَ بَیْنَهُ مَوَدَّهٌ یا لَیْتَنِی کُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِیماً و کأنه أمه و سائر المسـلمین امه اخری،علما بأن مکاسب المسـلمین سوف تصـیبه کواحـد فی المجتمع الاسـلامی یسـتفید من تقـدم هـذا المجتمع الاقتصادی و رفاهه الحضاری.

كيف نصنع الاراده

؟ [۷۴]ان المثل السابق نموذج من الناس يفتقرون الى الاراده الرساليه حتى يقرروا الاقدام و المبادره فى قضايا الامه و لا ينتظرون الآخرين.

انها تأتى نتيجه الايمان الصادق باليوم الآخر و تفضيله على الدنيا و بالتالى بيع الدنيا فى مقابل الحصول على الآخره و بهدف بلوغ أجر اللّه العظيم هناك.

فَلْيُقاتِلْ فِی سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَياهَ الدُّنْيا بِالْآخِرَهِ يشرى:أى يبيع و حين يقول القرآن فليقاتل يريد ان يبين ان هؤلاء هم المرشحون للقتال الخالص لوجه اللّه.

وَ مَنْ يُقاتِلْ فِی سَبِيلِ اللّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً .

أهداف الجهاد

[۷۵]ان الهدف الغيبى للقتال أن يكون القتال من أجل الحصول على الأجر العظيم فى الآخره.

اما الهدف الظاهر للقتال الذى يكون فى سبيل اللّه فهو محاوله إنقاذ المحرومين الذين تظلمهم القوى الطاغوتيه القاهره،و لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم.

وَ ما لَكُمْ لا تُقاتِلُونَ فِی سَبِيلِ اللّهِ وَ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجالِ وَ النِّساءِ وَ الْوِلْدانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنا أَخْرِجْنا مِنْ هذِهِ الْقَرْيَهِ الظّالِمِ أَهْلُها وَ اجْعَلْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَ اجْعَلْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً المستضعفون:هم الذين جعلتهم القوى الظالمه ضعفاء،و استثمرتهم و حطمت إرادتهم و معنويات نفوسهم،و لكنهم مع ذلك يقاومون الظلم بالنيه فيأملون ان ينقذهم اللّه بأناس يقودونهم و ينتصرون لهم.

[۷۶]إن هـدف المقـاتلين المسـلمين تحرير عبـاد اللّه من مجتمع الظلم و نظـام الطـاغوت أمـا هـدف مقـاتلى الكفار فهو من أجل استعباد الإنسـان و جعله يرزح تحت نير الطـاغوت،و بطبيعه الحال الطاغوت ضـعيف،لأنه يقاوم اراده الناس و فطره الحياه و كلما يضع الطاغوت من خطط متينه فهى ضعيفه لأنها تعاكس طبيعه الحياه البشريه التى خلقها اللّه حره.

اَلَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِ اللّهِ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِ الطّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً

ان أول مـا يجب ان يتمتع به النـاس المستضـعفون و المقـاتلون من أجلهم هو التحرر من خوف الطـاغوت لان أكبر العوامل التى يعتمـد عليهـا الطـاغوت فى اسـتغلاله للنـاس هو تخويفهم و تحطيم معنويـاتهم و الا فما الطاغوت الا بشـر مثل سائر البشـر فكيف اسـتطاع أن يسـتعبد آخرين؟انمـا بخشـيه النـاس منه، و خوفهم الباطـل قوته،تلك القوه التى يحاول الطاغوت تضـخيمها فى أعين النـاس،فاذا تحررت الشـعوب من رهبه الطاغوت،و اكتشـفت انه هو الآخر بشـر و ضـعيف،و خططه واهيه لاسـتطاعت أن تطرده و تسحقه.

ان شـعوبنا المقهوره اليوم تخشـى القوى الكبرى الطاغوتيه لأن تلك القوى غسلت أدمغتنا،فاذا تحررنا من خشيتها انتصرنا عليها و لذلك يذكرنا القرآن هنا،ان كيد هؤلاء ضعيف،و علينا الاّ نرهبهم.

[سوره النساء (۴): الآيات ۷۷ الی ۷۹]

اشاره

أَ لَمْ تَرَ إِلَى اَلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَ أَقِيمُوا اَلصَّلاٰةَ وَ آتُوا اَلزَّكٰاةَ فَلَمّٰا كُتِبَ عَلَيْهِمُ اَلْقِتٰالُ إِذٰا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ اَلنّٰاسَ كَخَشْيَةِ اَللّٰهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَ قٰالُوا رَبَّنٰا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا اَلْقِتٰالَ لَوْ لاٰ أَخَّرْتَنٰا إِلىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتٰاعُ اَلدُّنْيٰا قَلِيلٌ وَ اَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اِتَّقىٰ وَ لاٰ تُظْلَمُونَ فَتِيلاً (۷۷) أَيْنَمٰا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ اَلْمَوْتُ وَ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَ إِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هٰذِهِ مِنْ عِنْدِ اَللّٰهِ وَ إِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هٰذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اَللّٰهِ فَمٰا لِهٰؤُلاٰءِ اَلْقَوْمِ لاٰ يَكٰادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً (۷۸) مٰا أَصٰابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اَللّٰهِ وَ مٰا أَصٰابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَ أَرْسَلْنٰاكَ لِلنّٰاسِ رَسُولاً وَ كَفىٰ بِاللّٰهِ شَهِيداً (۷۹)

ص:۱۲۳

عوامل الانهزام و فوائد الالتزام

هدی من الآیات:

هنـاک ظروف یجب علی الأـمه فیها ان تعـد ذاتها للقتال دون ان تباشـر به، و الاعـداد یکون بالصـلاه و الزکاه،بینما تأتی ظروف یجب علی الامه ان تندفع فیها للقتال،و علی الامه ان تکون منضبطه،فلا تقاتل الا حین تؤمر به،و لکن هناک بعض الفئات تطالب بالقتال حین یکون واجبها الاعداد،بینما تتقاعس عنه حین تؤمر به،و المشکله بالنسبه لهؤلاء هی خشیه الناس،و لکن لماذا الخشیه من النـاس؟هل بسـبب الخوف من الموت،و الموت آت لا ریب فیه؟أو بسـبب التملص من المسؤولیه تجاه ما یجری من احـداث فی الحیاه و إلقاء مسـئولیه الهزائم علی القیاده الدینیه،بینما الإنسان هو المسؤول المباشـر عما یصـیبه من نکبات؟ و الواقع:ان عدم فهم الحیاه قد یکون هو السـبب فی التقاعس عن واجباتها، و قد تناول القرآن فی هذا الدرس جانبا من العوامل النفسـیه للتقاعس عن الجهـاد لیقتلع جـذورها من القلب البشـری،و لیوفر المنـاخ المنـاسب للطـاعه التـامه للقیـاده البعیـده عن الازدواجیه و التردد و الضعف.

ص:۱۲۴

بينات من الآيات:

الانضباط صمام الامان:

[۷۷]الحرب بحاجه الى أقصى درجات الاندفاع و الفاعليه و الجديه و لكن فى حدود الخطه السليمه،و إذا لم تكن الخطه السليمه تقود الحرب،فان كل الاندفاع و الفاعليه و الجديه لا تعنى شيئا،لان غلطه استراتيجيه واحده،قد تقضى على الكثير من الطاقات فى لحظه واحده.

و الخطه السليمه بحاجه الى الانضباط الحديدى من قبل الجيش لقياده هذا الانضباط الذى يتحدث عنه القرآن هنا بما يخص الحرب و لكنه يشمل أحوال السلم أيضا.

ان هذا لا يخضع لأهواء الناس،بل لخطه القياده،أما ما على الناس فهو الاستعداد الدائم لخوض المعركه،أذا نودوا إليها.

و هناك بعض الناس يطالبون بالحرب فى وقت السلم و لكنهم يتقاعسون عنها حين يدعون إليها و يحذرون الناس خوفا على أنفسهم من الموت،و يطالبون القياده آنئذ بتأخير القتال و يحسبون ان التقديم و التأخير خاضع لاهوائهم،و الواقع ان مشكله هؤلاء نفسيه،و تعود الى تشبثهم بالدنيا و زينتها.

أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَ أَقِيمُوا الصَّلاٰةَ وَ آتُوا الزَّكٰاةَ يعنى كفوا أيديكم عن القتال،لان موعد القتال لما يحن،اما الآن فهو موعد الصلاه رمز البناء الذاتى،و الزكاه رمز البناء الاجتماعى.

فَلَمّٰا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتٰالُ إِذٰا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النّٰاسَ كَخَشْيَهِ اللّٰهِ أَوْ أَشَدَّ

خَشْيَةً وَ قالُوا رَبَّنا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتالَ لَوْ لاَ أَخَّرْتَنا إِلى أَجَلٍ قَرِيبٍ ان هؤلاء كانوا يطالبون بالتأخير و لو لفتره بسيطه،و ذلك لان الخوف قد ملأ قلوبهم.

قُلْ مَتاعُ الدُّنْيا قَلِيلٌ وَ الْآخِرَهُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقى وَ لا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً

كيف نتحرر من خوف الموت

؟ [۷۸]التحرر من خوف الموت،لا يمكن الا إذا سلمنا له و آمنا،بأنا ملاقوه أنى كنا،و الموت هو الموت سواء فى ساحه المعركه،أو على السرير فى المستشفى.

أَيْنَما تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَهٍ البروج المشيده هى:البنايات المرتفعه التى تدل على سمو الحضاره، و الإنسان يهم بالصعود عن الأرض اعتقادا منه ان ذلك ينقذه من عوامل الفناء، و القرآن يقول انه حتى فى حاله الصعود الى بروج مشيده،فان الموت يلاحقهم إليها،و يقضى عليهم،و الخوف من الموت قيد على قلب الإنسان من الاقدام فى تحمل مسئوليات الحياه،و هناك قيد آخر هو ابعاد المسؤوليه عن الذات و القاؤها على الآخرين.

وَ إِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَهٌ يَقُولُوا هذِهِ مِنْ عِنْدِ اللّهِ يقولونها بلهجه كأنها بعيده عن دورهم فى المسؤوليه وَ إِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَهٌ يَقُولُوا هذِهِ مِنْ عِنْدِكَ حتى يبعدوا أنفسهم عن دائره المسؤوليه،و بالمقابل يشوهوا سمعه القياده و يشككوا فى كفاءتها،و هذه من صفه هذه الفئه ضعيفه الاراده.

ص:۱۲۶

قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللّهِ فَمٰا لِهٰؤُلاٰءِ الْقَوْمِ لاٰ يَكٰادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً لان عقده الخوف من الموت،و الفرار من المسؤوليه لا تجعلهم يفقهون الحديث و ما وراءه من حقائق.

ان الخوف أكبر حجاب بين الإنسان و الحقائق،و كثير من الناس يبتعدون عن التوجيه و مراكزه و مصادره خشيه ان يفقهوا و يعوا و تلزمهم المسؤوليه،و كثير منهم يكفرون برجال اللّه من النبيين و الصديقين،هربا من مسئوليه طاعتهم.

بين الحسنات و السيئات:

[۷۹]الحسنات و السيئات مصدرهما المباشر هو اللّه الحكيم العليم،فلا تقدر الحسنه و لا السيئه لبشر إلا وفق حكمه بالغه،و هدف محدد،و ما اللّه بظلام للعبيد.

و هذه الفكره التى وضعتها الآيه السابقه تبين لنا عقلانيه الكون،و انه يسير وفق تدبير رشيد و يدبره رب قدير بحكمه و لهدف.

و يبقى سؤال:اذن لماذا تصيب البعض المصائب،و يتمتع الآخر بالحسنات حينا؟!و لماذا تصيبنا الحسنات حينا...و السيئات حينا آخر؟ و يجيب القرآن فى هذه الآيه عن هذا السؤال قائلا:

أما الحسنات فان اللّه حين خلق الناس أراد أن يرحمهم لا أن يعذبهم،و قد وفر لهم كل وسائل الراحه و السعاده و الرفاه،و هو لم يطالبنا بثمن مقابل نعمه التى لا تحصى،و لذلك فان الحسنات من اللّه و يجب ان نشكره عليها،أما السيئات فليست من اللّه بالرغم من انها تأتى من عند اللّه،انها من نفس الإنسان فهو

الذی یختار لنفسه العذاب،فیبدل خلق اللّه،و یخالف سنن الحیاه و طبیعه الأشیاء،و آنئذ یقرر اللّه له العذاب،فیأتی العذاب من عند اللّه.

ما أَصابَکَ مِنْ حَسَنَهٍ فَمِنَ اللّهِ وَ ما أَصابَکَ مِنْ سَیِّئَهٍ فَمِنْ نَفْسِکَ وَ أَرْسَلْناکَ لِلنّاسِ رَسُولاً وَ کَفی بِاللّهِ شَهِیداً و هذه الفکره تعطینا ایمانا ایجابیا بالحیاه،و انها سعاده و رفاه،فتطلق مواهب الإنسان فی طریق التقدم و الرقی.

و یلاحظ الفرق بین کلمتی(من)و(عند)فی الآیتین،لکی یصبح التناسق بین الآیتین واضحا،إذا فتبریر اللامسئولیه و رفض طاعه الرسول و القول بأنها هی سبب المصیبات انه تبریر سخیف.

[سوره النساء (۴): الآیات ۸۰ الی ۸۳]

اشاره

مَنْ یُطِعِ اَلرَّسُولَ فَقَدْ أَطٰاعَ اَللّٰهَ وَ مَنْ تَوَلّٰی فَمٰا أَرْسَلْنٰاکَ عَلَیْهِمْ حَفِیظاً (۸۰) وَ یَقُولُونَ طٰاعَةٌ فَإِذٰا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِکَ بَیَّتَ طٰائِفَةٌ مِنْهُمْ غَیْرَ اَلَّذِی تَقُولُ وَ اَللّٰهُ یَکْتُبُ مٰا یُبَیِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَ تَوَکَّلْ عَلَی اَللّٰهِ وَ کَفیٰ بِاللّٰهِ وَکِیلاً (۸۱) أَ فَلاٰ یَتَدَبَّرُونَ اَلْقُرْآنَ وَ لَوْ کٰانَ مِنْ عِنْدِ غَیْرِ اَللّٰهِ لَوَجَدُوا فِیهِ اِخْتِلاٰفاً کَثِیراً (۸۲) وَ إِذٰا جٰاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ اَلْأَمْنِ أَوِ اَلْخَوْفِ أَذٰاعُوا بِهِ وَ لَوْ رَدُّوهُ إِلَی اَلرَّسُولِ وَ إِلیٰ أُولِی اَلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ اَلَّذِینَ یَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَ لَوْ لاٰ فَضْلُ اَللّٰهِ عَلَیْکُمْ وَ رَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ اَلشَّیْطٰانَ إِلاّٰ قَلِیلاً (۸۳)

ص:۱۲۹

طاعه القياده امتداد لطاعه اللّه

هدى من الآيات:

حاجه الامه الى الطاعه المبدئيه هى أكبر من حاجتها الى اى شىء آخر،إذ التعاون و التطوير،و المواجهه مع الأعداء،و بناء و اعداد الجبهه الداخليه و..و..،كل تلك نتيجه مباشره للطاعه،و انما تتقدم الأمم بقدر تماسكها و اندفاعها و وحده مسيرتها،و هى كلها تأتى نتيجه الطاعه.

و هنا يعود القرآن ليذكرنا بضروره الطاعه فى سياق الحديث عن الانضباط فى المجتمع المسلم خصوصا فى الأزمات.و بينت الآيات:

اولا:ان طاعه الرسول هى طاعه اللّه لا اختلاف بينهما و لا تناقض،و ان الرسول ليس موكلا بالامه بل قائدا لها.

ثم بينت صوره واقعيه عن الطاعه،متمثله فى سلوك المنافقين الذى يجب أن يتجنبه المؤمنون و هو:التظاهر بالطاعه امام الرسول،و حبك المؤامرات ضده فى

ص:۱۳۰

اللیالی،و علی القیاده الا تهتم بهؤلاء،بل تبعدهم عن المهام الرسالیه،و تتوکل علی اللّه،و تتوجه الی الصادقین.

و طاعه اللّه و طاعه رسول اللّه واحده،إذ ان الرسول انما یجسد تعالیم اللّه و لو لا طاعه الرسول لأنها بناء التوحید،و هذا التماسک فی المبادئ الاسلامیه، و التکامل و الوحده فیها لدلیل علی انها من اللّه،إذ ان أی مبدأ بشری لا بد ان تجد فیه تناقضا بین الایدلوجیه و التشریع،و بین بنود الایدلوجیه ذاتها،و قوانین التشریع مع بعضها.

و عاد القرآن الی الحدیث عن الصور الواقعیه للطاعه فأمر بالطاعه حین تعرض الشخص لظاهره اجتماعیه کالحرب و السلام،و ذلک بأن لا یذیع الاخبار حولها الا بعد مراجعه القیاده الشرعیه المتمثله فی الرسول صلی الله علیه و آله و فی العلماء الذین یستنبطون الأحکام من القرآن الکریم.

ثم بیّن صعوبه ذلک الا بالتوکل علی الله،إذ انه من دون فضله و رحمته یتبع الناس الشیطان الا قلیلا.

بینات من الآیات:

امتداد الطاعه:

[۸۰]ان الرسول صلی الله علیه و آله و خلفاءه من الائمه و العلماء لیسوا أصناما یعبدون من دون اللّه،بل هم عباد اللّه،و طاعتهم المفروضه هی امتداد لطاعه اللّه،و فی حدود قیم اللّه و شرائعه،و من لا یطیع الرسول بدافع ایمانه باللّه فلا حاجه فیه، و لا یجب علی الرسول ان یفرض علیه الطاعه بأسلوب آخر.

مَنْ یُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطٰاعَ اللّٰهَ وَ مَنْ تَوَلّٰی فَمٰا أَرْسَلْنٰاکَ عَلَیْهِمْ حَفِیظاً

لا تنافق:

[۸۱]و لان طاعه الرسول ليست بدوافع ماديه،فحرام النفاق مع الرسول و التظاهر بالطاعه له،ثم التآمر عليه.

وَ يَقُولُونَ طٰاعَةٌ فَإِذٰا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ اى إذا تركوك و خرجوا من بيتك.

بَيَّتَ طٰائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِی تَقُولُ بيّت و أضمر الخلاف معك،و تآمر على القياده.

وَ اللّٰهُ يَكْتُبُ مٰا يُبَيِّتُونَ ليحاسبهم به غدا،و ما دام اللّه يكتب ذلك فليس عليك مسئوليتهم.

فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَ تَوَكَّلْ عَلَى اللّٰهِ وَ كَفىٰ بِاللّٰهِ وَكِيلاً ان القياده الرساليه هى قياده روحيه،يتبعها الملتفون حولها على أساس من القيم التى تمثلها،و لا يجوز لهذه القياده ان تجمع المنافقين حولها،ثم إذا جد الجدّ يتفرقون عنها، أو يحاولون تحريف مسيرتها.

القياده رمز الامه:

[۸۲]و القياده السياسيه هى خلاصه النظام السياسى،و النظام السياسى بدوره هو تجربه ثقافه الامه،و حضارتها،و مدى سلامه رؤيتها،و صحه تشريعاتها، فاذا تناقضت تركيبه القياده الواقعيه مع شعارات النظام السياسى،أو مع أفكار

الامه و ثقافتها و قيمها و..و..إلخ،فان ذلك يدل على تناقض فى التشريع،أو انحرافات فى القيم و الثقافه التى تدعى الامه انها تلتزم بها.

فاذا كانت الامه تدعى انها تدافع عن الحريه مثلا-و جاءت قيادتها السياسيه على أساس من الدكتاتوريه،أو ما يماثل هذه الديكتاتوريه فأى حريه هذه؟!! و إذا ادعى النظام أنه يلتزم بقيمه التقوى،و جاء على رأس النظام رجل فاجر، أو ادعت ثقافه الامه انها ترفع من قيمه العلم و كان الحكام فيها مجموعه من الجهله الضالين،فان كلامها هراء،إذ هل يمكن ان ترفع الامه من قيمه العلم دون ان يصبح العلماء و ليس الجهله قطب ارادتها و مركز قدرتها،و ثقل تجمعاتها؟ هكذا تكون تركيبه القياده السياسيه مثلا حيا لحقيقه الامه،و نوع حضارتها، و طبيعه قيمها الحقيقيه.

الامه الاسلاميه تتبع قياده تمثل روح الإسلام،اى الرسول و خلفاءه و أئمه التقوى و اليقين و اتباعهم لها ليس بهدف الحصول على مصالح عاجله،بل من أجل اللّه و تحقيق قيمه و شرائعه،و هذا ابسط دليل على طبيعه الإسلام الحقه،و انه بعيد عن التناقض.

أَ فَلاٰ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَ لَوْ كٰانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللّٰهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلاٰفاً كَثِيراً و ليس فقط فى حقل القياده أو النظام السياسى للامه تظهر تناقضات الأديان و المبادئ و انسجام الإسلام، بل و أيضا فى سائر التشريعات،ففى الاقتصاد ترى ذات القيم التى تجدها فى السياسه من العداله،و الحريه،و الاستقلال،و فى

الأخلاق،و التربيه،و الاجتماع.و هی فی العبادات تجد ذات القیم الواحده لا تناقض فیها و لا اختلاف،مما یدل علی ان الذی أوحی بها کان العلیم الخبیر، حیث یستحیل ان تجد کتابا جامعا لدستور الحیاه بکل ابعادها،ثم یکون بهذا الانسجام و الدقه و التناغم،فسبحان اللّه الذی اوحی به.

القیاده مرجع الامه:

[۸۳]و من آیات صدق الرساله،و ان کتابها القرآن حق لا ریب فیه هو:

قیاده الامه التی تمثل کتابها،حیث یجب علی أبناء الامه ان یطیعوها طاعه شامله،سواء فی شؤون السلم أو الحرب،فمثلا لو عرف أحدهم خبرا،فعلیه ان یذهب به الی القیاده و یعرضه علیها قبل نشره لتتخذ الاجراء المناسب،فقد یکون الخبر اشاعه کاذبه،و قد یکون وراء الخبر حقیقه یجب علی القیاده ان تبادر فی اتخاذ الاجراء المناسب قبل نشره..و هکذا.

وَ إِذٰا جٰاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذٰاعُوا بِهِ هؤلاء لیسوا من أهل التقوی و الیقین،و الا فکیف یذیعون الخبر قبل الاطلاع علی حقیقته،و الخبر المقصود هو فیما یرتبط بالشؤون المهمه حیث عبر عنه القرآن ب(امر).

وَ لَوْ رَدُّوهُ إِلَی الرَّسُولِ وَ إِلیٰ أُولِی الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِینَ یَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ الاستنباط هو:استخراج حکم الشریعه من خلال النصوص الصحیحه.

فهناک فی الأمه من أوفی مقدره لربط القضایا الجزئیه بالقیم العامه،و بالقواعد الکلیه التی تدل علیها النصوص.و هو قادر علی فهم خلفیات الخبر و حکمه الشرعی.

ص:۱۳۴

وَ لَوْ لاٰ فَضْلُ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطٰانَ إِلاّٰ قَلِيلاً حيث ان اللّه أوضح لكم سبيل اتباع الحق،و ذلك حين أرسل الكتاب، و علمه رسوله و أولى الأمر من بعده الذين يستنبطون احكام الدين منه،و أوجب عليكم الرجوع إليهم ليتبعوا الحق و ليس الشيطان.

ص:۱۳۵

[سوره النساء (۴): الآيات ۸۴ الى ۹۱]

اشاره

فَقاتِلْ فِی سَبِيلِ اَللّهِ لا تُكَلَّفُ إِلاّ نَفْسَكَ وَ حَرِّضِ اَلْمُؤْمِنِينَ عَسَى اَللّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ اَلَّذِينَ كَفَرُوا وَ اَللّهُ أَشَدُّ بَأْساً وَ أَشَدُّ تَنْكِيلاً (۸۴) مَنْ يَشْفَعْ شَفاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْها وَ مَنْ يَشْفَعْ شَفاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْها وَ كانَ اَللّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتاً (۸۵) وَ إِذا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْها أَوْ رُدُّوها إِنَّ اَللّهَ كانَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً (۸۶) اَللّهُ لا إِلهَ إِلاّ هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلى يَوْمِ اَلْقِيامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ وَ مَنْ أَصْدَقُ مِنَ اَللّهِ حَدِيثاً (۸۷) فَما لَكُمْ فِی اَلْمُنافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَ اَللّهُ أَرْكَسَهُمْ بِما كَسَبُوا أَ تُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اَللّهُ وَ مَنْ يُضْلِلِ اَللّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً (۸۸) وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَما كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَواءً فَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِياءَ حَتّى يُهاجِرُوا فِی سَبِيلِ اَللّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَ اُقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَ لا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَ لا نَصِيراً (۸۹) إِلاَّ اَلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ مِيثاقٌ أَوْ جاؤُكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقاتِلُوكُمْ أَوْ يُقاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَ لَوْ شاءَ اَللّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقاتَلُوكُمْ فَإِنِ اِعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقاتِلُوكُمْ وَ أَلْقَوْا إِلَيْكُمُ اَلسَّلَمَ فَما جَعَلَ اَللّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً (۹۰) سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَ يَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّما رُدُّوا إِلَى اَلْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيها فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَ يُلْقُوا إِلَيْكُمُ اَلسَّلَمَ وَ يَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَ اُقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَ أُولئِكُمْ جَعَلْنا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطاناً مُبِيناً (۹۱)

اللغه

۸۵[يشفع]:أصل الشفاعه:من الشفع الذی هو صد الوتر.

[كفل]:نصيب.

[مقيتا]:مقتدرا.

۸۶[بتحيه]:التحيه السلام.

ص:۱۳۶

٨٨[أركسهم]:الإركاس الرّد.

ص:١٣٧

دور الرسول و موقف الأمه

هدی من الآیات:

دور الرسول فی الأمه دور القائد المطاع،و الناصح الأمین و المحرض لها بالخیر و الهدی،و لیس دور الوکیل المسؤول بدیلا عن الأمه حتی یتحمل ذنبهم جمیعا، و لا ریب ان دور التحریر دور هام،و ذلک لأنه سوف یعطی لصاحبه أجر من یعمل بالحسنه.و واجبنا تجاه الرسول أن نرد له التحیه بأحسن منها،و هذه سنه اللّه بین الناس جمیعا أن یردوا التحیه بأحسن منها.

و مسئولیتنا عموما نابعه من اننا جمیعا سنقف یوما للحساب أمام ربنا فی یوم لا ریب فیه،و علینا أن نتحسس أبدا بذلک الیوم حتی نتحسس بالمسؤولیه التامه أمام اللّه سبحانه و تعالی،و جاء الحدیث حول ذلک بمناسبه الحدیث عن الأمن فی المجتمع المسلم،و الذین یعکرون صفوه،و علینا أن نتبع هدی اللّه و سنه رسوله فی اتخاذ مواقفنا من هؤلاء،و لا نخضع مواقفنا للهوی،من هنا فعلینا الا نختلف فی مواقفنا من المنافقین الذین یهددون سلامه الأمه،بل علینا أن نتفق فی معاداتهم، انهم یریدونکم کفارا لتصبحوا مثلهم،فلا تسبقوهم فی حقول الایمان و الحضاره،

ص:۱۳۸

و ان الموقف الحاسم من المنافقين هو تصفيه كيانهم الا بعض فئات منهم هم:

أولا:الذين تربطهم صله التحالف معكم.

ثانيا:الضعفاء منهم الذين يخشون مقاتلتكم،و يتخذون موقفا حياديا بينكم و بين قومهم،و يفضلون السلام معكم.

بيد أن من هؤلاء من يتخذ موقف الحياد السلبى،فهو يسعى من أجل الفتنه، و لكنه يريد ان يشعلها بطريقه ذكيه تؤمنه من أى ضرر،فهؤلاء يجب إلحاقهم بسائر المنافقين،و بالتالى محاربتهم.

بينات من الآيات:

الأدوار التنفيذيه للرسول:

[۸۴]الرسول ليس مبلغا لرسالات اللّه فحسب،بل و منفذا لتلك الرسالات بنفسه سواء نفذها الآخرون أم لا،و هذه الميزه تجعل الناس أكثر ثقه بالرسالات السماويه،و أسرع استجابه ليس فقط لأنهم يجدون أمامهم تجسيدا حيا،و عمليا لما يسمعونه من الدعوه،بل و لأن(عمل)الرسول يصنع(واقعا)فى المجتمع،و ان لهذا الواقع أثرا طبيعيا على المجتمع،و يخلق انعكاسات على الحياه.

فمثلا-قيام الرسول فى مكه بفك رقاب العبيد بصوره مباشره،أو عن طريق إعطاء المال لبعض أصحابه حتى يشتروا العبيد و يعتقوهم،ان ذلك خلق انعكاسا على المجتمع الجاهلى،و شكل طبقه اجتماعيه قوامها المتحررون من العبوديه،و كان لهذه الطبقه أثرها فى الحياه.

و إعلان الرسول القتال ضد الكفار هو بذاته يشكل حقيقه واقعيه تخلف أثرها

فی تطبیق الدعوه،و من هنا أمر اللّه نبیه بهذا الإعلان:

فَقَاتِلْ فِی سَبِیلِ اللّهِ .

و دور الرساله هو تثویر الإنسان من أجل تفجیر طاقاته،و من ثم توجیهها فی الصراط المستقیم،و لیس القیام بمسؤولیات الناس کبدیل عنهم،و کذلک دور الرسول فهو لیس مکلفا عن الناس،انما هو راع لهم،و مبلغهم رساله اللّه، و مشجعهم علی تنفیذ هذه الرساله.

لاٰ تُکَلَّفُ إِلاّٰ نَفْسَکَ و هذه الفکره تنسف الواقع الذی نعیش فیه نحن المسلمین،حیث نزعم ان وجود الرسول فینا،و حبنا له،و انتماءنا الیه،و ان وجود کتاب اللّه الکریم بیننا، یکفیاننا حضاره و تقدما،و لاٰ نحتاج بعدهما الی عمل،انما الرسول محرض للإنسان.

وَ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِینَ و لکن لا یعنی هذا ان اللّه بعید عن دعم المؤمنین،بل ان نصره یأتی وراء عمل الناس أنفسهم.

عَسَی اللّهُ أَنْ یَکُفَّ بَأْسَ الَّذِینَ کَفَرُوا وَ اللّهُ أَشَدُّ بَأْساً وَ أَشَدُّ تَنْکِیلاً فاللّه هو الذی یکف بأس(و قوه)الذین کفروا،و یجعل بینکم و بین بأسهم حائلا من الرعب یلقیه فی قلوبهم،بسبب قوتکم و استعدادکم للقتال،و لکن اللّه لا یفعل ذلک حتما،و انما(عسی)ان یفعل ذلک عند ما تکون فیکم الصلاحیه لذلک،و اللّه قوی حین ینصر أولیاءه،و أشد قوه من الکفار،و أقدر علی إنزال الهزیمه بهم.

اعمل تشفّع:

[۸۵]و تحريض الرسول هو شفاعته عند اللّه،فبقدر استجابه الناس للرسول يكون قدر سيرهم فى طريق الرسول المؤدى الى اللّه،و اعتصامهم بحبل اللّه،و بهذا القدر يشفع الرسول لهم عند اللّه.

أما الرسول فانه سوف يحصل على الأجر من عند اللّه،و كل شخص يحصل على أجر معين كلما شفع شفاعه حسنه،بأن حرّض الناس على العمل الصالح، و بذلك شفع لهم عند اللّه،أما لو دل على العمل السيء و حرض عليه،فعليه من الوزر بقدر عمل الناس بذلك الوزر كاملا غير منقوص،لأن الكلمه السلبيه أشد خطرا و أكثر ضررا مما قد يعطيه الكلام الايجابى من منافع،فجزاء ذلك أكبر من جزاء هذا،و ذلك بالقياس الى الفعل الذى ينتهيان اليه.

مَنْ يَشْفَعْ شَفٰاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهٰا وَ مَنْ يَشْفَعْ شَفٰاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهٰا و اللّه يحسب بالضبط مقدار عمل هذا أو ذاك.

وَ كٰانَ اللّٰهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتاً قد أحرض أنا على عمل الخير بكلام،و يذهب كلامى عبر الأقطار ينتقل من اذن لأذن،حتى يتناقله الملايين و يعملون به،و يكتب اللّه لى نصيبا مقدرا من عمل هؤلاء جميعا،دون ان اعرف ذلك أو أستطيع ان احصى قدر الثواب الذى يحصيه اللّه و يكتبه.

كن محسنا:

[۸۶]و الكلام الطيب من البشر لا بد ان يرد بكلام طيب،و الشفاعه الحسنه

يجب ان تقبل بالاستجابه لها،و اللّه يحسب على الناس كلامهم الطيب و جوابهم الأحسن أو لا أقل المناسب.

وَ إِذٰا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهٰا أَوْ رُدُّوهٰا إِنَّ اللّٰهَ كٰانَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً فالسلام مستحب،و الجواب فرض،ورد التحيه ليس فى الكلام فقط بل فى الرساله أيضا،فمن احترمك ببعث رساله إليك فعليك ان تردها أو بأحسن منها، و كذلك لو قدم لك أحدهم خدمه فعليك ان تردها بأحسن منها أو بمثلها.

[٨٧]و علينا ان نتحذر من تجاوز حقوق الناس المفروضه علينا ابتداء من أكبر حق و حتى حق رد التحيه،لاننا سنقف جميعا امام اللّه للحساب فى يوم لا ريب فيه،وعدا على اللّه لا يخلفه،و هل اصدق من اللّه حديثا اَللّٰهُ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلىٰ يَوْمِ الْقِيٰامَةِ لاٰ رَيْبَ فِيهِ وَ مَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّٰهِ حَدِيثاً و لقد عبر القرآن هنا بكلمه الى يوم القيامه ربما للدلاله على معنى انه يجمعكم و يسوقكم الى ذلك اليوم،ليجعلنا نتصور ذلك اليوم المهيب الذى يساق الناس فيه جميعا الى محكمه العدل ليجازى فيها المحسنين و المسيئين بأعمالهم.

ضروره الالتزام:

[٨٨]و عاد القرآن الى الحديث عن ضروره الالتزام بتوجيهات الرساله فى اتخاذ المواقف الاجتماعيه،فبالنسبه الى المنافقين علينا الا نختلف فيهم،بل نتخذ موقفا واحدا منطلقا من مبادئنا،ذلك الموقف هو قتال المنافقين بكل حزم،

و عـدم التعـاون معهم بـأى شـكل من إشـكال التعـاون،مـا داموا ملعونين عنـد اللّه، غـارقين فى أوحـال الكفر بسـبب ما فعلوه من السيئات.

فَمٰا لَكُمْ فِي الْمُنٰافِقِينَ فِئَتَيْنِ أى لماذا انقسـمتم الى طائفتين فى موضوع المنافقين؟! وَ اللّٰهُ أَرْكَسَهُمْ بِمٰا كَسَبُوا أى ان اللّه اركسهم فى الضلاله بفعل أعمالهم السابقه.

و من السـفه التفكير بأن التقارب مع المنافقين يسـبب هدايتهم،إذ ان اللّه أضل هؤلاء حين ابتعدوا عن الرساله،و أصبحت نفوسهم معقده تجاه الرساله،فلا يمكن إصلاحهم بل يجب تصفيتهم جسديا.

أَ تُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللّٰهُ وَ مَنْ يُضْلِلِ اللّٰهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً .

الهجره انفصال و التحاق:

[۸۹]ليس هذا فقط،بل ان هؤلاء يحاولون اضلالكم أيضا،و يحولونكم الى جبهه النفاق لتكونوا تماما مثلهم.

وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمٰا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوٰاءً فَلاٰ تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيٰاءَ حَتّٰى يُهٰاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللّٰهِ الهجره فى سبيـل اللّه طريق الانفصـال عن مجتمع النفاق،و الالتحاق بمجتمع الرساله و الـذوبان فيه،و لكن لو لم يهاجروا فلا حقوهم فى كل واد حتى تقضوا عليهم،لأنهم سوف يشنون عليكم غارات مفاجئه، و عليكم ألا تتعاونوا معهم

ص:۱۴۳

بأيه صوره.

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَ اقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَ لاٰ تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَ لاٰ نَصِيراً

من نسالم

؟ [۹۰]و هنـاک بعض فئات المنافقين لا يشـملهم هـذا الحکم و أولهم:المتحالفون معکم،فاذا کان المنافق من طائفه تربطهم بکم صله الميثاق،فانه لا يقتل احتراما للميثاق.

و الثانی:الذين لا يريدون الاعتداء عليکم بسبب ضعفهم و جبنهم،و هؤلاء لا يجوز الاعتداء عليهم.

إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ مِيثٰاقٌ أَوْ جٰاؤُكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقٰاتِلُوكُمْ أَوْ يُقٰاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَ لَوْ شٰاءَ اللّٰهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقٰاتَلُوكُمْ و لکن اللّه القی فی قلوبهم الرعب فاسترهبوکم و جبنوا عن القتال،و قـد عبر القرآن عن الجبن بکلمه حصـرت صدورهم،و هو تعبير أنيق و عميق حيث ان من يشتـد به الخوف تتسارع نبضات قلبه،فتضـيق نفسه و کأن قلبه محصور،و هؤلاء ما داموا بعيدين عن قتالکم اترکوهم لشأنهم.

فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقٰاتِلُوكُمْ وَ أَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمٰا جَعَلَ اللّٰهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً

جزاء المخادعين:

[۹۱]و لکن من المفروض الا يکون سلم هؤلاء خداعا،فلو کان کذلک لوجب تعقبهم و اخضاعهم للقانون.

ص:۱۴۴

سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَ يَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّما رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيها ان هؤلاء يشاركون أولئك فى الجبن،بيد انهم حاقدون يتحينون الفرص، بينما أولئك يائسون مستسلمون لواقعهم الضعيف.

فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَ يُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَ يَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَ اقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ و بالتالى لو لم يصبح هؤلاء مثل الفئه السابقه فى إنهاء حاله العداء،و حبك المؤامرات ضد سلامه الامه،فلا بد من قتالهم.

وَ أُولئِكُمْ جَعَلْنا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطاناً مُبِيناً السلطان المبين هو:الحجه الدامغه أو القوه القاهره،ذلك لأن هؤلاء المنافقين يعتبرون متآمرين على سلامه الامه عابثين بأمنها.

إن هذه الآيات تبين لنا حكم الطوائف المختلفه التى تشكل خطرا على أمن الدوله الاسلاميه،و هى عاده الفئات الموتوره و المعقده التى تساهم فى الإخلال بالأمن فى البلاد،و هى لا تطبق على الفئات الثائره ضد الانظمه الطاغوتيه الحاكمه،لأنها لا تتمتع بشرعيه الرساله كالنظام الاسلامى القائم على أساس الحق،و العدل،و الحريه.

ص:۱۴۵

[سوره النساء (۴): الآيات ۹۲ الى ۹۴]

اشاره

وَ مٰا كٰانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلاّٰ خَطَأً وَ مَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَهٍ مُؤْمِنَهٍ وَ دِيَهٌ مُسَلَّمَهٌ إِلىٰ أَهْلِهِ إِلاّٰ أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كٰانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَهٍ مُؤْمِنَهٍ وَ إِنْ كٰانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ مِيثٰاقٌ فَدِيَهٌ مُسَلَّمَهٌ إِلىٰ أَهْلِهِ وَ تَحْرِيرُ رَقَبَهٍ مُؤْمِنَهٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيٰامُ شَهْرَيْنِ مُتَتٰابِعَيْنِ تَوْبَهً مِنَ اَللّٰهِ وَ كٰانَ اَللّٰهُ عَلِيماً حَكِيماً (۹۲) وَ مَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزٰاؤُهُ جَهَنَّمُ خٰالِداً فِيهٰا وَ غَضِبَ اَللّٰهُ عَلَيْهِ وَ لَعَنَهُ وَ أَعَدَّ لَهُ عَذٰاباً عَظِيماً (۹۳) يٰا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا إِذٰا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اَللّٰهِ فَتَبَيَّنُوا وَ لاٰ تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقىٰ إِلَيْكُمُ اَلسَّلاٰمَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ اَلْحَيٰاهِ اَلدُّنْيٰا فَعِنْدَ اَللّٰهِ مَغٰانِمُ كَثِيرَهٌ كَذٰلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اَللّٰهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اَللّٰهَ كٰانَ بِمٰا تَعْمَلُونَ خَبِيراً (۹۴)

اللغه

۹۲[فتحرير]:التحرير تفعيل من الحريه، و هو إخراج العبد من الرق الى الحريه.

[ديه]:الديه من ودى يدو،اى اعطى المال المقابل للدم.

۹۴[عرض]:یقال لکل متاع الدنیا عرض،و یقال لکل شیء یقل لبثه عرض.

ص:۱۴۷

الأمن الشخصی

هدی من الآیات:

استمرارا للحدیث عن الأمن فی المجتمع الاسلامی،تتحدث الآیات هذه عن أمن الإنسان ذاته فی داخل المجتمع،و جریمه الاعتداء علی النفس خطأ أو عمدا،و وجوب دفع الدیه الباهظه و التکفیر بالصیام لمن قتل نفسا بالخطإ،اما من قتل نفسا متعمدا فان جزاءه جهنم خالدا فیها.

و لا یجوز الاستخفاف بقضیه الدم،بل حتی فی العملیات العسکریه یجب التأکد قبل الهجوم علی طائفه،و لا تجوز الاغاره علی الناس الآمنین بهدف الحصول علی مکاسب مادیه منهم بصوره غنائم،إن هذه کانت عاده الجاهلیه السوداء.

و ان النفس البشریه محترمه فی القانون الاسلامی،و لا یجوز التفریط فیها أبدا، و المجتمع المسلم لا بد ان یسوده الا من،حتی یتحسس کل فرد بالاطمئنان فیندفع فی البناء و الاعمار.

ص:۱۴۸

بینات من الآیات:

قتل الخطأ بین الجواز و الکفاره:

[۹۲]لا یحق للمؤمن ان یعتدی علی نفس مؤمنه الا عن طریق الخطأ،کأن یرید اصابه طیر فأصاب مؤمنا فارداه قتیلا.

ان هذه الصوره الوحیده التی من الممکن ان یقتل فیها مؤمن مؤمنا،أما سائر التبریرات التی کان الإنسان الجاهلی یبرر فیها اعتداءه علی الناس،فانها مردوده علی صاحبها،و حتی فی حاله الخطأ وضع الإسلام علی القاتل کفاره فیها، بالرغم من ان الخطأ هو من مسقطات التکلیف التی رفع القلم عنها کما جاء فی حدیث النبی صلی الله علیه و آله الشهیر،ذلک لکی یتحذر الإنسان کثیرا فی أعماله حتی لا یصیب أحدا من المؤمنین بسوء،فمثلا لا یصطاد الطیر فی منطقه یمکن أن یصیب منها بدل الطیر رجلا مؤمنا خطأ،و لا یصف دواء بطریقه عجوله فیموت بدوائه مؤمن و هکذا،و تکون الکفاره المفروضه علی قتل الخطأ سببا لمزید من التورع، و الاحتیاط فی الدماء،و مراعاه شروط السلامه فیما یرتبط بحیاه المؤمنین.

و یبقی السؤال:ما هی کفاره قتل الخطأ؟ یجیب القرآن الکریم:إنها علی نوعین:

الأول:عتق رقبه مؤمن فقط،و ذلک عند ما یکون أهل المقتول کفارا ذلک لأنه لا یسلم المسلم دیه للکافر الا فی حاله واحده و هی إذا کان الکافر حلیفا مع المسلمین،فیجب دفع الدیه له وفاء بالحلف.

الثانی:عتق رقبه و دیه تسلم الی أهل المقتول،و ذلک حین یکونون مسلمین أو

حلفاء للمسلمين.

و إذا لم يقدر القاتل على عتق رقبه سواء كان فقيرا،أو لانعدام الرقبه المستعبده كما هو الوضع فى عصرنا الحاضر،فتتحول الكفاره الى صيام.

وَ مٰا كٰانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلاّٰ خَطَأً وَ مَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَ دِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلىٰ أَهْلِهِ إِلاّٰ أَنْ يَصَّدَّقُوا أى أن يعفو أهل القتيل عن الديه تقربا الى اللّه،و تصديقا بوعده بثواب العافين عن الناس.

فَإِنْ كٰانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ إذا كان القتيل مؤمنا،بيد أن قومه كانوا أعداء محاربين لكم،فهنا تسقط الديه و تبقى الكفاره فقط.

فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَ إِنْ كٰانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ مِيثٰاقٌ،فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلىٰ أَهْلِهِ وَ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ لان الميثاق محترم فى الشريعه الاسلاميه حتى إذا كان طرفه كافرا.

فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيٰامُ شَهْرَيْنِ مُتَتٰابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللّٰهِ وَ كٰانَ اللّٰهُ عَلِيماً حَكِيماً يضع انظمته بعداله تامه فمثلا: الاعتداء على النفس يجب ان يقابل بتحرير نفس من العبوديه،ذلك ان الحريه تطلق طاقات العبد المؤمن،و تجعله يعوض ما فاته فى الحياه الاجتماعيه عن القتيل الذى خسره المجتمع.

أما الصيام فانه يأتى بالدرجه الثانيه،ليربى صاحبه على الالتزام الأشد فى تصرفاته،حتى لا يخطئ مره ثانيه فيقتل مؤمنا آخر خطأ.

ص:۱۵۰

إن القتل خطأ يقع اليوم كثيرا بسبب التهور فى السياقه،و عدم الالتزام بقوانين المرور بدقه،فلو طبقنا نظام الإسلام،و فرضنا على القتله الديه و الكفاره، إذا لأزداد التزام الناس بتعاليم السياقه،و لقلت الحوادث.

كما ان هناك أطباء يقتلون الناس خطأ،فلو طبقنا عليهم نظام الديه و الكفاره لكانوا أكثر التزاما بتعاليم الطب،و اهتماما بروح المريض.

جزاء القتل العمد:

[۹۳]ان الاعتداء على النفس البشريه يجازى بالخلود الدائم فى النار،بسبب ان القتل إنهاء لحياه القتيل فى الدنيا،فيجازى بانهاء فرص الحياه فى الآخره.

وَ مَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزٰاؤُهُ جَهَنَّمُ خٰالِداً فِيهٰا اما جزاؤه فى الدنيا فانه سوف لا يفلح،و سوف يبعد من رحمه اللّه و نعمه الواسعه.

وَ غَضِبَ اللّٰهُ عَلَيْهِ وَ لَعَنَهُ وَ أَعَدَّ لَهُ عَذٰاباً عَظِيماً و القتل هو القتل بالرغم من ان اساليبه تختلف،فهناك من يقتل الناس مباشره،و هناك من يحكم عليهم بالقتل،و هناك من يساهم فى قتلهم بأفكاره الهدامه،و كل أولئك يلقون فى جهنم خالدين فيها.

و المجتمع الذى تجرى فيه جريمه القتل كسنّه لهو مجتمع شقى بعيد عن رحمه اللّه،بعيد عن الحياه الهانئه،بعيد عن القيم الرفيعه،قريب الى الهاويه.

ان لغه الدم هى لغه يتفاهم بها بعض الناس،و هى ألّعن لغه تستخدمها البهائم فى الغابات،و هى لا تفصح عن صلاح أبدا،و من المؤسف ان يكون

المجتمع الاسلامی قد تعلم هذه اللغه اللعینه.

تشریعات واقیه للدماء:

[۹۴]و الدم البشری محاط فی الشریعه الاسلامیه بسیاج منیع من الانظمه الواقیه من ان یراق بغیر حق،و من تلک الانظمه ضروره التأکد قبل الهجوم الحربی علی طائفه،من أن هؤلاء مسلمون أم یریدون الحرب أو السلم،و قبل أن یتثبت المسلمون من اراده الاعتداء أو المقاومه الدمویه فی خصومهم لا یجوز لهم البدء بإطلاق النار.

ان الامه الاسلامیه تؤسس جهاز مخابرات حربیه،لا من أجل کشف العدو فقط،بل و من أجل معرفه هل ان الحرب هی الطریق الوحید امام الامه و لا مناص لهم منها،أم ان هناک طرقا أخری للصراع.

یٰا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا إِذٰا ضَرَبْتُمْ فِی سَبِیلِ اللّٰهِ أی أخذتم بالتحرک الجغرافی فی سبیل تحقیق أهداف الإسلام المتمثله فی تحریر الشعوب و اقامه العدل.

فَتَبَیَّنُوا لتعرفوا أعداءکم بالضبط فتأخذوهم،و لا تأخذوا کل الناس بتهمه العداوه، و من الواضح ان هذه التوجیهات تنفع الامه فی تحقیق اهدافها،إذ أنها تجنبها من إضرار الاعتداء علی الأبریاء،و استعدائهم ضد الامه و ضد اهدافها المقدسه.

فاذا تبین المسلم فعرف خصمه،و اکتشف انه لا ینوی الاعتداء علیه،بل هو مسالم فحرام إذ ذاک الهجوم علیه بهدف الحصول علی مکاسب مادیه أو میدانیه.

ص:۱۵۲

وَ لاٰ تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقیٰ إِلَيْكُمُ السَّلاٰمَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيٰاةِ الدُّنْيٰا إذ رب عرض أعقب خساره،ذلک لان استعداء الشعوب،و انتهاب ثرواتهم ظلما،سوف ينفع الأعداء الحقيقيين للامه،و تجعلهم موضع عطف الشعوب المقهوره،و سوف تتعاون معهم،بينما لو تركت هذه الشعوب على وضعها فسوف تنتصر الامه على اعدائها،و تحقق فوائد النصر المضاعفه،لذلک قال اللّه تعالى:

فَعِنْدَ اللّٰهِ مَغٰانِمُ كَثِيرَةٌ هى مغانم الانتصار على العدو الحقيقى،و مغانم المصالحه مع الشعوب المسالمه،و مغانم السمعه الطيبه عند الأمم،بالاضافه الى مغانم الآخره! هذه الوصيه جاءت لتغيير هدف الحرب و قيمها من الجاهليه الى الإسلام، ففى الجاهليه كان الناس يحاربون من أجل الحصول على مكاسب ماديه مؤقته (يسميها القرآن هنا ب-عرض-للدلاله على انها مؤقته و تزول)بينما الحرب فى الإسلام تهدف اشاعه العدل،و تحقيق الحريه،و اقامه السلام،و هذه القيم لا تتحقق الا بصعوبه،و بعدم شن الحرب لاهداف ماديه.

كَذٰلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللّٰهُ عَلَيْكُمْ بالإسلام..و إنكم ترون ما فى الإسلام من فوائد ملموسه أمامكم،منها شعور كل شخص بالأمن الذاتى،فعليكم إذا باتباع وصايا الإسلام للإبقاء على هذه الفوائد،و من تلک الوصايا التبين قبل أى هجوم.

فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللّٰهَ كٰانَ بِمٰا تَعْمَلُونَ خَبِيراً

ص:۱۵۳

[سوره النساء (۴): الآيات ۹۵ الی ۱۰۰]

اشاره

لا يَسْتَوِی اَلْقاعِدُونَ مِنَ اَلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِی اَلضَّرَرِ وَ اَلْمُجاهِدُونَ فِی سَبِيلِ اَللّهِ بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اَللّهُ اَلْمُجاهِدِينَ بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ عَلَی اَلْقاعِدِينَ دَرَجَةً وَ كُلاًّ وَعَدَ اَللّهُ اَلْحُسْنی وَ فَضَّلَ اَللّهُ اَلْمُجاهِدِينَ عَلَی اَلْقاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً (۹۵) دَرَجاتٍ مِنْهُ وَ مَغْفِرَةً وَ رَحْمَةً وَ كانَ اَللّهُ غَفُوراً رَحِيماً (۹۶) إِنَّ اَلَّذِينَ تَوَفّاهُمُ اَلْمَلائِكَةُ ظالِمِی أَنْفُسِهِمْ قالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قالُوا كُنّا مُسْتَضْعَفِينَ فِی اَلْأَرْضِ قالُوا أَ لَمْ تَكُنْ أَرْضُ اَللّهِ واسِعَةً فَتُهاجِرُوا فِيها فَأُولئِكَ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ وَ ساءَتْ مَصِيراً (۹۷) إِلاَّ اَلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ اَلرِّجالِ وَ اَلنِّساءِ وَ اَلْوِلْدانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَ لا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً (۹۸) فَأُولئِكَ عَسَی اَللّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَ كانَ اَللّهُ عَفُوًّا غَفُوراً (۹۹) وَ مَنْ يُهاجِرْ فِی سَبِيلِ اَللّهِ يَجِدْ فِی اَلْأَرْضِ مُراغَماً كَثِيراً وَ سَعَةً وَ مَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهاجِراً إِلَی اَللّهِ وَ رَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ اَلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَی اَللّهِ وَ كانَ اَللّهُ غَفُوراً رَحِيماً (۱۰۰)

اللغه

۹۵[الضرر]:النقصان و هو كل ما يضرک من عسر و مرض و عله.

۹۶[درجات]:جمع درجه و هی المنزله.

ص:۱۵۴

١٠٠[يهاجر]:المهاجره المفارقه.

[مراغما]:المراغم المضطرب فى البلاد و المذاهب،و أصله من الرغام و هو التراب.

ص:١٥٥

أهداف الجهاد

هدى من الآيات:

بعد الحديث عن الأمن الاجتماعی الذی جاء بدوره فی أعقاب الحدیث عن الطبقات الاجتماعیه،یأتی الحدیث عن بعض اهداف القتال فی الإسلام بمناسبه الحدیث عن طبقه اجتماعیه هی طبقه المهاجرین داخل الامه.

فما دامت القیم هی هدف الحروب الاسلامیه،فان اولی هذه القیم هی:

عدم الاعتداء علی الشعوب تحت شعار أو آخر.

و الثانیه هی:القتال من أجل اللّه،و ان یجعل المقاتلون فی سبیل اللّه فی درجه عالیه داخل المجتمع.

و الثالثه هی:تحریر الشعوب المستضعفه،و هذا التحریر یرتبط بالامه الاسلامیه کما یرتبط بالشعوب ذاتها،فعلی کل شعب ان یقوم بتحریر ذاته من الطواغیت،و لو کان بالهجره التی تهدف تقویه الذات من أجل شن حرب ضد الجبابره و المتسلطین.

ص:۱۵۶

و الأمر بالهجره من قبل الإسلام يفرّغ جبهات العدو من العناصر الخيره التى اضطرت لمقاومه المسلمين الذين جاؤوا لتحريرهم،كما و يدعم الجبهه الاسلاميه بالعناصر الجيده،كما ان الإسلام بأمره بالهجره يتم حجته على المقاومين لحركه الفتح الاسلامى،فلا يستطيعون تبرير مواقفهم بأنهم كانوا مضطرين الى ذلك.

بينات من الآيات:

مواقف المجتمع من الجهاد:

[۹۵]بالنسبه الى الجهاد فى سبيل اللّه،يختلف الناس فيه الى ثلاث فئات:

فئه مجاهده،و فئه لا تجاهد و لا تستطيع عليه،و فئه تقعد عن الجهاد و هى قادره عليه،و الفئتان الاولیتان أفضل عند اللّه من الفئه الثالثه،و بالتالى أفضل داخل المجتمع الاسلامى،و لهما حقوق ليست لسائر أبناء المجتمع.

لاٰ يَسْتَوِي الْقٰاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ-غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ-وَ الْمُجٰاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ بِأَمْوٰالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللّٰهُ الْمُجٰاهِدِينَ بِأَمْوٰالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقٰاعِدِينَ دَرَجَةً و هذه الدرجه هى:ان المجاهدين تتخصص لهم اموال الامه قبل القاعدين، و ان لهم التأثير فى حياه الامه الاجتماعيه أكثر من القاعدين،و فى الاخره تعتبر أعمالهم أثوب عند اللّه،و تقبل صدقاتهم قبل ان تقبل من القاعدين.

ان صلاه المجاهدين فى سبيل اللّه ترفع الى اللّه بسرعه البرق،لان صاحبها قرن القول بالعمل،اما صلاه القاعد فانها قد ترفع أو لا ترفع،و إذا رفعت فانما ترفع بشروط قاسيه،و مثل الصلاه سائر العبادات و الممارسات،ذلك ان الجهاد فى سبيل اللّه يفتح عقل صاحبه،و يعطيه الهدى و المعرفه و الايمان،و المجاهد فى سبيل اللّه يزوده اللّه ببصيره واضحه فى الحياه،لأنه اقتحم عقبه الذات و لم يعد بينه و بين الحقائق الكونيه حاجز من الهلع و الخوف و الطمع و التردد و الشك،فاذا به

ص:۱۵۷

تنكشف أمامه حقائق الكون بوضوح،و يزداد ايمانه باللّه و بالقيم قوه و ثباتا.

و المجاهد فى سبيل اللّه لا يعيش نفاقا فى ذاته،و لا تناقضا بين الدنيا و الاخره، انه قد باع الدنيا بالآخره،و اشترى بنفسه جنه عرضها السموات و الأرض،فهو مطمئن من نفسه،واثق من طريقته و منهجه.

و لكن لا يعنى هذا ان القاعدين كفار،بل هم مدينون عليهم أن يهيئوا مصالح العباد،فالفلاح فى حقله،و العامل فى مصنعه،و الكاتب فى مكتبه، و الكاسب و التاجر و..و..لكل واحد من هؤلاء واجب،و مسئوليه و دور يؤديه فى الحياه، و عليه ان يؤدى دوره تماما و دون غش فيه.

ان المدنيين فى المجتمع الاسلامى يشكلون صفوف الجهاد فى سبيل اللّه،فلو لا زياده الانتاج الزراعى،و لو لا جوده الصناعه الاسلاميه،و لو لا سلامه و صدق البحوث العلميه المؤديه الى الكشوف و الاختراعات،و لو لا تداور الثروه بين التاجر و الكاسب و..و..إلخ،لو لا كل ذلك لا يتمكن الجندى المسلم ان يؤدى دوره بالكامل،و لذلك بيّن القرآن هنا:ان افضليه المجاهد لا تعنى أبدا ان القاعد (العامل بوظائفه المدنيه)قد غمط حقه،و جهل قدره و قيمته و قال:

وَ كُلاًّ وَعَدَ اللّهُ الْحُسْنى بإيمانه و اتباعه لمناهج اللّه فى الحياه،و عاد القرآن و أكد اهميه الجهاد و فضل المجاهدين و قال:

وَ فَضَّلَ اللّهُ الْمُجاهِدِينَ عَلَى الْقاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً ذلك لكى يبين ان المجاهد رفعه اللّه درجه فى الدنيا،و أعطاه اجرا عظيما فى الدنيا و الاخره.

ص:۱۵۸

أجر المجاهدين:

[۹۶]المجاهد يتمتع بأجر عظيم فما هو ذلك الأجر؟ اولا:انه يرفع عند اللّه درجات بقدر جهاده و تضحيته،و تنعكس هذه الدرجات فى الدنيا أيضا مثلا:ان المجاهد يحسب عند اللّه عالما و يعطى درجه العلم،لان الجهاد يفتح عقل صاحبه،و يجعله يعرف كثيرا من الأشياء التى يجهلها الناس القاعدون.

فدرجه العلم ينالها المجاهد عند اللّه،كما ينعكس ذلك فى حياته فى الدنيا أيضا حيث يصبح عالما فعلا،و كذلك يعطى درجه الايمان و التقوى و الشجاعه و الطاعه و الانضباط و طول العمر و الصحه.

و كل تلك الآثار الخيره للجهاد هى درجات و مكاسب فى الاخره تنعكس أيضا فى الدنيا.

ثانيا:انه يمنح المغفره و التوبه،حيث ان اللّه سبحانه يمحو سيئاته السابقه، و لا يجازيه بها فى الاخره،كما انه فى الدنيا يتخلص من آثارها السلبيه على نفسه.

ان الحسود المعقد المنطوى على ذاته،و الضعيف الاراده،و الكثير القول، القليل العمل،التارك بإهماله كثيرا من الواجبات،و المرتكب بضعف إرادته كثيرا من المحرمات،انه إذا انخرط فى الحياه العسكريه الاسلاميه سوف تتغير عنده الصفات بفضل الخشونه و التعب و مواجهه الاخطار فى العسكريه،فيصبح الجهاد بالنسبه اليه مدرسه تربويه كامله التأثير،و هذه المغفره التى ينالها المجاهد و هى:الصياغه الجديده للشخصيه،و هى من خصائص الجهاد.

ثالثا:ان اللّه يعطى المجاهد الرحمه،و هى تعنى فى الاخره المعامله الحسنه،

و قبول اعماله الصالحه بلا تردد،و عدم التدقيق فی حسابه،اما فی الدنیا فتعنی:

فتح أبواب الحیاه امامه،لان الجهاد یربی صاحبه علی التحکم فی ذاته و فی الحیاه،و من کان کذلک وفقه اللّه فی الدنیا،بالاضافه الی السمعه الطیبه التی یحصل علیها المجاهدون فی المجتمع،من هنا یصبحون موضع تقدیر و احترام الجمیع.

هذه هی مکاسب الجهاد درجات و مغفره و رحمه،لخصّها اللّه تعالی بقوله:

دَرَجاتٍ مِنْهُ وَ مَغْفِرَةً وَ رَحْمَةً وَ کانَ اللّٰهُ غَفُوراً رَحِیماً

واجب المستضعفین

[۹۷]علی الشعوب المستضعفه التی یتحکم فیها الطغاه بالاستبداد و الظلم، و یسلبون حریتها بالقوه،علیها ان تثور ضد الطغاه،و إذا لم تستطع الانتصار لنفسها فی أرضها فعلیها الهجره الی ارض اخری ضمانا لحریتها،و بالطبع فی ظل الدوله الاسلامیه ستکون الأرض المسلمه معقل الحریه،و مأوی المهاجرین الأحرار،و عن طریق هجره هؤلاء إلیها تدعم قضیتهم،لان الامه الاسلامیه تحمل علی عاتقها رساله تحریر الشعوب المستضعفه،و هؤلاء الأحرار المهاجرون سوف یزیدون من قوه الامه،و یعجلون عملیه تحریر أراضیهم من نیر الطغاه و المحتلین.

و الذین لا یهاجرون فی سبیل اللّه الی موطن آمن،و یبررون ارتکابهم للسیئات،و مساهمتهم فی ظلم أنفسهم و عدم الرد علی المعتدین علیهم،هؤلاء سوف یساقون یوم القیامه الی جهنم،ذلک لان الظالم و المظلوم فی الذنب سواء،إذ کان بإمکان المظلوم دفع الظلم عن نفسه و لم یفعل.

إِنَّ الَّذِینَ تَوَفّٰاهُمُ الْمَلاٰئِکَةُ ظٰالِمِی أَنْفُسِهِمْ

ص:۱۶۰

أی جاءتهم الوفاه حین کانوا یظلمون أنفسهم،اما بعدم الرد علی ظلم الظالمین لهم،أو باقترافهم السیئات تحت ضغط الظالمین.

قٰالُوا فِیمَ کُنْتُمْ أی کیف کنتم تعیشون و فی ایه حاله؟!بالطبع لم یکونوا یعیشون فی حاله رضا،و لا فی حاله طاعه للّه لأنهم کانوا فی ظل حکم غاشم،و لکنهم لم یبینوا حالتهم،بل بینوا فقط عذرهم الذی سرعان ما ردّ فی وجوههم.

قٰالُوا کُنّٰا مُسْتَضْعَفِینَ فِی الْأَرْضِ قالوا:مستضعفین و لم یقولوا ضعفاء،لان اللّه لم یخلق أحدا ضعیفا،بل الناس هم الذین یساهمون فی أضعاف أنفسهم،أو إضعاف بعضهم لبعض.

قٰالُوا أَ لَمْ تَکُنْ أَرْضُ اللّٰهِ وٰاسِعَهً فَتُهٰاجِرُوا فِیهٰا ما دامت الأرض للّه،و ما دام الإنسان عبدا له،فلما ذا یستمر فی ارض واحده؟لماذا یعبد اقرانه حتی و لو کان علیه الظلم و الکبت؟أ فلیس خیر البلاد ما حمل الإنسان؟!کما قال الامام علی علیه السلام .

إن جزاء هؤلاء هو اشراکهم فی ظلم الظالمین لهم،بالاضافه الی جزاء سیئات أعمالهم التی لا یبررها الضغط علیهم من قبل الظالمین،ما داموا قادرین علی الهجره عن ارض الظلم.

فَأُولٰئِکَ مَأْوٰاهُمْ جَهَنَّمُ وَ سٰاءَتْ مَصِیراً

المستضعفون و واجب الهجره:

[۹۸]بلی هناک طائفه من المستضعفین لا یستطیعون الهجره،فأولئک قد

يعفيهم اللّه من جزاء بقائهم فى ارض الظلم.

إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَ النِّسَاءِ وَ الْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَ لَا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً فهؤلاء قد يكونون رجالا أو نساء أو شبابا،و هذا يعنى ان الهجره مفروضه على كل الرجال القادرين،و كل النساء القادرات،و كل الشباب القادرين، و ليس من الصحيح بقاء المرأه القادره على الهجره لان زوجها غير قادر، أو بقاء الشاب لان والديه لا يستطيعان الهجره.

ذلك لان اللّه سوف يحاسب كل واحد منا على عمله بشكل انفرادى، و لا ينام اثنان فى قبر واحد.

و انما يعفى هؤلاء عن جزاء الهجره إذا لم يكونوا قادرين على دفع الظلم، و لا على الهجره من ارض الظلم،فهم لا يستطيعون حيله لمنع الظلم عن أنفسهم، و لا يهتدون سبيلا للخروج من بلد الظالمين.

[۹۹]و لا يسقط واجب الهجره عن هؤلاء بمجرد عدم الهجره،بل عليهم ان يهيئوا لأنفسهم وسائل القوه حتى يهاجروا،أو يمنعوا الظلم عن أنفسهم،و لذلك عبر القرآن عن سقوط واجب الهجره عن هؤلاء بقوله(عسى)للدلاله على الاحتمال القوى دون التأكيد،حتى لا ينام المظلومون على الظلم تحت تأثير مخدر الياس،و تبرير عدم القدره على الهجره أو الثوره.

كلا فان الإنسان غير القادر عند نفسه،قد يكون قادرا فى الواقع لو تحرك متوكلا على اللّه...قال اللّه تعالى:

فَأُولٰئِكَ عَسَى اللّٰهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَ كٰانَ اللّٰهُ عَفُوًّا غَفُوراً

ان صفه العفو الكامله عند اللّه هی وراء العفو عن هؤلاء،و الا فهم مسئولون أیضا عن عواقب سکوتهم و بقائهم مع الظالمین.

ماذا تعنی الهجره

؟ [۱۰۰]و الهجره لا تعنی الاستغناء عن الوطن،بل معناها الانتقال من الوطن الصغیر الی الوطن الکبیر،من الأفق الأضیق الی الأفق الارحب،الی حیث الرخاء و الحریه.

فهناک أراض واسعه خلقها اللّه،و المهاجر سیجدها امامه إذا لم یدرکه الموت فی الطریق،اما إذا أدرکه فانه سیجد امامه رحمه اللّه و الجنه.

وَ مَنْ یُهاجِرْ فِی سَبِیلِ اللّهِ یَجِدْ فِی الْأَرْضِ مُراغَماً کَثِیراً وَ سَعَهً سیجد ترابا کثیرا،و التراب یشکل نصف حضاره الإنسان،لأنه موقع السکن و الزراعه و السیاحه،و نصفها الاخر الحریه التی عبر عنها القرآن ب(سعه)،حیث یمکن للبشر فی ظل الحریه ان یستثمر طاقات التراب،و یعیش حیاه هانئه.

وَ مَنْ یَخْرُجْ مِنْ بَیْتِهِ مُهاجِراً إِلَی اللّهِ وَ رَسُولِهِ ثُمَّ یُدْرِکْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَی اللّهِ لأنه هاجر بهدف دعم قضیه الرساله المتمثله فی تطبیق مناهج اللّه و تحریر عباد اللّه.

وَ کانَ اللّهُ غَفُوراً رَحِیماً و کلمه اخیره:ان نظره واحده الی التاریخ تعطینا فکره واضحه عن دور الهجره الاساسی فی تأسیس کل الحضارات الکبری،و فی أغلب الحرکات

الاصلاحیه و التحرریه فی العالم عبر العصور،و اهمیه الإسلام انه یجعل الهجره واجبا دینیا مقدسا،و قاعده اساسیه فی حیاه المؤمنین،و بذلک یضمن للحرکه الاصلاحیه البقاء،و التوسع،و القدره علی تجاوز القوی الطاغوتیه،کما یجعل لها افقا عالمیا یساعد علی ترکیع الطغاه بفضل تعاون الشعوب الساعیه نحو التحریر و التقدم و التطویر.

و لیت القوی التحرریه الاسلامیه عرفت الیوم هذا الدور الاساسی للهجره، و رکزت جهودها فی ارض حره،ثم انطلقت منها لتحریر الشعوب.

ص:۱۶۴

[سوره النساء (۴): الآيات ۱۰۱ الى ۱۰۴]

اشاره

وَ إِذٰا ضَرَبْتُمْ فِي اَلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنٰاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ اَلصَّلاٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ اَلَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ اَلْكٰافِرِينَ كٰانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِيناً (۱۰۱) وَ إِذٰا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ اَلصَّلاٰةَ فَلْتَقُمْ طٰائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَ لْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذٰا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرٰائِكُمْ وَ لْتَأْتِ طٰائِفَةٌ أُخْرىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَ لْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَ أَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ اَلَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَ أَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وٰاحِدَةً وَ لاٰ جُنٰاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كٰانَ بِكُمْ أَذىً مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضىٰ أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَ خُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اَللّٰهَ أَعَدَّ لِلْكٰافِرِينَ عَذٰاباً مُهِيناً (۱۰۲) فَإِذٰا قَضَيْتُمُ اَلصَّلاٰةَ فَاذْكُرُوا اَللّٰهَ قِيٰاماً وَ قُعُوداً وَ عَلىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اِطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا اَلصَّلاٰةَ إِنَّ اَلصَّلاٰةَ كٰانَتْ عَلَى اَلْمُؤْمِنِينَ كِتٰاباً مَوْقُوتاً (۱۰۳) وَ لاٰ تَهِنُوا فِي اِبْتِغٰاءِ اَلْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمٰا تَأْلَمُونَ وَ تَرْجُونَ مِنَ اَللّٰهِ مٰا لاٰ يَرْجُونَ وَ كٰانَ اَللّٰهُ عَلِيماً حَكِيماً (۱۰۴)

ص:۱۶۵

صلاه الخوف

هدی من الآیات:

الآیات الثلاث الاولی بینت بعض ما یرتبط بالهجره و القتال من احکام الصلاه(کالقصر فی الصلاه حین السفر،و حین الخوف،و صلاه الخوف جماعه، و واجب التسلح حین اقامه صلاه الخوف).

و جاءت هذه الأحکام لتبیّن عده حقائق:

أولا:ان للهجره أو القتال اهدافا اساسیه و مقدسه تتلخص فی رضا الرب، و اقامه حکمه فی الأرض،و علینا الا ننسی هذه الاهداف،و نحن نعیش صعوبه الحیاه أثناء الهجره أو القتال،و ذلک بإقامه الصلاه أثناء الهجره أو القتال، و القرآن یرید بناء مجتمع متوازن و متکامل البناء بما یحقق جمیع جوانب الإسلام المادیه و الروحیه.

ثانیا:ان علی المسلم الا یزعم ان العبادات هی اهداف،و انها لا تتغیر،بل انها-بالرغم من اهمیتها-وسائل فی اطار الاهداف الکبری للمسلم،و لذلک

فهی تتطور وفق مقتضیات تحقیق تلک الاهداف،مثل ظروف الحرب أو الهجره، فالصلاه و هی أهم العبادات تختصر بسبب الهجره أو الخوف.

ثالثا:علی المسلم الا ینشغل بالصلاه عن باقی واجبات الاستعداد المادی، فعلیه ان یکون حذرا مسلحا سریعا و نشیطا،فاذا کان الاستعداد واجبا حتی حین الصلاه،فکیف به فی غیر هذه الحاله؟! بهذا یرید القرآن أن یبیّن لنا مدی الضروره فی تحقیق الشروط الموضوعیه للنصر علی العدو و عدم التکاسل عن واحد منها،بتبریر أننا مسلمون و قضیتنا قضیه حقه.

و الآیه الرابعه و الاخیره تبین هذه الحقیقه بصفه اخری،إذ تحذرنا من مخاطر الحرب و آلام الهجره،و تبین لنا ضروره الاستعداد النفسی لتحملها،و الا نتصور ان الحرب لعب،أو ان الهجره سیاحه،إذ ان هذا التصور قد یؤدی بنا الی الوهن و الارتخاء،و التقاعس عن متابعه المراحل النهائیه للحرب،و الاکتفاء فقط بإسقاط الواجب.

بینات من الآیات:

القصر و صلاه الخوف:

[۱۰۱]فی حاله السفر و الخوف من العدو،کما إذا کان المهاجر یتعقبه الکفار لیردوه الی معتقل الکبت و الإرهاب،هنالک لا بأس علیه ان یصلی قصرا، فیحذف من کل صلاه رباعیه رکعتین،بالرغم من ان الصلاه عباده موقوته، و علی المسلم أن یؤدیها کما هی دون نقیصه،فانه بسبب السفر أو الخوف یسقط نصف هذه العباده.

وَ إِذٰا ضَرَبْتُمْ فِی الْأَرْضِ فَلَیْسَ عَلَیْکُمْ جُنٰاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاٰهِ

و يبقى سؤال:هل القصر واجب فى هذه الحاله؟ الجواب:

بلى..و السبب ان تعريض المسلم ذاته للخطر حرام،فاذا كانت الصلاه الواجبه فقط ركعتين،فاضافه ركعتين أخريين فى ظروف الخوف حرام.

من هنا اكتفى القرآن بكلمه(لا جناح)أى(لا بأس)لبيان سقوط الوجوب عن الركعتين الاضافيتين.

أما حرمه إقامتهما فقد سكت عنها لوضوح الأمر من خلال معرفه ظروف الخوف التى أسقطت قسما من الصلاه،فلا يجوز التفريط فيها بحياه المسلم.

إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا أى ان يخدعوكم بمكيده،و يعودوا بكم الى ارض الطاغوت،أو يقتلوكم أثناء الصلاه.

إِنَّ الْكافِرِينَ كانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِيناً فعليكم التحذر منهم حذرا شديدا.

الحرب و صلاه الجماعه:

[۱۰۲]أما فى حاله الحرب فان الصلاه تقام جماعه،حيث ينقسم المسلمون الى طائفتين:طائفه يقيمون الصلاه،و أخرى يواجهون العدو.

اما القائد فهو يصلى بكلتا الطائفتين،حيث انه يقف امامهم و وراءه الطائفه المصليه يصلون معه،و فى الركعه الاولى ينتظر الامام و هو جالس بينما يسارع

المأمومون بالقيام و الركوع و السجود،و حين سجود هذه الطائفه تعود الطائفه الثانيه التى لا تزال غير مصليه حتى يصيروا وراء المصلين،و بمجرد انتهاء صلاتهم و زحفهم نحو العدو،يكون هؤلاء قد استقروا فى مكانهم،حيث يقف الامام و يتابع صلاته،و تأتم به هذه الطائفه بحيث تصبح الركعه الثانيه للإمام مساويه للركعه الاولى للمأمومين(و هم هنا الطائفه الثانيه)فاذا جلس الامام للتشهد قام هؤلاء و أضافوا ركعه ثانيه و انهوا صلاتهم.

فيكون المحصل ان الامام صلى ركعتين كل ركعه بطائفه،و تكون كل طائفه قد صلت ركعه مع الامام و ركعه منفرده.

وَ إِذٰا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاٰةَ فَلْتَقُمْ طٰائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَ لْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذٰا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرٰائِكُمْ وَ لْتَأْتِ طٰائِفَةٌ أُخْرىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ و على المحاربين أن يكونوا فى حاله الصلاه مسلحين،و لا تشغلهم الصلاه عن الحرب بما فيها من الاهتمام بالسلاح و العتاد و الحذر.

إذ ان العدو ينتظر هذه الفرصه لينقض على المسلمين و يبيدهم،و فى حاله واحده فقط يسمح بوضع السلاح و هى حاله الضروره،مثل ان يكون المطر مانعا من الاهتمام بالصلاه و السلاح معا،أو يكون الشخص مريضا لا يستطيع ان يقوم و يقعد و يسجد و هو مثقل بالحديد.

وَ لْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَ أَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَ أَمْتِعَتِكُمْ أمتعه الحرب هى العتاد أو الزاد و كلها ضروريه للنصر.

فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وٰاحِدَةً وَ لاٰ جُنٰاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كٰانَ بِكُمْ أَذىً مِنْ مَطَرٍ أَوْ

كُنْتُمْ مَرْضىٰ أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَ خُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللّٰهَ أَعَدَّ لِلْكٰافِرِينَ عَذٰاباً مُهِيناً و بالطبع يكون الحر الشديد،أو الرياح العاتيه و ما أشبه من الظروف التى يصبح حمل الاسلحه فيها حرجا يكون بمثابه المطر.

ذكر اللّه بصيره المؤمن:

[۱۰۳]فاذا انتهت الصلاه،و عاد المقاتلون الى الحرب،فعليهم ان لا ينسوا ذكر اللّه فى مختلف الحالات.

فَإِذٰا قَضَيْتُمُ الصَّلاٰةَ فَاذْكُرُوا اللّٰهَ قِيٰاماً وَ قُعُوداً وَ عَلىٰ جُنُوبِكُمْ أى و أنتم مستلقون.

و ربما جاء الأمر بذكر اللّه بعد صلاه الخوف لتكميل النقص فيها،حيث يستحب ان يذكر المصلى قصرا ربه خلال فتره من الزمن،تساوى فتره صلاه الركعتين اللتين سقطتا عنه،و لكن لا يجب ان يكون ذلك فى هيئه الصلاه،بل أثناء قيامه بالأعمال العاديه.

و بعد انتهاء الخوف و عوده الحياه الطبيعيه،تعود الصلاه كما كانت اربع ركعات.

فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاٰةَ إِنَّ الصَّلاٰةَ كٰانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتٰاباً مَوْقُوتاً أى أمرا ثابتا،و مقدرا فى أوقات محدده،و الشىء لا يكون ثابتا إلا لأهميته، كما لا يكون محددا تحديدا دقيقا إلا لأهميته أيضا.

[۱۰۴]إذا كان أداء الصلاه فى الحرب يختلف عنه فى السلم،إذا يجب ان

يكون قصرا،و يتسلح المصلى خلالها و يتحذر،فان ذلك يهدينا الى مدى اهميه التسلح و التحذر فى الحروب،و بالتالى الاستعداد لمواجهه كافه الاحتمالات، و هذا شرط ضرورى لنصر اللّه.

و من الاستعداد التهيؤ النفسى للقتال،و الشجاعه فى الاقدام من دون خوف أو تردد،و هذا ما تبينه هذه الايه:

وَ لاٰ تَهِنُوا فِي ابْتِغٰاءِ الْقَوْمِ لاـ تضـعفوا فى متابعه الأعـداء،و مهاجمه معاقلهم،و التفتيش عنهم،و بتعبير آخر:كونوا دائما المبادرين بالهجوم على العدو،و لا تخافوا من عواقب الهجوم، ذلك لان العدو بشر مثلكم،و هو يألم و ينهار بالصعوبات،كما تألمون أنتم و لكنكم لا تنهارون،لأنكم ترجون اللّه سبحانه.

إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمٰا تَأْلَمُونَ وَ تَرْجُونَ مِنَ اللّٰهِ مٰا لاٰ يَرْجُونَ وَ كٰانَ اللّٰهُ عَلِيماً حَكِيماً فهو بعلمه المحيط بكم يعلم مقدار تضحياتكم،و بحكمته يعطيكم النصر على قدرها،بعد الصبر عليها،و ليس عبثا و بلا سبب.

ص:۱۷۲

[سوره النساء (۴): الآيات ۱۰۵ الی ۱۱۰]

اشاره

إِنّٰا أَنْزَلْنٰا إِلَيْكَ اَلْكِتٰابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ اَلنّٰاسِ بِمٰا أَرٰاكَ اَللّٰهُ وَ لاٰ تَكُنْ لِلْخٰائِنِينَ خَصِيماً (۱۰۵) وَ اِسْتَغْفِرِ اَللّٰهَ إِنَّ اَللّٰهَ كٰانَ غَفُوراً رَحِيماً (۱۰۶) وَ لاٰ تُجٰادِلْ عَنِ اَلَّذِينَ يَخْتٰانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اَللّٰهَ لاٰ يُحِبُّ مَنْ كٰانَ خَوّٰاناً أَثِيماً (۱۰۷) يَسْتَخْفُونَ مِنَ اَلنّٰاسِ وَ لاٰ يَسْتَخْفُونَ مِنَ اَللّٰهِ وَ هُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مٰا لاٰ يَرْضىٰ مِنَ اَلْقَوْلِ وَ كٰانَ اَللّٰهُ بِمٰا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً (۱۰۸) هٰا أَنْتُمْ هٰؤُلاٰءِ جٰادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي اَلْحَيٰاةِ اَلدُّنْيٰا فَمَنْ يُجٰادِلُ اَللّٰهَ عَنْهُمْ يَوْمَ اَلْقِيٰامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً (۱۰۹) وَ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اَللّٰهَ يَجِدِ اَللّٰهَ غَفُوراً رَحِيماً (۱۱۰)

اللغه

۱۰۷[يختانون]:يخونون.

۱۰۸[يستخفون]:يستترون و يتوارون.

ص:۱۷۳

المذنبون بين التوبه و العصيان

هدى من الآيات:

فی سیاق الحدیث العام عن طبقات المجتمع الاسلامی فی هذه السوره، تتحدث هذه الآیات عن طبقه المذنبین،و هم الذین یخونون أمانات الناس فیأکلون أموالهم بالباطل،أو یخونون أمانه اللّه فیرتکبون الخطایا التی تعود علی أجسامهم أو عقولهم بالضرر،و هذه الطبقه تحاول أن تستمیل القیاده الی جنبها حتی تعمل ما تشاء،لذلک أمر اللّه رسوله الا یجادل عنهم و الا یحمیهم،ذلک لأن الرسول علیه أن یتبع الحق الذی أنزل علیه فی الکتاب،و یتخذه مقیاسا لحکمه علی الناس، و اتخاذه المواقف منهم.

و هذه الطبقه تخشی من افتضاح أمرها عند القیاده و الجماهیر،و لا تعرف أنها أحق بالخشیه من عذاب اللّه،و لذلک فحتی إذا انحرفت القیاده و هادنتهم زورا، و حتی إذا ضللت الجماهیر،فهی لا تبتعد عن عقاب اللّه سبحانه و تعالی غدا.

ص:۱۷۴

و أمام هذه الطبقه طريق واحد للتخلص من واقعها و هو التوبه،فاذا تابوا و عادوا الى الايمان أصبحوا و كأنهم لا سوابق سيئه لهم.

بينات من الآيات:

المبدئيه فى القياده الاسلاميه:

[۱۰۵]القياده الاسلاميه قياده مبدئيه و ليست قياده مصلحيه،و لذلك فهى لا تنظر الى بعد الناس أو قربهم إليها،بقدر ما تنظر الى بعدهم أو قربهم عن اللّه سبحانه.

و من هنا فهى لا تمالئ طبقه الكبراء أو المفسدين لمجرد قوتهم،أو من أجل دعمهم المحدود للقياده.كلا..بل تنابذهم العداء حتى يتوبوا الى اللّه،فالقوى العزيز عند القائد الاسلامى ذليل ضعيف حتى يؤخذ الحق منه،و الضعيف الذليل قوى عزيز حتى يؤخذ الحق له،كما قال الامام على عليه السلام .

ان الكتاب هو المقياس فى الحكم على الناس و ليست المصالح أو الأهواء.

إِنّٰا أَنْزَلْنٰا إِلَيْكَ الْكِتٰابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النّٰاسِ بِمٰا أَرٰاكَ اللّٰهُ و لذلك فلا مكان للفساد الادارى فى الحكم الاسلامى الصحيح،و لا مكان للواسطه،و الرشوه،و المحسوبيات على حساب حقوق الناس.

وَ لاٰ تَكُنْ لِلْخٰائِنِينَ خَصِيماً أى لا تخاصم فى مصلحه الخائنين،و لا تجعل قوه السلطه فى خدمه هؤلاء

الذین یخونون الناس و یأکلون حقوقهم،و هؤلاء هم أصحاب مراکز القوی و العائلات الکبیره،و أصحاب الجاه العریض و الثروه الطائله.

حفظ الاستقلال مهمه القیاده

[۱۰۶]المهمه الصعبه للقیاده هی:المحافظه علی استقلالها امام الخائنین، و ترفعها عن اغراءاتهم و رشواتهم و مکائدهم،و قدرتها بالتالی علی أن تکون حاکمه بین الناس بالعدل.

و لصعوبه هذه المهمه أمر اللّه القیاده بالاستغفار،إیحاء بأنها لو وقعت فی شرک الخائنین«لا یسمح»فعلیها أن تصحح مسیرتها بسرعه و تتوب الی اللّه.

وَ اسْتَغْفِرِ اللّٰهَ إِنَّ اللّٰهَ کٰانَ غَفُوراً رَحِیماً ان الاستغفار یعطی القیاده مناعه من الوقوع تحت تأثیر مراکز القوی، و یعطی القیاده شجاعه لتحدی الناس،و الخوف فقط من اللّه رب الناس أجمعین.

[۱۰۷] وَ لاٰ تُجٰادِلْ عَنِ الَّذِینَ یَخْتٰانُونَ أَنْفُسَهُمْ أی یخونون أنفسهم بارتکابهم الذنوب،و علی القیاده الرسالیه ألا تهادن هؤلاء و لا تجمّل صورتهم القبیحه أمام الناس،و تبرر للناس معاصیهم،لأن اللّه لا یحب هؤلاء الذین لا یزالون یخونون أمانه اللّه الذی أمرهم بحفظ أجسامهم، و عقولهم،و کرامتهم من الإثم و الخطیئه.فالزانی یخون اللّه فی جسده و نسله و هما أمانتان للّه علی عاتقه،و شارب الخمر یخون اللّه فی جسده و عقله،و لاعب القمار

ص:۱۷۶

يخون اللّه فى جسده و ماله،و بالتالى كل مذنب يتصرف فى نعم اللّه التى هى أمانات عنده بغير ما أمر اللّه.

إِنَّ اللّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كانَ خَوّاناً أَثِيماً

ازدواجيه الشخصيه

[١٠٨]هؤلاء يتكتمون على أنفسهم لكى لا يعرف الناس ارتكابهم للذنوب،غافلين عن أن اللّه عارف بأمرهم،و أنه هو الذى يجازيهم عليه.

فالخمر و الزنا و القمار و كل الذنوب الأخرى تتبعها آثارها الضاره،سواء عرف الناس أم جهلوا.

ثم إن اللّه يعرف هؤلاء قبل أن يرتكبوا الذنوب،بل حين ينوون ذلك أو يتآمرون بينهم عليها فى الليل،إن اللّه معهم يسمعهم،و يسجل عليهم أقوالهم و نياتهم،أ فلا يستحيون منه؟!! يَسْتَخْفُونَ مِنَ النّاسِ وَ لا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللّهِ وَ هُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ ما لا يَرْضى مِنَ الْقَوْلِ وَ كانَ اللّهُ بِما يَعْمَلُونَ مُحِيطاً فهو يعلم ما يقولون و قادر على منعهم متى يشاء!! كما هو قادر على أن يأخذهم حين يشاء أخذ عزيز مقتدر! [١٠٩]و لنفرض أنكم بررتم مواقف هؤلاء المذنبين،و جمّلتم صورهم أمام الناس هنا فى الدنيا،فمن ينقذهم هناك فى الآخره من الفضيحه أمام الخلق فى يوم القيامه؟و من يخلصهم من حكم اللّه؟و من يحامى عنهم فى محكمه العدل؟!

هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا [١١٠]و لهؤلاء باب واحد للخلاص هو التوبه حيث أنهم لو دخلوه أصبحوا مواطنين شرفاء يقبل اللّه توبتهم و المؤمنون.

وَ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللّهَ يَجِدِ اللّهَ غَفُوراً رَحِيماً

ص:١٧٨

[سوره النساء (۴): الآیات ۱۱۱ الی ۱۱۵]

اشاره

وَ مَنْ یَکْسِبْ إِثْماً فَإِنَّما یَکْسِبُهُ عَلی نَفْسِهِ وَ کانَ اَللّهُ عَلِیماً حَکِیماً (۱۱۱) وَ مَنْ یَکْسِبْ خَطِیئَهً أَوْ إِثْماً ثُمَّ یَرْمِ بِهِ بَرِیئاً فَقَدِ اِحْتَمَلَ بُهْتاناً وَ إِثْماً مُبِیناً (۱۱۲) وَ لَوْ لا فَضْلُ اَللّهِ عَلَیْکَ وَ رَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طائِفَهٌ مِنْهُمْ أَنْ یُضِلُّوکَ وَ ما یُضِلُّونَ إِلاّ أَنْفُسَهُمْ وَ ما یَضُرُّونَکَ مِنْ شَیْءٍ وَ أَنْزَلَ اَللّهُ عَلَیْکَ اَلْکِتابَ وَ اَلْحِکْمَهَ وَ عَلَّمَکَ ما لَمْ تَکُنْ تَعْلَمُ وَ کانَ فَضْلُ اَللّهِ عَلَیْکَ عَظِیماً (۱۱۳) لا خَیْرَ فِی کَثِیرٍ مِنْ نَجْواهُمْ إِلاّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَهٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَیْنَ اَلنّاسِ وَ مَنْ یَفْعَلْ ذلِکَ اِبْتِغاءَ مَرْضاتِ اَللّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِیهِ أَجْراً عَظِیماً (۱۱۴) وَ مَنْ یُشاقِقِ اَلرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ ما تَبَیَّنَ لَهُ اَلْهُدی وَ یَتَّبِعْ غَیْرَ سَبِیلِ اَلْمُؤْمِنِینَ نُوَلِّهِ ما تَوَلّی وَ نُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَ ساءَتْ مَصِیراً (۱۱۵)

اللغه

۱۱۴[نجواهم]:النجوی هی الأسرار،و النجوی فی الکلام ما ینفرد به الجماعه أو الاثنان،سرا کان أو ظاهرا.

۱۱۵[یشاقق]:الشقاق الخلاف مع العداوه،و شق العصا أی فارق الجماعه.

[نوله]:من الولی و هو القرب یقال الشیء یلیه إذا قرب منه.

ص:۱۸۰

التبرير باب النفاق

اشاره

و طريق الانحراف

هدى من الآيات:

أسوأ ما في طبقه الخائنين و المختانين أنهم لا يتحملون نتائج أعمالهم، فيحاولون إلقاء مسئولياتها على الآخرين بطريقه أو بأخرى،فيقولون مثلا:أن حادثه القتل قد ارتكبها فلان،أو يقولون بأن السبب في شربنا الخمر تربيه الآباء لنا على ذلك،و أننا تبعا،لذلك فنحن غير مسئولين عن هذا الذنب بل آباؤنا هم المسؤولون.

و عند تبرئه أنفسهم و اتهام الآخرين بالجرائم،يحاولون تضليل القياده و اقناعها خطأ بأن مرتكبي الحادث الفلاني هم فلان و فلان.

و لكن هذه المحاوله تبوء بالفشل،و تخلف أثرا سلبيا على أنفسهم،إذ تجعلهم يتصورون أنهم غير مسئولين تصورا أشد،و بالتالي لا تتركهم يعودون الى رشدهم.

و الرسول لا يضلل لأن اللّه انزل عليه الكتاب،و فيه بصائر توضح المواقف

ص:۱۸۱

التی لا بد من اتخاذها من مختلف الأشخاص،کما أن فیه الحکمه و الأسلوب الصحیح لمعامله الناس حسب طبقاتهم و أعمالهم،و فیه القدره علی کشف الحقائق و هذا هو الفضل الکبیر.

و بعض هؤلاء یحاول التزلف الی الرسول و مناجاته لکی یبرئ ساحته أمام الناس،و یتظاهر بمظهر المؤمن المقرب عند اللّه و عند رسوله،فیأتی و یناجی الرسول و هو لا یملک شیئا یقوله،بینما المناجاه یجب أن یکون لها هدف سام،و بعضهم ینابذ الرسول العداء علنا،و هو بذلک یختار الکفر علی الایمان و اللّه یعامله علی هذا الأساس.

بینات من الآیات:

مسئولیه الإنسان:

(۱۱۱)ما دام الإنسان حرا فی تصرفاته فانه یتحمل مسئولیه أعماله،و لیس من الصحیح أن یلقی بمسؤولیه عمله علی الآخرین باسم أو آخر،فلیست التربیه، و لیس المجتمع،و لیست السلطه،و لیس الأصدقاء و..و..هم المسؤولون عن ارتکاب الفرد للخطیئه أو الإثم بقدر ما هو المسؤول.

وَ مَنْ یَکْسِبْ إِثْماً فَإِنَّمٰا یَکْسِبُهُ عَلیٰ نَفْسِهِ أی یکسبه و یکون ضررا علی نفسه.

وَ کٰانَ اللّٰهُ عَلِیماً حَکِیماً و لذلک فانه لا یحمل المسؤولیه الا علی من ارتکبها.

[۱۱۲]و حین یفعل الفرد خطیئه کبیره أو إثما،ثم یحاول القاءها علی الآخرین و یدعی انهم المسؤولون عنها،أو حتی یدعی-کذبا-انهم هم الفاعلون مباشره لها فان ذلک یعتبر إثما جدیدا،یضاف الی إثمه السابق،فیصبح إثما مضاعفا و مسئولیه مزدوجه.

وَ مَنْ یَکْسِبْ خَطِیئَهً أَوْ إِثْماً ثُمَّ یَرْمِ بِهِ بَرِیئاً فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتاناً وَ إِثْماً مُبِیناً و عوده مثل هذا الشخص الی الطریق الصحیح أصعب من عوده من یرتکب الذنب و یعترف به،لأن هذا یزکی نفسه و یبعدها عن دائره المسؤولیه،فکیف یمکنه إصلاح ذاته؟! و ربما الخطیئه هی:الإثم الکبیر،و منه الذنب الذی یعود بضرره علی الآخرین،بینما الإثم مطلق الذنب و البهتان و ادعاء قیام الناس بالذنب و هم براء منه.

الاجرام المضلل و القیاده المبدئیه:

[۱۱۳]المجرمون و الخائنون للناس المختانون لأنفسهم یحاولون دائما تضلیل القیاده،و ذلک باستمالتها بإغراءات مختلفه مثل:المساهمه فی الأرباح التی یحصلون علیها باغتصاب حقوق الناس،أو دعم القیاده فی مواجهه أعدائها فی الداخل و الخارج،أو تخویفها بالانضمام الی الجبهات المناهضه لها...و هکذا،فی الواقع أن خطر وقوع القیاده فی شرک هؤلاء خطر عظیم.

و من الصعب أن تصمد القیاده أمام موجات الضغوط،و الاغراءات القادمه

ص:۱۸۳

من طرف المجرمین،إلا إذا کانت القیاده مبدئیه تتمسک بالرساله،و ینقذها اللّه فی لحظه الضغوط ببعض الانتصارات التی تجعلها مطمئنه الی قوتها فی مواجهه الضغوط،و الرساله هی فضل اللّه،و الانتصارات و رکائز القوه هی رحمه اللّه.

وَ لَوْ لاٰ فَضْلُ اللّٰهِ عَلَیْکَ وَ رَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طٰائِفَهٌ مِنْهُمْ أَنْ یُضِلُّوکَ و الواقع أن تلک الطائفه قد خططت فعلا لتضلیل القیاده،و لکنهم حین و جدوا امامهم طود الایمان الراسخ تراجعوا و لم یحرکوا ساکنا و کأنهم لم یهموا بذلک أبدا،و هذا من بلاغه القرآن حیث بیّن أنهم لم یهموا بالرغم من ان النیه کانت موجوده لدیهم،و لکنهم حین لم یجرءوا بتنفیذها فکأنهم لم یهموا..

وَ مٰا یُضِلُّونَ إِلاّٰ أَنْفُسَهُمْ ذلک لأن الإنسان إذا أراد أن یضلل الناس تترسخ عنده الضلاله أکثر فأکثر،و کذلک کل صفات الإنسان العقلیه و النفسیه،انک حیث ترید ان تعلم أحدا شیئا یزداد علمک،و إذا أردت أن تهدی أحدا تزداد هدی.

وَ مٰا یَضُرُّونَکَ مِنْ شَیْءٍ بالرغم من تهدیدهم لک بأنهم سوف ینضمون الی الجبهات المعادیه لو لم تسکت عنهم،ذلک لأنهم عناصر انتهازیه،و هم لا ینفعون جبهتک أبدا.

و أنک یا رسول اللّه تمثل قیاده رسالیه ذات دستور ثابت متمثل فی(الکتاب) و ذات رؤیه استراتیجیه ذکیه ناجحه متمثله فی(الحکمه)و هذا هو فضل اللّه علیک.و من جهه أخری إنک تملک یا رسول اللّه العلم و هو قوه هائله لدحر العدو

و هو رحمه اللّه عليك فكيف يضرونك؟! وَ أَنْزَلَ اللّٰهُ عَلَيْكَ الْكِتٰابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ عَلَّمَكَ مٰا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَ كٰانَ فَضْلُ اللّٰهِ عَلَيْكَ عَظِيماً

أهداف المنافقين:

[۱۱۴]و من أساليب هؤلاء الماكره التزلف الى رسول اللّه لهدفين:

الاول:محاوله التأثير فيه حسب المستطاع.

الثانى:إظهار القوه لأنفسهم أمام الناس،و التظاهر بالتقوى،حتى يمكنهم خيانه الناس و الاستمرار فى المعاصى بعيدا عن روع الجماهير.

و لكن على الرسول أن يبعدهم عن نفسه.و ان يصغى الى نجوى من يأمره بالخير،و هكذا على كل قياده رساليه أن تبعد عن نفسها البطانات الفاسده، و تتخذ مستشارين صالحين يأمرون بالخير.

لاٰ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوٰاهُمْ إِلاّٰ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاٰحٍ بَيْنَ النّٰاسِ لعل الصدقه هى العطاء المالى لوجه اللّه،و المعروف هو العمل الصالح، و الإصلاح هو ازاله التوتر بين الناس،و المستشار المؤمن هو الذى يأمر بالعطاء فى مواقعه الصحيحه،فهو يفتش عن المحرومين و يأمر بالعطاء لهم،و لا يأمر بالعطاء للمستكبرين الطغاه أو لأصدقائه و أقاربه!

و هو يأمر أيضا بالأعمال الحسنه المفيده للمجتمع،و يأمر باتباع الحق و الهدى،و هو يأمر بالإصلاح و لا يذكى الأحقاد،أو ينمى فى القيادات الحساسيات التافهه،و هذا المستشار المؤمن يهدف بعمله مرضاه اللّه،لا مرضاه سيده و أقاربه و أهوائه،و جزاء عمله سيراه فى الدنيا و الآخره.

وَ مَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ ابْتِغٰاءَ مَرْضٰاتِ اللّٰهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً

معصيه الرسول كفر باللّه:

[۱۱۵]و المجرمون الذين يعارضون رسول اللّه صلى الله عليه و آله لأنه أمرهم بالتقوى و لم يرضخ لضغوطهم،لا بد أن يعرفوا أنهم يبارزون اللّه،و انهم سوف ينتهى بهم الأمر الى الكفر و الى جهنم.

وَ مَنْ يُشٰاقِقِ الرَّسُولَ أى يتردد عليه و ينشق عن قيادته.

مِنْ بَعْدِ مٰا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدىٰ وَ يَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ و يقف فى الجبهه المعاديه لجبهه الرسول و المؤمنين،فانه يحكم على نفسه بالكفر،و اللّه يكرس عليه هذا الحكم الذى رضيه لنفسه بما فيه من مصير أسود.

نُوَلِّهِ مٰا تَوَلّٰى وَ نُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَ سٰاءَتْ مَصِيراً ان هذا الإنذار يجعل المؤمن يفكر مرتين قبل أن يقدم على مقاومه القياده، بسبب تصلب القياده فى تطبيق القانون عليه،و عدم استجابتها لضغوط أهل

المعاصی فی الامه،و بذلک تکون القیاده قویه و قادره علی تطبیق القانون علی الجمیع.

لقد ثبت عند أمیر المؤمنین«علی بن أبی طالب»أن واحدا من قواد جیشه شرب الخمر،فاستقدمه و أجری علیه الحد،و لم یقبل توسله أو شفاعه أحد فیه فقام الرجل و قال:

یا أمیر المؤمنین البقاء معک«ذل»و مفارقتک«کفر»فأجابه الامام قائلا:

(کلا..ان البقاء معی عز)ذلک أن تطبیق نظام السماء بالعدل هو العز،و لقد کان بإمکان هذا أن ینسحب الی جبهه العدو،و لکنه خشی أن تنطبق علیه هذه الآیه فیصبح کافرا.

ص:۱۸۷

[سوره النساء (۴): الآيات ۱۱۶ الى ۱۲۲]

اشاره

إِنَّ اَللّٰهَ لاٰ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَ يَغْفِرُ مٰا دُونَ ذٰلِكَ لِمَنْ يَشٰاءُ وَ مَنْ يُشْرِكْ بِاللّٰهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاٰلاً بَعِيداً (۱۱۶) إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلاّٰ إِنٰاثاً وَ إِنْ يَدْعُونَ إِلاّٰ شَيْطٰاناً مَرِيداً (۱۱۷) لَعَنَهُ اَللّٰهُ وَ قٰالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبٰادِكَ نَصِيباً مَفْرُوضاً (۱۱۸) وَ لَأُضِلَّنَّهُمْ وَ لَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَ لَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذٰانَ اَلْأَنْعٰامِ وَ لَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اَللّٰهِ وَ مَنْ يَتَّخِذِ اَلشَّيْطٰانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اَللّٰهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرٰاناً مُبِيناً (۱۱۹) يَعِدُهُمْ وَ يُمَنِّيهِمْ وَ مٰا يَعِدُهُمُ اَلشَّيْطٰانُ إِلاّٰ غُرُوراً (۱۲۰) أُولٰئِكَ مَأْوٰاهُمْ جَهَنَّمُ وَ لاٰ يَجِدُونَ عَنْهٰا مَحِيصاً (۱۲۱) وَ اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصّٰالِحٰاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنّٰاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا اَلْأَنْهٰارُ خٰالِدِينَ فِيهٰا أَبَداً وَعْدَ اَللّٰهِ حَقًّا وَ مَنْ أَصْدَقُ مِنَ اَللّٰهِ قِيلاً (۱۲۲)

اللغه

۱۱۷[مريدا]:المارد و المتمرد بمعنى العاتى و الخارج عن الطاعه.

۱۱۹[فليبتكن]:التبتيك التشقيق،و البتك القطع.

۱۲۱[محیصا]:مخلصا و مهربا،و المحیص من حاص،بمعنی عدل و انحرف.

الشرک بین الاراده،و الهوی

هدی من الآیات:

استمرارا للحدیث القرآنی عن طبقه الخائنین و المختانین أنفسهم تبین هذه الآیات جانبا من قضیه الشرک باللّه،ذلک الجانب الذی یعتبر النهایه الحتمیه للتمادی فی معصیه اللّه،و اتباع الهوی من دون اللّه.

ان الخیانه للناس أو للنفس تنتهی بنوع من الشرک،و الشرک لا یغفره اللّه أبدا لأنه ضلال بعید.

و ذلک النوع هو عباده الأصنام و الأجنه باعتبارها آلهه صغارا یشفعون عند اللّه سبحانه،و الواقع أن عباده هؤلاء لیس للصنم بل رمز للشیطان المرید الذی یضل هؤلاء،و قد أقسم قدیما علی تضلیل البشر.

و ان تقدیم الذبائح للأصنام بتلک الصوره البشعه إنما هو بأمر الشیطان الذی یستخدم فی تضلیلهم سلاح الوعود الکاذبه،و الأمانی الباطله،فهو یعدهم بالخصب و الرخاء،و یمنیهم بألا یؤخذوا بجرائم أعمالهم.

و بعکس ما یعدهم الشیطان فان هؤلاء سوف یلاقون جزاء أعمالهم فی

جهنم،و سوف لن تنفعهم أمانی الشیطان.

و الذین یعملون الصالحات و هم مؤمنون سید خلون الجنه.

ان الشرک باللّه هو نتیجه اتباع الهوی،و إنما یشرک باللّه من یشرک حین یستمر فی معاصی اللّه،و یتهرب من مسئولیات طاعته.

بینات من الآیات:

الشرک باللّه و حدود المغفره

[۱۱۶]بالرغم من أن رحمه اللّه واسعه و مغفرته کبیره تشمل کل الذنوب إلا أنها لا تسع الشرک باللّه لأنه ذنب عظیم،و ضلاله بعیده لا یمکن إصلاحها أو التغاضی عنها.

إِنَّ اللّٰهَ لاٰ یَغْفِرُ أَنْ یُشْرَکَ بِهِ وَ یَغْفِرُ مٰا دُونَ ذٰلِکَ لِمَنْ یَشٰاءُ وَ مَنْ یُشْرِکْ بِاللّٰهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاٰلاً بَعِیداً .

لأنه لم یعرف اللّه حتی قرنه ببعض خلقه،و لم یعرف الخلق حتی قرنه باللّه سبحانه،و لیس هناک شیء أبعد من شیء فی طبیعته و صفاته و أسمائه من الخالق عن المخلوق،فالذی یخلط بینهما لم یعرف أیا منهما.

و الشرک انحراف رئیسی لا یصلح معه عمل و هو أشبه ما یکون بالسیر نحو الشرق للوصول الی هدف فی الغرب حیث لا یمکن تصحیح هذه المسیره،بل علینا تبدیلها تماما،و لذلک لا تسع مغفره اللّه جریمه الشرک رغم أنها تسع کل ذنب آخر.

و لأنه انحراف رئیسی و سائر انحرافات البشر متفرعه عنه،بل لیس هناک انحراف إلا و یحمل فی جذوره صوره مصغّره من الشرک باللّه.

فالتکبر علی الناس،و التعالی علیهم،و الایمان بالعنصریه و الطبقیه و.و.نوع

مصغر من الشرک حیث لا یتکبر الشخص إلا إذا وضع نفسه فی صف الإله، و نسی انه لیس سوی مخلوق من خلق اللّه،و لا ریب ان التکبر بـدوره جـذر لآلاف الجرائم.إذ أن الشـخص الـذی یتعـالی علی الناس لا یتورع عن القیام بأیه جریمه ممکنه بحقهم،و الخضوع لبعض النـاس،و اعتبـار کلمتهم هی الحق الـذی لاـ ریب فیه،و اتبـاع سـیرتهم اتباعا مطلقا،و بالتالی العبودیه لهم نوع من الشـرک بـاللّه، حیث یضع الخـاضع سـیده فی صف الإـله،و ینسـی أنه لیس سوی بشـر ضـعیف، و عبودیه الآخرین جـذر لآلاف الجرائم أیضـا،و هکـذا سائر المعاصـی الکبیره و الصـغیره إن هی إلا صور مصـغره عن الشـرک باللّه.تلک الضـلاله البعیـده التی تجسد کل انحرافات البشر.

منشأ الشرک

[۱۱۷]و الشرک باللّه یبتدأ بفکره القوی الغیبیه الخارقه التی تسمی بالأرواح و تنقسم الی:

الملائکه و هی القوی الخیره،و الأجنه و هی القوی الشریره.

فالملائکه کانت تعبد فی الجاهلیه باعتبارها بنات اللّه سبحانه،بینما کان الجن یعبد باعتباره أندادا للّه و منافسا لسلطته علی الکون.

إِنْ یَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلاّـ إِناثـاً وَ إِنْ یَـدْعُونَ إِلاّـ شَـیْطاناً مَرِیـداً و المریـد أی المتمرد دائمـا عـن إطـاعه أوامر سـیده و الاعتقـاد بالأرواح(الشـریره منها و الخیره)و الاسـتعانه بها،و جعل رموز حجریه لها فی شـکل أصـنام تعبـد، و تقدّم إلیها القرابین.کل تلک کانت أغلالا علی طاقات البشر،و قیودا تعطل انطلاقته فی الحیاه.

ص:۱۹۲

ان الجاهلی الذی کان یتصور ان(هبل)هو الذی یشفیه من مرضه،لا یطلق طاقاته من أجل البحث عن الدواء،کما انه لم یکن یسعی من أجل تنمیه ماله أو أرضه أو ماشیته أو تجارته سعیا عقلانیا لأنه ما دام یعتقد أن بضع ذبائح تهدی الی اللات تکفی لفعل المعجزه فی حیاته الاقتصادیه.

و کان الجاهلیون یعطلون عقولهم حین یتصورون ان الجنّه(الشیاطین)توحی إلیهم،و کان أحدهم یجلس فی غرفه مظلمه،و یقوم بعملیه إیحاء ذاتی مستمر حتی یخیل الیه أن هاتفا غیبیا یحاوره،و إنما کان یحاور ذاته،و یجتر خیالاته و ظنونه،و بالتالی کان کلامه لا یعدو تکرارا لا واعیا لما انطبع بقلبه من أفکار و انعکاسات،و بالطبع کان کلامه الواعی و غیر الواعی مجرد أباطیل و أوهام تقف حاجزا أمام انطلاقه فکره،و تحرک عقله.

أهداف الشیطان

[۱۱۸]و قصه الملائکه تختلف عن قصه الشیاطین فبینما الملائکه عباد مطیعون للّه،لا یشفعون إلا لمن ارتضی،و بالتالی التقرب إلیهم لا ینفع شیئا لأن الکلمه الحاسمه النهائیه إنما هی للّه سبحانه،أما الشیاطین فهم مطرودون من رحمه اللّه و ملعونون،و لکنهم الیوم فی فسحه من المهله،و لا یعنی قیامهم بإضلال البشر أنهم قادرون علی مقاومه هیمنه اللّه کلا..بل یعنی أن اللّه أمدهم بفتره من الوقت لکی یمتحن عباده بهم.

فالشیطان و هو إبلیس.

لَعَنَهُ اللّٰهُ وَ قٰالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبٰادِکَ نَصِیباً مَفْرُوضاً ان الشیطان و هو یمثل قوی الشر و الخطیئه،و یدغدغ رغبات السوء فی البشر،

و یمد فی جهله و ضلالته.انه جاد فی إضلال الإنسان،و قد خطط للسیطره علی بعض أبناء آدم.

و لذلک قال:(نصیبا مفروضا)و کأنه تقاسم مع اللّه البشر فأخذ طائفه معینه و ترک طائفه للّه سبحانه.

الشیطان و فساد الحیاه

[۱۱۹]الشیطان یستخدم سلاح الأمانی فی إضلال البشر،و علینا کبشر أن نتحذر من هذه الأمانی حتی لا یعمل سلاح الشیطان فینا عمله الخطیر.

الشیطان یمنی الإنسان بطول العمر،و بالخلود فی الدنیا و یمنّیه بالملک الدائم و الثروه الطائله،و هکذا یصور الشیطان للإنسان ان الوصول الی أهدافه ممکن عن طریق ملتو.

و یأمر الشیطان الإنسان فیما یأمره من الضلاله لیبتّک آذان الأنعام،و یغیر خلق اللّه.

إن ذلک یمثل ضلاله الشیطان التی یأمر بها الإنسان،إنه یمثل دعوه الشیطان للإنسان بأن ینحرف عن طریق الاستفاده من الطبیعه الی طریق إفساد الطبیعه.

ان اللّه خلق الأنعام و خلق کل عضو فیها نافعا لها و مؤدیا وظیفه فی جسدها، و بالتالی جعل کل عضو من أعضائها یؤدی بصوره غیر مباشره خدمه للإنسان، و لکن الشیطان یضل البشر و یجعله یفسد أعضاء الحیوان،و بالتالی یسقط منافعه المرتقبه له.

وَ لَأُضِلَّنَّهُمْ وَ لَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَ لَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذانَ الْأَنْعامِ وَ لَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللّهِ

و لذلک فمن یتبع الشیطان فانه یخسر منافع الحیاه لأن الشیطان یبعده أبدا عن الطرق السلیمه للاستفاده من الحیاه.

وَ مَنْ یَتَّخِذِ الشَّیْطانَ وَلِیًّا مِنْ دُونِ اللّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْراناً مُبِیناً .

تسویف الشیطان

[۱۲۰]ماذا یقول الشیطان للإنسان؟ یقول غدا و بعد غد سوف تحصل علی کذا و کذا...فاذا بلغ غده یعده بما بعده حتی یبلغ أجله و لا یصل الی شیء مما وعده الشیطان.

یَعِدُهُمْ وَ یُمَنِّیهِمْ وَ ما یَعِدُهُمُ الشَّیْطانُ إِلاّ غُرُوراً

ما هی النتیجه

؟ [۱۲۱]اما فی الدنیا فسوف یصابون بنتائج غرورهم، و أما فی الآخره فجزاؤهم فیها جهنم لا یستطیعون فیها فرارا.

أُولئِکَ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ وَ لا یَجِدُونَ عَنْها مَحِیصاً .

أی لا یزحزحون عنها قید أنمله،و الکلمه من:حاص یحیص أی تحرک فی مکانه.

[۱۲۲]أما المؤمنون الذین لم یخلطوا بایمانهم شرکا،و أخلصوا العباده للّه الحق،فان جزاءهم الجنه.

و هذا وعد من اللّه و لکنه وعد حق.بعکس وعود الشیطان الکاذبه لأن اللّه أجل و أعظم من الکذب،و لا یدعوه الی الکذب حاجه أو جهل سبحانه.

وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنّاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِینَ فِیها أَبَداً .

ذلک هو منتهی تطلع الإنسان أن یسکن جنه تتوفر فیها حاجاته الجسدیه، و المتع النفسیه،و من أبرزها الأنهار التی تضفی جمالا علی الجنه،و أن یکون مطمئنا الی مستقبله،و أنه خالد لا یزعجه موت أو طرد عن النعیم المقیم فیه.

وَعْدَ اللّهِ حَقًّا وَ مَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ قِیلاً

ص:۱۹۶

[سوره النساء (۴): الآیات ۱۲۳ الی ۱۲۶]

اشاره

لَیْسَ بِأَمٰانِیِّکُمْ وَ لاٰ أَمٰانِیِّ أَهْلِ اَلْکِتٰابِ مَنْ یَعْمَلْ سُوءاً یُجْزَ بِهِ وَ لاٰ یَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اَللّٰهِ وَلِیًّا وَ لاٰ نَصِیراً (۱۲۳) وَ مَنْ یَعْمَلْ مِنَ اَلصّٰالِحٰاتِ مِنْ ذَکَرٍ أَوْ أُنْثیٰ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولٰئِکَ یَدْخُلُونَ اَلْجَنَّهَ وَ لاٰ یُظْلَمُونَ نَقِیراً (۱۲۴) وَ مَنْ أَحْسَنُ دِیناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّٰهِ وَ هُوَ مُحْسِنٌ وَ اِتَّبَعَ مِلَّهَ إِبْرٰاهِیمَ حَنِیفاً وَ اِتَّخَذَ اَللّٰهُ إِبْرٰاهِیمَ خَلِیلاً (۱۲۵) وَ لِلّٰهِ مٰا فِی اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِی اَلْأَرْضِ وَ کٰانَ اَللّٰهُ بِکُلِّ شَیْءٍ مُحِیطاً (۱۲۶)

اللغه

۱۲۳[أمانی]:جمع أمنیه و هی تقدیر الأمن فی النفس علی جهه الاستمتاع به و أصله التقدیر.

۱۲۴[نقیرا]:هی النکته الصغیره المنخفضه فی ظهر النواه التی منها ینبت.

۱۲۵[خلیلا]:الخلیل مشتق من الخله التی هی المحبه أو من الخله التی هی الحاجه و إنما استعمل بمعنی الصداقه لأن کلّ واحد من المتصادقین یسد خلل.

صاحبه و قیل لأن کل واحد منهما یطلع صاحبه علی اسراره فکأنه فی خلل قلبه.

ص:۱۹۷

إبراهيم قدوتنا فى الالتزام

هدى من الآيات:

هناك قاعدتان نفسيتان للشرك باللّه.

الأولى:اللامسؤوليه.

الثانيه الجهل باللّه.

بالنسبه للقاعده الأولى:فان من الأسباب التى تدعو البشر الى الشرك باللّه،و الايمان بالإناث من عباده،و بالشيطان المريد إنما هو محاوله التخلص من ثقل المسؤوليه فى الحياه.

ذلك ان البشر الذى يهوى الفرديه المطلقه لنفسه يريد أن يبرر بطريقه أو بأخرى أعماله القبيحه،فيتوسل بفكره تعدد الآلهه حتى يطمئن نفسه بالخلاص من عقاب اللّه عن طريق التزلف الى إله آخر.

و لقد رأينا كيف ان الشيطان يمد أولياءه فى هذا الغى عن طريق إعطاء

ص:۱۹۸

الأمانی الکاذبه التی تخدع الإنسان،و تعده بالجنه بدون عمل.

و فی هذه الآیات ینسف القرآن هذه القاعده النفسیه،و یبین أنّ الأمانی لا تکون مقبوله أبدا عند اللّه.

و إن المسؤولیه موجوده اعترف بهـا البشـر أو أنکرها،و أنّ من یعمل سوءا أیا کان فله جزاؤه العادل.کما أنّ من یعمل الصالحات یجزی علیها من دون نقیصه،و أنّ المقیاس عند اللّه هو التسلیم المطلق له لا التمرد علیه بحجه التحرر، أما البرنامج العملی للإنسان فهو طریق إبراهیم الذی اتخذه اللّه خلیلا،بعد أن أسلم وجهه للّه.

و فی الآیه الاخیره ذکر سـبحانه ان له ما فی السـموات و الأرض،و بذلک نفی القاعده الثانیه للشـرک،و هی جهل الإنسان بعظمه اللّه،بواسع قدرته،و بأنه لا یقارن بخلقه.

بینات من الآیات:

الأمانی و واقع المسؤولیه:

[۱۲۳]هل تحصل علی ملیون دینار إذا حلمت بذلک أو تمنیتها؟و هل تبنی مدینه کبیره بمجرد التخیل بذلک و الرغبه فیها؟کلا..

فکیف یرید البشر أن یحصل علی الجنه،و هی أغلی و أعظم من ملیون دینار، و من مدینه کبیره بمجرد الأمنیه.

إن مثل هـذه الأمنیه مثل شـیخ کبیر فقد ابنه العزیز علیه فی حادثه مفاجئه، و لهول الفاجعه لم یسـتطع أن یصدق بها،فیمنی نفسـه بحیاه ابنه فی محاوله لتخفیف الألم عنه.

و بالرغم من أنه يعلم بموت ابنه،و لكنه يتهرب من عقله،و يستريح الى ظل خياله الوارف.كذلك الذين يتهربون من مسئوليات أعمالهم بالأمانى.

ان نفوسهم صغيره،و أن عزائمهم ضعيفه و متهاويه،و لا يقدرون على تحمل المسؤوليه فيتهربون الى ظل الخيال،و يمنون أنفسهم بشتى الأمانى،و منها مثلا:

ان المسيح سيفدينا بنفسه،أو ان هبل ينقذنا من عذاب الرب،و هكذا..أما القرآن فيجعل الإنسان وجها لوجه أمام مسئوليه فى الحياه،و يقول له:

لَيْسَ بِأَمانِيِّكُمْ التى تزعمون بها التخلص من المسؤوليه عن طريق التوسل بالأصنام.

وَ لا أَمانِيِّ أَهْلِ الْكِتابِ الذين يزعمون ان المسيح سيفديهم من ذنوبهم.

مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَ لا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللّهِ وَلِيًّا وَ لا نَصِيراً فلا يدفع أحد عنه عذاب اللّه لأنه لا أحد قادر على مواجهه سلطان اللّه فى الكون.

تخزين الأعمال

[۱۲۴]و فى المقابل سيجزى الصالح بقدر أعماله.من دون أيه نقيصه سواء كان ذكرا أو أنثى و لكن بشرط واحد هو أن يكون عمل الصالحات من منطلق الايمان باللّه.إذ من دون هذا الايمان فان الصالحات ستكون زبدا طافحا على السيل سرعان ما تنكشف حقيقته.

وَ مَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصّالِحاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّهَ وَ لا

يُظْلَمُونَ نَقِيراً أى لا يظلمون حتى بقدر ما فى الحفره الصغيره الموجوده فى طرف نواه التمره، أو بمقدار موقع نقر الناقر.

و شعور الإنسان بأن كل أعماله حسنه محفوظه له،و هو مجزى بها عن قريب، هذا الشعور يدفعه الى التسارع فى الأعمال الحسنه،و محاوله مضاعفتها يوما بعد يوم،و ساعه بعد ساعه.

و لكى يدفع الشيطان البشر الى التكاسل يوحى اليه:أن سيئاته تغفر له بشفاعه فلان و علّان،و ان حسناته لا تقبل منه،لذلك نجد القرآن يؤكد عبر هاتين الآيتين أن للحسنات و السيئات جزاءها العادل من دون نقصان.

خط إبراهيم:

[١٢٥]ليس التوجه الى الأصنام،و التنافس فى عبادتها،و تفاخر كلّ فريق بصنمه،ليس ذلك هو الدين الحسن إنما الدين الحسن هو ما فعله إبراهيم حين أعرض عن كل رموز الشرك و الضلاله،و كل أصنام الظلم و العبوديه،و توجه الى اللّه وحده،و أخلص العبوديه له،و أسلم وجهه له.أى بوجهه كاملا اليه،فلم يهدف شيئا غير وجه اللّه سبحانه،ثم تزود بالصالحات فلم يكتف بالواجب منها فقط.بل أكثر منها حتى أصبح محسنا.

وَ مَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّٰهِ وَ هُوَ مُحْسِنٌ وَ اتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرٰاهِيمَ حَنِيفاً أى مشى على طريقه إبراهيم فى رفضه الأصنام و الرموز الحجريه و البشريه.

وَ اتَّخَذَ اللّٰهُ إِبْرٰاهِيمَ خَلِيلاً فانتفع إبراهيم برفضه العبوديه للأصنام و الشركاء نفعا عظيما،حيث قربه

اللّه اليه،و جعله خليلا له.

[۱۲۶]ان الـذين يتخـذون من دون اللّه أربابـا لاـ يقـدّرون اللّه حق قـدره.بل لا يعرفون اللّه إطلاقا،فلو عرفوا اللّه و علموا أنه بسـط قـدرته على كل شـىء فى السـماء و الأرض إذا لصـغرت فى أعينهم الأحجار الصـماء التى تنحت بأيديهم، و تتخذ آلهه من دون اللّه،و لتضاءل الأشـخاص الـذين زعموا بأنهم شـركاء للّه،ان معرفه قدره اللّه من النظره الفاحصه فى السـماء و الأرض،و اكتشاف آثار قدرته.

انها معالجه جذريه لمشكله الشرك فى الإنسان،و لذلك ذكرنا اللّه هنا بهذه القدره:

وَ لِلّهِ مٰا فِى السَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِى الْأَرْضِ وَ كٰانَ اللّٰهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُحِيطاً احاطه علم و قـدره.فليس هناك شـىء يتطاول على قـدره اللّه،أو يخفى على علمه سـبحانه،و إذا ثبتت قـدره اللّه،و عرفنا ألاّ ملجأ منه إلا إليه فان من الطبيعى أن نسـلم وجوهنا له،و نتبع مله إبراهيم حنفاء.

ص:۲۰۲

[سوره النساء (۴): الآیات ۱۲۷ الی ۱۳۰]

اشاره

وَ یَسْتَفْتُونَکَ فِی اَلنِّسٰاءِ قُلِ اَللّٰهُ یُفْتِیکُمْ فِیهِنَّ وَ مٰا یُتْلیٰ عَلَیْکُمْ فِی اَلْکِتٰابِ فِی یَتٰامَی اَلنِّسٰاءِ اَللاّٰتِی لاٰ تُؤْتُونَهُنَّ مٰا کُتِبَ لَهُنَّ وَ تَرْغَبُونَ أَنْ تَنْکِحُوهُنَّ وَ اَلْمُسْتَضْعَفِینَ مِنَ اَلْوِلْدٰانِ وَ أَنْ تَقُومُوا لِلْیَتٰامیٰ بِالْقِسْطِ وَ مٰا تَفْعَلُوا مِنْ خَیْرٍ فَإِنَّ اَللّٰهَ کٰانَ بِهِ عَلِیماً (۱۲۷) وَ إِنِ اِمْرَأَةٌ خٰافَتْ مِنْ بَعْلِهٰا نُشُوزاً أَوْ إِعْرٰاضاً فَلاٰ جُنٰاحَ عَلَیْهِمٰا أَنْ یُصْلِحٰا بَیْنَهُمٰا صُلْحاً وَ اَلصُّلْحُ خَیْرٌ وَ أُحْضِرَتِ اَلْأَنْفُسُ اَلشُّحَّ وَ إِنْ تُحْسِنُوا وَ تَتَّقُوا فَإِنَّ اَللّٰهَ کٰانَ بِمٰا تَعْمَلُونَ خَبِیراً (۱۲۸) وَ لَنْ تَسْتَطِیعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَیْنَ اَلنِّسٰاءِ وَ لَوْ حَرَصْتُمْ فَلاٰ تَمِیلُوا کُلَّ اَلْمَیْلِ فَتَذَرُوهٰا کَالْمُعَلَّقَهِ وَ إِنْ تُصْلِحُوا وَ تَتَّقُوا فَإِنَّ اَللّٰهَ کٰانَ غَفُوراً رَحِیماً (۱۲۹) وَ إِنْ یَتَفَرَّقٰا یُغْنِ اَللّٰهُ کُلاًّ مِنْ سَعَتِهِ وَ کٰانَ اَللّٰهُ وٰاسِعاً حَکِیماً (۱۳۰)

اللغه

۱۲۷[یستفتونک]:الفتیا و الفتوی الجواب عما یشکل من الأحکام، و یقال:استفتیته فأفتی بکذا و الاستفتاء السؤال عن الحکم.

۱۲۸[الشح]:افراط فی الحرص علی الشیء و یکون بالمال و بغیره من الاعراض و یقال الشح البخل و عدم التنازل عن الحقوق.

ص:۲۰۳

العداله فی العلاقات الأسریه

هدی من الآیات:

العداله أساس العلاقات الاجتماعیه،و علی المسلم أن ینشر بذور العداله فی أسرته.فلا یظلم زوجته التی هی فی بیته،و تحت رعایته،و لا یأکل علیها مهرها خصوصا إذا کانت یتیمه.

و بعد الزوجه یأتی دور الأطفال الصغار الذین لا یستطیعون دفاعا عن حقوقهم،و الیتامی.حیث یجب تطبیق العداله فی علاقه الشخص بهم.

و علی الزوجه أن تحاول من جانبها اقامه علاقاتها مع الرجل علی أساس المصالحه لا المطالبه بکل ذره من حقوقها.

ذلک ان علاقات المصلحه الذاتیه،و بالتالی المطالبه التامه بکل الحقوق تسبب الشقاق بسبب طبیعه البخل المرتکزه فی نفس البشر،و لذلک فالأفضل دائما اقامه علاقه التقوی و الإحسان و المسامحه بدلا من العلاقات الحدیه حیث یطالب کل جانب بکل حقوقه.

ص:۲۰۵

و على الرجل ألا يحرص فى تعدد الزوجات إذ أن من الصعب عليه اقامه العدل بينهن،فيضطر الى ترك واحده منهن أو أكثر كالمعلقه فلا هى زوجته و لا هى مطلقه.

و فى حاله وصول العلاقه الزوجيه الى حاله من الجمود و التنافر فالأفضل الانفصال دون أى خوف من الفقر لأن اللّه هو الرزاق.

ان علاقه الزوجين ببعضهما تشكل جانبا هامّا من علاقات المجتمع بعضه مع بعض.كما و انها تنعكس على هذه العلاقات سلبا أو إيجابا،و كثير من الذنوب تنشأ مباشره أو غير مباشره من العلاقه السّيئه بين الزوجين.

و لذلك أعاد القرآن هنا الحديث عن العلاقات الزوجيه بعد ما تحدث عنها فى بدايه السوره،و ذلك فى اطار الحديث عن الذنوب و طبقه المذنبين الذين يختانون أنفسهم أو يخونون الناس،لتكون الذنوب التى ترتكب فى المحيط العائلى مثلا للذنوب التى ترتكب خارجه.

بينات من الآيات:

حقوق المرأه:

[۱۲۷]بسبب النظره الجاهليه المقيته الى النساء،و اعتبارهن العنصر الأقل كفاءه و حقوقا من الرجل،فان الجاهليين كانوا يسألون الرسول كثيرا عن تجاوز حقوق النساء،هل فيه اثم؟خصوصا إذا كانت المرأه زوجه فى بيت الرجل لأنها فى هذه الحاله تعتبر فى ظن الجاهليين ملحقه بالرجل،و ليس لها أى استقلال عنه.

فأجاب القرآن هنا عن سؤال الجاهليين حول النساء،و بين أن علينا أداء حقوقهن كامله كما جاء فى الشريعه الاسلاميه.متمثله فى الكتاب خصوصا إذا كانت المرأه يتيمه فعلنا أداء حقها كاملا إذا أردنا الزواج منها.

وَ يَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسٰاءِ قُلِ اللّٰهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَ مٰا يُتْلىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتٰابِ فِي يَتٰامَى النِّسٰاءِ اللاّٰتِي لاٰ تُؤْتُونَهُنَّ مٰا كُتِبَ لَهُنَّ وَ تَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ و كذلك حقوق المستضعفين من صغار العمر و اليتامى.كل تلك الحقوق يحب أن تراعى رعايه تامه.

وَ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدٰانِ وَ أَنْ تَقُومُوا لِلْيَتٰامىٰ بِالْقِسْطِ و على المؤمن أن يزيد على أداء الحقوق بالإحسان الى هذه الطبقات و يعلم أن كل عمل يعمله خير مكتوب عند اللّه.

وَ مٰا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّٰهَ كٰانَ بِهِ عَلِيماً

الصلح فى العلاقات الأسريه:

[١٢٨]كما يجب على الرجل أن يوفى حقوق المرأه فعليها أن تتسامح بدورها عن بعض حقوقها خصوصا إذا رأت فى زوجها ميلا الى عدم أداء حقوقها،أو حتى الاعراض التام عنها.

وَ إِنِ امْرَأَةٌ خٰافَتْ مِنْ بَعْلِهٰا نُشُوزاً أَوْ إِعْرٰاضاً فَلاٰ جُنٰاحَ عَلَيْهِمٰا أَنْ يُصْلِحٰا بَيْنَهُمٰا صُلْحاً وَ الصُّلْحُ خَيْرٌ فالإسلام وضع حدودا ثابته فى العلاقات الاجتماعيه،و كلف الناس بتطبيقها كلما اختلفوا فيها،و لكنّه وضع قانون التراضى و الصلح لاضفاء المرونه الواقعيه على تلك الحقوق،فمثلا:المهر حق من حقوق المرأه و على الرجل ألا يتزوج بلا مهر،و لكن هناك نساء أغنياء يتزوجن لسبب أو آخر من رجال فقراء.أ فلا يمكن أن يتنازلن عن صدقاتهن للأزواج؟ بلى.لأن ذلك يتفق مع واقعيه التشريع و كذلك بالنسبه لسائر حقوق

الزوجه،فقد لا تكون من مصلحتها المطالبه بها تماما،و لعده أسباب محتمله.

۱/فقد تكون الزوجه لا تستحق تلك الحقوق،حسب ملابسات حياتها، فتكون مثلا امرأه كبيره فی السن دميمه فی المنظر،وضيعه فی الشرف،عاقره جاهله،و قد تزوجت ببعل يعاكسها فی كل تلك الصفات،فالأفضل لها أن تتجاوز عن بعض حقوقها للمحافظه على ودّ زوجها.

و قد تكون ظروف الزوج صعبه،و إذا ضغطت عليه الزوجه للحصول على كل حقوقها آنئذ يضطر الى الطلاق فخير لها أن تسكت عن بعض التجاوزات بانتظار ظروف أفضل.

۳/و قد يكون الزوج رجلا منحرفا.يخون زوجته فی حقوقها،و لكن البقاء معه بانتظار صلاحه المرتقب أفضل من التمرد عليه و إنهاء العلاقه الزوجيه.مما قد يسبب الضّرر لهما معا.

إذا هناك ظروف استثنائيه يجب على المرأه أن تتنازل بطوع ارادتها عن بعض حقوقها،و تصطلح مع الزوج،و تشريع الصلح هنا و فی سائر العلاقات يعطی مرونه واقعيه للتشريع الاسلامی.حيث يضع للملابسات الخارجيه دورا فی الأحكام الشرعيه.

وَ أُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ أی ارتكزت صفه الشح و البخل و الفرديه فی النفوس،و لذلك يحاول كل جانب أن يجر النار الى قرصه،و علينا أن نعتبر أن إقامه العلاقه الاجتماعيه خير من فضّها فنحاول مقاومه صفه الشح،و نتسلح بالتسامح و الصلح.

وَ إِنْ تُحْسِنُوا وَ تَتَّقُوا فَإِنَّ اللّٰهَ كٰانَ بِمٰا تَعْمَلُونَ خَبِيراً

أی حین أداء حقوق الآخرین تزیـدون علیها الی درجه الإخلاص،و حین أخـذ الحقوق منهم تتقون اللّه فلا تأخذون إلا ما علمتم أنه من حقکم.

تعدد الزوجات:

[۱۲۹]علی الرجل ألا یحرص فی الزواج بأکثر من امرأه واحـده لأن الواجب الشـرعی علیه یقضـی آنئـذ أن یعدل بینهما،و بما أن میل الشـخص سـیکون بالطبع الی الحسـنی منهما،فلـذلک من الصـعب أن یقیم العدل فی التعامل معهما، و سـیؤدی ذلک بطبیعه الحال الی ترک واحده منهما و إهمالها.حتی تصبح کالمعلقه فلا هی زوجه تتمتع بحقوق الزوجیه و لا هی مطلقه فتکیف حیاتها حسب ارادتها.

وَ لَنْ تَسْـتَطِیعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَیْنَ النِّسٰاءِ وَ لَوْ حَرَصْتُمْ فَلاٰ تَمِیلُوا کُلَّ الْمَیْلِ الی الزواج بل اجعلوا الزواج من الثانیه حسب المصلحه أو الضروره فقط.

فمثلاـ:إذا وجـدتم أرمله تحتـاج الی کنف الزوجیه،و لیس لها من یتکفل بها فتزوّجوا منها،أو إذا کان عـدد النساء أکبر بکثیر من الرجال لسـبب أو لآخر،مما یشـکل مشـکله اجتماعیه-لو لا تعـدد الزوجات-و إذا کانت الزوجه الأولی عقیمه أو مریضه أو مسـنه بحیث لا تستطیع الوفاء بحقوق الزوجیه و هکذا.

أمـا فی الحالاـت العادیه التی یکون الزواج بالثانیه شـهوه جنسـیه بحته أو تفنّنا فی المتعه المجرده، فان العاقبه المنتظره هی إهمال إحداهما مما یشکل خرقا لحقوقها.

فَتَذَرُوهٰا کَالْمُعَلَّقَهِ وَ إِنْ تُصْـلِحُوا وَ تَتَّقُوا فَإِنَّ اللّٰهَ کٰانَ غَفُوراً رَحِیماً أی أن الزواج بالثانیه لیس حراما حتی و لو کان لمجرد المتعه أو الشهوه الجنسیه،و لکن بشرط الإصلاح الدائم للعلاقه بین الاثنتین معا،و بشرط التقوی

و التحذر من سحق حقوق واحده منهما تحت ضغط العاطفه.

فمن كانت إرادته قويه و قادره على ضبط عواطفه،و كان تقواه يحجزه عن الحاق الأخرى بواحده منهما فلا بأس عليه حتى و لو صدرت منه هفوات من غير تعمد و إصرار.فان اللّه غفور رحيم.

و ان يتفرقا:

[۱۳۰]إذا أهمل الزوج عقيلته فعليها أن تطالب بالطلاق و لا تخشى من الفقر.إذ انه هو بالتالى علاج.بيد انه يأتى فى آخر القائمه.كذلك الطلاق علاج ناجح لظرف صعب لا ينفعه علاج آخر.ذلك ان البقاء على وضع شاذ،و محاوله الصبر عليه تضييع للطاقات و إفساد للضمير،و هدر للحقوق.

وَ إِنْ يَتَفَرَّقا يُغْنِ اللّهُ كُلاًّ مِنْ سَعَتِهِ وَ كانَ اللّهُ واسِعاً حَكِيماً صحيح ان اللّه لا يرزق أحدا من دون بذل سعى جدى لطلب الرزق لأنه سبحانه حكيم، و لكن أبواب الرزق ليست محصوره فى الزواج حتى إذا طلق المرء زوجته خافت من الفقر.كلا فان اللّه قادر على أن يفتح عليها أبوابا جديده للرزق لأنه واسع..و علينا أن الا نحدد أنفسنا ضمن مجالات ضيقه للرزق،بل ننطلق فى رحاب الحياه و نفتش أبدا عن آفاق جديده فى هذه الأرض الواسعه.

ذات الامكانات غير المحدوده.

ص:۲۱۰

[سوره النساء (۴): الآیات ۱۳۱ الی ۱۳۵]

اشاره

وَ لِلّٰهِ مٰا فِی اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِی اَلْأَرْضِ وَ لَقَدْ وَصَّیْنَا اَلَّذِینَ أُوتُوا اَلْکِتٰابَ مِنْ قَبْلِکُمْ وَ إِیّٰاکُمْ أَنِ اِتَّقُوا اَللّٰهَ وَ إِنْ تَکْفُرُوا فَإِنَّ لِلّٰهِ مٰا فِی اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِی اَلْأَرْضِ وَ کٰانَ اَللّٰهُ غَنِیًّا حَمِیداً (۱۳۱) وَ لِلّٰهِ مٰا فِی اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِی اَلْأَرْضِ وَ کَفیٰ بِاللّٰهِ وَکِیلاً (۱۳۲) إِنْ یَشَأْ یُذْهِبْکُمْ أَیُّهَا اَلنّٰاسُ وَ یَأْتِ بِآخَرِینَ وَ کٰانَ اَللّٰهُ عَلیٰ ذٰلِکَ قَدِیراً (۱۳۳) مَنْ کٰانَ یُرِیدُ ثَوٰابَ اَلدُّنْیٰا فَعِنْدَ اَللّٰهِ ثَوٰابُ اَلدُّنْیٰا وَ اَلْآخِرَهِ وَ کٰانَ اَللّٰهُ سَمِیعاً بَصِیراً (۱۳۴) یٰا أَیُّهَا اَلَّذِینَ آمَنُوا کُونُوا قَوّٰامِینَ بِالْقِسْطِ شُهَدٰاءَ لِلّٰهِ وَ لَوْ عَلیٰ أَنْفُسِکُمْ أَوِ اَلْوٰالِدَیْنِ وَ اَلْأَقْرَبِینَ إِنْ یَکُنْ غَنِیًّا أَوْ فَقِیراً فَاللّٰهُ أَوْلیٰ بِهِمٰا فَلاٰ تَتَّبِعُوا اَلْهَویٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَ إِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اَللّٰهَ کٰانَ بِمٰا تَعْمَلُونَ خَبِیراً (۱۳۵)

اللغه

۱۳۵[بالقسط]:القسط العدل.

[تلووا]:من لوی یلوی،بمعنی الانحراف و اللّی الانحراف الیسیر.

[تعرضوا]:الاعراض الانحراف مطلقا.

هدی من الآیات:

حین یتحسس البشر بقدره اللّه الهائله التی تتجلّی فی ملکوت السموات و الأرض،و تحیط به فی کل شیء.حین یتحسس بذلک تجری فی عروقه قشعریره و ارتعاشه تدفعه أبدا الی الحذر،و تبعده أبدا عن الطیش و الغفله.

و کلما زادت معرفه البشر بالقدره الکبیره التی تحیط به.کلما زاد تقواه، و بالتالی انضبطت أعماله،و اتجهت فی مسیر سلیم،و نمی فی روعه ضمیر واع یردعه من اقتراف الخیانه أو ارتکاب الجریمه،و یدفعه الی اقامه العدل،و أداء الشهاده للّه.

و فی هذا الدرس ینهی القرآن الحکیم حدیثه عن طبقه الخائنین و المختانین بمعالجه جذریه لمشکله الذنب.تلک هی:ازدیاد تقوی البشر النابع بدوره من معرفه قدره اللّه،و لذلک یبدأ هذا الدرس بالتذکیر بملکوت اللّه،و ان اللّه غنی لا یضره کفر الناس، و انه یملک ما فی السموات و الأرض،و أنه قادر علی تبدیل

الناس بآخرين.

ثم يعطى أملا للإنسان بثواب اللّه،و ينهى الدرس بما يعتبر علاجا آخر لمشكله الذنب(الخيانه-المعصيه)هو:

أن يقوم الناس جميعا بالعدل،و أن يشهدوا للّه بعيدين عن أى اعتبارات أخرى،و طبيعى أن يقل الذنب فى مجتمع قوام بالقسط شاهد على الحق للّه.

بينات من الآيات:

مشكله الخوف عند الإنسان:

[۱۳۱]من الدوافع الأساسيه لارتكاب الذنب هو الخوف،فلو لا خوف الشعوب المستضعفه من الطغاه إذا ما سكتوا على الظلم،و لو لا خوف الفرد من مجتمعه المنحرف إذا ما استمر فى ضلالات ذلك المجتمع،و لو لا الخوف من الفقر لما بخل الأغنياء،و لو لا الخوف من الموت لما تخلف الجبناء عن الحرب.

و بالرغم من تجذر مشكله الخوف عند البشر فان لها حلا يقتلع جذورها اقتلاعا هو:الايمان باللّه،و انه يملك ما فى السموات و الأرض،و يأمر بالعدل و الإحسان،و يدعم من يعمل بهما،و يخلّصه من عوامل الخوف بقدرته الكبيره.

فما دام اللّه يملك كل ما نخاف منه فلما ذا لا نخاف من اللّه.بل و لماذا نخاف شيئا ما دام اللّه،و هو رب كل شيء لم يغضب علينا.

ان هذه المعادله الواضحه تجعلنا نقاوم الضغوط التى تدفعنا الى الذنب.

وَ لِلّٰهِ مٰا فِي السَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِي الْأَرْضِ وَ لَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتٰابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ إِيّٰاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللّٰهَ هذه وصيه و ليست أمرا فقط لأن الأمر قد يكون فى ضرر المأمور،بيد أن

الوصيه هی دائما فی مصلحه من يسمعها،ثم هی وصيه مشترکه بين کل أجيال الرساله لأنها من القيم العامه التی لا تتغير بالزمان.

ان التقوی فی مصلحه الإنسان و ليس فی مصلحه اللّه فهو لا يتأثر شيئا بتقواکم أو بکفرکم.

وَ إِنْ تَکْفُرُوا فَإِنَّ لِلّٰهِ مٰا فِی السَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِی الْأَرْضِ وَ کٰانَ اللّٰهُ غَنِيًّا حَمِيداً فهو غنی بامتلاکه لما فی السموات و الأرض،و حميد لأنه لا يستخدم قدرته فی الحاق الضرر بالخلق سبحانه.بل فی اللطف بهم و التفضل عليهم.

الاستعانه باللّه من الخوف:

[۱۳۲]من استعان باللّه و قاوم ضغوط الحياه،و لم يستجب لهاجس الخوف الذی يدفعه الی الذنب فانه سيجد وراءه رکنا شديدا يعتمد عليه.

وَ لِلّٰهِ مٰا فِی السَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِی الْأَرْضِ وَ کَفیٰ بِاللّٰهِ وَکِيلاً و مدافعا لمن استعان به،و لم يخش عباده اعتمادا عليه.

[۱۳۳]أما من خشی الناس،و خاف من الطبيعه،و أسخط اللّه لارضاء المجتمع أو لتجاوز أخطار الطبيعه،فعليه أن يتحمل مسئوليه عمله إذ أن اللّه قادر علی تصفيته من الوجود رأسا،و يأتی بآخرين يعيشون فی الأرض مکانه.

إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْکُمْ أَيُّهَا النّٰاسُ وَ يَأْتِ بِآخَرِينَ وَ کٰانَ اللّٰهُ عَلیٰ ذٰلِکَ قَدِيراً [۱۳۴]و من الناس من يدفعه الطمع الی اقتراف المعصيه،فيأکل أموال الناس طمعا،و يتعاطی بيع الخمور،و إشاعه الفاحشه طمعا..فعلی هؤلاء أن يعرفوا أنهم لوا اتبعوا منهاج اللّه،و ابتعدوا عن معاصيه،فسوف يغنيهم اللّه،

و يعطيهم لا فى الدنيا فقط بل و فى الآخره أيضا.

مَنْ كانَ يُرِيدُ ثَوابَ الدُّنْيا فَعِنْدَ اللّهِ ثَوابُ الدُّنْيا وَ الْآخِرَهِ وَ كانَ اللّهُ سَمِيعاً بَصِيراً يسمع و يبصر أقوال و أعمال الناس الحسنه فلا يتركها من دون ثواب عاجل فى الدنيا،و ثواب آجل فى الآخره.

خلاصه القول:ان كانت المعصيه بدافع الخوف فلنعلم ان اللّه قادر على أن يدفع عنا ما نخشاه،و هو أولى بالخوف من أى شىء آخر،و ان كانت المعصيه بهدف الحصول على غنيمه،فان عند اللّه غنائم أفضل.

المسؤوليه الاجتماعيه:

[۱۳۵]لكى نحافظ على نظافه المجتمع لا بد أن يتوفر عاملان:

الأول:ضمير رادع عن المعصيه عند كل شخص(التقوى).

الثانى:احساس الجميع بمسؤوليتهم عن المعصيه،و محاسبتهم العامل بها أنّى كان،و قد تحدثت الآيات السابقه عن العامل الأول.

و ها هى الآيه تتحدث عن العامل الثانى الذى يبرز دوره فى الحقوق الاجتماعيه،فلو كان ضمير المجتمع حيا،و يحس بمسؤوليته،فانه يقتل الظلم و هو فى المهد.إذ ما إن يظلم أحد من الناس حتى يردعه أقرب الناس إليه.من قراباته أو أصدقائه أو زملائه،و بالتالى من أولئك الذين يرجو أن يدعموا موقفه الظالم.

بل قبل أن يهم الظالم باغتصاب حق،فانه عاده ما يستشير القريبين منه،و يحاول تهيئه الأجواء لجريمته،فاذا كان المجتمع واعيا فإنهم يمنعونه عن تنفيذ مخططه فيقتلون الظلم و هو نطفه قبل أن يولد.

و هناک مرحلتان متدرجتان لقیام المجتمع بمسؤولیته تجاه الظلم:

الأولی:منع الظلم،و اقامه العدل.

الثانیه:فی حاله وقوع الظلم التعاون علی إزالته،و ذلک بالشهاده ضده، و لمصلحه صاحب الحق،و لیس للإنسان أن یسکت عن إعلان موقفه من الظلم و ذلک بالشهاده لصاحب الحق،أنی کانت الظروف،فلان صاحب الحق ضعیف أو غریب أو فاجر،أو لأن الظالم له قوه أو من أقربائی أو أصدقائی أو..أو.لا أستطیع لأی من هذه المبررات أن أسکت عن الشهاده.بل علی واجب أن أشهد لصاحب الحق.

یٰا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا کُونُوا قَوّٰامِینَ بِالْقِسْطِ أی اعملوا علی تطبیق العداله.لأن صرح العدل فی المجتمع بحاجه الی جهد ضخم لیتم بناؤه.

شُهَدٰاءَ لِلّٰهِ أی أقیموا الشهاده بهدف مرضاه اللّه لا خوفا أو طمعا من أحد حتی و لو کانت الشهاده ضد مصالحکم.

وَ لَوْ عَلیٰ أَنْفُسِکُمْ أَوِ الْوٰالِدَیْنِ وَ الْأَقْرَبِینَ إِنْ یَکُنْ غَنِیًّا أَوْ فَقِیراً فَاللّٰهُ أَوْلیٰ بِهِمٰا أی لا علیکم إذا کان من تشهدون له غنیا أو فقیرا،بل هذا أمر یخص اللّه.

أما أنتم فاشهدوا للّه.

فَلاٰ تَتَّبِعُوا الْهَویٰ أَنْ تَعْدِلُوا فلا یضلنکم حب المصلحه،أو حب الأقارب من اقامه العدل بالشهاده أو بالتنفیذ.

ص:۲۱۷

وَ إِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللّٰهَ كٰانَ بِمٰا تَعْمَلُونَ خَبِيراً أی ان تنحرفوا قليلا أو كثيرا فان اللّه خبير بكم.

ص:۲۱۸

[سوره النساء (۴): الآیات ۱۳۶ الی ۱۴۱]

اشاره

یا أَیُّهَا اَلَّذِینَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللّهِ وَ رَسُولِهِ وَ اَلْکِتابِ اَلَّذِی نَزَّلَ عَلی رَسُولِهِ وَ اَلْکِتابِ اَلَّذِی أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَ مَنْ یَکْفُرْ بِاللّهِ وَ مَلائِکَتِهِ وَ کُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ وَ اَلْیَوْمِ اَلْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِیداً (۱۳۶) إِنَّ اَلَّذِینَ آمَنُوا ثُمَّ کَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ کَفَرُوا ثُمَّ اِزْدادُوا کُفْراً لَمْ یَکُنِ اَللّهُ لِیَغْفِرَ لَهُمْ وَ لا لِیَهْدِیَهُمْ سَبِیلاً (۱۳۷) بَشِّرِ اَلْمُنافِقِینَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذاباً أَلِیماً (۱۳۸) اَلَّذِینَ یَتَّخِذُونَ اَلْکافِرِینَ أَوْلِیاءَ مِنْ دُونِ اَلْمُؤْمِنِینَ أَ یَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ اَلْعِزَّهَ فَإِنَّ اَلْعِزَّهَ لِلّهِ جَمِیعاً (۱۳۹) وَ قَدْ نَزَّلَ عَلَیْکُمْ فِی اَلْکِتابِ أَنْ إِذا سَمِعْتُمْ آیاتِ اَللّهِ یُکْفَرُ بِها وَ یُسْتَهْزَأُ بِها فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتّی یَخُوضُوا فِی حَدِیثٍ غَیْرِهِ إِنَّکُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ إِنَّ اَللّهَ جامِعُ اَلْمُنافِقِینَ وَ اَلْکافِرِینَ فِی جَهَنَّمَ جَمِیعاً (۱۴۰) اَلَّذِینَ یَتَرَبَّصُونَ بِکُمْ فَإِنْ کانَ لَکُمْ فَتْحٌ مِنَ اَللّهِ قالُوا أَ لَمْ نَکُنْ مَعَکُمْ وَ إِنْ کانَ لِلْکافِرِینَ نَصِیبٌ قالُوا أَ لَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَیْکُمْ وَ نَمْنَعْکُمْ مِنَ اَلْمُؤْمِنِینَ فَاللّهُ یَحْکُمُ بَیْنَکُمْ یَوْمَ اَلْقِیامَهِ وَ لَنْ یَجْعَلَ اَللّهُ لِلْکافِرِینَ عَلَی اَلْمُؤْمِنِینَ سَبِیلاً (۱۴۱)

اللغه

۱۳۹[العزه]:أصل العزه الشده و العزیز القوی المنیع بخلاف الذلیل.

ص:۲۱۹

المنافقون و ازدواجيه الولاء

هدى من الآيات:

فى الحديث السابق عالج القرآن الكريم قضيه الخيانه بكل أبعادها،و وضع حلولا و مواقف لطبقه الخائنين.

اما فى هـذا الحـديث فيطرح قضـيه المنافقين من بعدها الاجتماعى،اى فيما يتصل بتواجدهـم داخل المجتمع المسـلم،و انعكاسات سلوكهم السـلبيه على ذلـك المجتمع خصوصـا بالنسبه لاـزدواجيه الولاـء،فهم فى الظـاهر أعضـاء فى هـذا المجتمع،و فى الواقع مرتبطون بالأعداء.

و يمهد القرآن لهذا الحديث بترسيخ فكره وحده الايمان،و أنه لا يتجزأ،ثم يوضح فكره استمراريه الايمان،و انه لا يمكن التحول منه و اليه بين الفتره و الاخرى،ثم يبشـر المنافقين بالعـذاب،و أخيرا يبين القضـيه المطروحه،و هى ان المنافقين هم الذين يتخذون الكافرين أولياء.

ص:٢٢١

و لكى يبقى المجتمع الاسلامى نظيفا من مؤثرات الكفر فقد أمرنا اللّه بأن نقاطع مجالس الكفار،فكيف بالولاء لهم؟! اما هؤلاء المنافقون فهم يعيشون الازدواجيه،فمن جهه يريدون كسب ودّ المسلمين حتى يشاركوهم فى مكاسب الانتصارات،و من جهه ثانيه يريدون درء خطر الكفار حتى يحافظوا على أنفسهم حين ينهزم المسلمون،و لكن اللّه لا يدع المسلمين ينهزمون لو انهم امنوا و جاهدوا فى سبيله.

بينات من الآيات:

الايمان الكامل:

[۱۳۶]الايمان كل لا يتجزأ،و ما دام الإنسان قد آمن،و عرف اللّه و رسالاته،فعليه ان يخلص فى ايمانه،و لا ينقصه تحت ضغط المصالح و الأهواء.

و اى نقص فى الايمان يناقض الايمان رأسا.إذ ان الايمان ليس العلم فقط، بل هو مخالفه الهوى و اتباع للعقل.

فلو جزاء المرأ إيمانه فأخذ منه ما يوافق اهواءه،و رفض منه ما يخالف اهواءه، فهل اتبع هذا الشخص عقله أم هواه،و بالتالى هل آمن؟! يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أى يا من انقطعت حجتهم بسبب اعترافهم بمبدإ الايمان،ان عليكم متابعه المسيره لأنه لا حجه لكم فى التوقف.

آمِنُوا بِاللّهِ وَ رَسُولِهِ وَ الْكِتابِ الَّذِى نَزَّلَ عَلى رَسُولِهِ وَ الْكِتابِ الَّذِى أَنْزَلَ مِنْ

قَبْلُ وَ مَنْ يَكْفُرْ بِاللّهِ وَ مَلائِكَتِهِ وَ كُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً

المواقف المتزلزله تجاه القوه:

[١٣٧]و الايمان كما لا يتجزأ عضو يا فهو لا يتجزأ زمنيا،فليس من الايمان فى شيء الارتباط بجهه الحق كلما كانت قويه،و مخالفتها كلما كانت ضعيفه هل هذا ايمان بالحق أم ايمان بالقوه؟ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدادُوا كُفْراً لَمْ يَكُنِ اللّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَ لا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً هؤلاء كانوا يغيرون مواقفهم حسب موازين القوى فى المجتمع،أو حسب رياح مصالحهم الذاتيه،و لذلك فهم بمثابه الكفار الذين لا يغفر اللّه لهم ذنوبهم، بل هم أشد سوءا من الكفار إذا انهم تلاعبوا بهدى اللّه،و اتخذوه ماده المساومه لحياتهم الدنيا،و لذلك فهم لا ينظرون الى الايمان نظره الباحث عن الحق، فيستحيل أن يهتدوا به.

ان من ينظر الى المرأه ليشتريها أو ليعرف قطرها و وزنها لا يمكنه ان ينظر الى الأشياء عبرها لأنه مشغول عن الصور المنعكسه داخل المرآه بفحص زجاجتها، و إطارها و إتقان صنعها،كذلك الذى يتخذ من الرساله وسيله الارتزاق لا يمكنه ان ينظر إليها الا كما ينظر التاجر الى متجره،و البقال الى محله،فلا يسعى من أجل فهمها أو العمل بها،لذلك فهو لا يهتدى-عمره-بالرساله.

المنافقون و حقيقه الارتباط بالأجنبى

[١٣٨] بَشِّرِ الْمُنافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذاباً أَلِيماً

ص:٢٢٣

[۱۳۹]من هم المنافقون المعنيون هنا-بالذات-؟انهم الطبقه الاجتماعيه المزدوجه الولاء،أو التی تعیش فی مجتمع الایمان و تحمل ولاء لمجتمع الکفر بهدف الحصول علی قوه و منعه و عزه.

فمثلا فی المجتمع الاسلامی الیوم نجد طوائف مبتلون بمرکب النقص، و یحرصون علی الحصول علی القوه و العزه،و یتقاعسون عن العمل الجاد الذی یعطیهم القوه و العزه،حسب قیم المجتمع الاسلامی.

فیفتشون عن الاجنبی لیرتبطوا به،یفتشون عن منظمات عالمیه یمینیه (صهیونیه-ماسونیه-قومیه-اقلیمیه و..و..)أو یساریه(شیوعیه-اشتراکیه) و یهدفون من وراء ولائهم لتلک المنظمات الحصول علی قوه یرکنون إلیها.

و ربما یسودون فی یوم من الأیام بسببها علی إخوتهم و أبناء أوطانهم حتی و لو جز ذلک الی بیع الاستقلال بلدهم،و تذلیل شعبهم،و تحطیم قیمهم.

ان هؤلاء هم المنافقون.

اَلَّذِینَ یَتَّخِذُونَ الْکافِرِینَ أَوْلِیاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِینَ أَ یَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّهَ کلا-لا- یمکنهم الحصول علی القوه بالرکون الی الاجنبی،إذ ان الاجنبی إذا جاء فسوف یستعبد أول ما یستعبد هذه الفئه المرتبطه به و الخادمه له! انه لا یعطی هذه الفئه الدعم لسواد عینها بل لتحقیق مکاسب خاصه،قد تتناقض مع مکاسب هذه الفئه،و قد یبیع الاجنبی فی مائده المفاوضات الفئه المرتبطه به،و یساوم علیها.

فأين تكمن عزه هؤلاء،انها تكمن فی اللجوء الی الصف الایمانی و تقویه شوکه الشعب کله حتی یکون الجمیع اسیادا بین الأمم.

فَإِنَّ الْعِزَّهَ لِلّهِ جَمِیعاً للّه و لمن ینفذ برامجه،من المؤمنین.

لئلا نصیر عملاء

[۱۴۰]لکی لا یستمیل الاجنبی الکافر بعض ضعاف النفوس من أبناء الامه.منع الإسلام الاستماع الی دعایات الکفار المضلله التی یستهدفون من ورائها التأثیر علی البسطاء،و من ثم استدراجهم للعماله،و بیع القیم.

وَ قَدْ نَزَّلَ عَلَیْکُمْ فِی الْکِتابِ أَنْ إِذا سَمِعْتُمْ آیاتِ اللّهِ یُکْفَرُ بِها وَ یُسْتَهْزَأُ بِها فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ الکفر هو الإنکار المغلّف بما یزعم صاحبه انه استدلال عقلی.

اما الاستهزاء فهو محاوله مفضوحه للتأثیر علی البسطاء عن طریق تهوین القیم الرسالیه فی أعینهم،و یجب مقاطعه مجالس الکفر و الاستهزاء لحین تغییر طابعها العدائی،و تبدیل موضوع الحدیث.

حَتّی یَخُوضُوا فِی حَدِیثٍ غَیْرِهِ و حین یجلس الإنسان فی محفل یستمع فیه الی انکار الرساله،و الاستخفاف بها،ثم لا یرد و لا یتأثر،فانه محسوب من أصحاب هذا المحفل الفاجر.

إِنَّکُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ

ص:۲۲۵

ای انکم منافقون إذ ذاک کما هم کافرون،و جزاؤکم آنئذ هو جزاء مشترک و هی النار.

إِنَّ اللّهَ جامِعُ الْمُنافِقِینَ وَ الْکافِرِینَ فِی جَهَنَّمَ جَمِیعاً [۱۴۱]ان المنافقین یوالون الکفار،و یحضرون مجالس کفرهم و استهزائهم فی حاله السلم،.امـا فی حـاله الحرب فهم یجلسون فوق التـل یراقبون سـیر المعرکه لأـنهم جبنـاء،و الجبان لا ینفع ای طرف یتعاون معه،و ینتظرون بالتـالی نهـایه المعرکه بقلب بـارد،فـاذا انتصـر المسـلمون جـاءوا و طـالبوا بالغنـائم باعتبـارهم أعضاء فی المجتمع الاسـلامی،و إذا انتصـر الکفار مؤقتا تسـللوا إلیهم و طالبوهم بأجور خـدماتهم التی أسـدوها لهم(هکـذا یزعمون لهم،بید انهم لم یفعلوا شیئا هاما لهم) اَلَّذِینَ یَتَرَبَّصُونَ بِکُمْ ای ینتظرون نهایتکم.

فَإِنْ کانَ لَکُمْ فَتْحٌ مِنَ اللّهِ قالُوا أَ لَمْ نَکُنْ مَعَکُمْ وَ إِنْ کانَ لِلْکافِرِینَ نَصِیبٌ قالُوا أَ لَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَیْکُمْ وَ نَمْنَعْکُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِینَ ای حفظناکم من ان یصیبکم سوء من قبل المؤمنین.

و لیعلم هؤلاء:ان عاقبه نفاقهم حساب شدیـد یوم القیامه،اما فی الـدنیا فلان الرساله تنتصـر أبـدا علی اعدائها،فان المنافقین سوف یفقدون الدعم الخارجی لهم و یسقطون داخل المجتمع الاسلامی.

فَاللّهُ یَحْکُمُ بَیْنَکُمْ یَوْمَ الْقِیامَهِ وَ لَنْ یَجْعَلَ اللّهُ لِلْکافِرِینَ عَلَی الْمُؤْمِنِینَ سَبِیلاً

[سوره النساء (۴): الآیات ۱۴۲ الی ۱۴۶]

اشاره

إِنَّ اَلْمُنٰافِقِينَ يُخٰادِعُونَ اَللّٰهَ وَ هُوَ خٰادِعُهُمْ وَ إِذٰا قٰامُوا إِلَى اَلصَّلاٰةِ قٰامُوا كُسٰالىٰ يُرٰاؤُنَ اَلنّٰاسَ وَ لاٰ يَذْكُرُونَ اَللّٰهَ إِلاّٰ قَلِيلاً (۱۴۲) مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذٰلِكَ لاٰ إِلىٰ هٰؤُلاٰءِ وَ لاٰ إِلىٰ هٰؤُلاٰءِ وَ مَنْ يُضْلِلِ اَللّٰهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً (۱۴۳) يٰا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا لاٰ تَتَّخِذُوا اَلْكٰافِرِينَ أَوْلِيٰاءَ مِنْ دُونِ اَلْمُؤْمِنِينَ أَ تُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلّٰهِ عَلَيْكُمْ سُلْطٰاناً مُبِيناً (۱۴۴) إِنَّ اَلْمُنٰافِقِينَ فِي اَلدَّرْكِ اَلْأَسْفَلِ مِنَ اَلنّٰارِ وَ لَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً (۱۴۵) إِلاَّ اَلَّذِينَ تٰابُوا وَ أَصْلَحُوا وَ اِعْتَصَمُوا بِاللّٰهِ وَ أَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلّٰهِ فَأُولٰئِكَ مَعَ اَلْمُؤْمِنِينَ وَ سَوْفَ يُؤْتِ اَللّٰهُ اَلْمُؤْمِنِينَ أَجْراً عَظِيماً (۱۴۶)

اللغه

۱۴۳[مذبذبین]:المذبذب المهتز القلق الذی لا یثبت فی مکان.

۱۴۴[سلطان]:حجه.

۱۴۵[الدرک]:أقصی قعر البحر و یقال للحبل الذی یوصل به حبل آخر لیدرک الماء درک و أصل الدرک الحبل الذی یوصل به الرشا و یعلق به الدلو.

ص:۲۲۷

المنافقون صفات و تقییم

هدی من الآیات:

استمرارا للحدیث السابق عن الولاء التام داخل المجتمع المسلم،و إدانه ازدواجیه الولاء کما یفعل المنافقون یأتی هذا الحدیث،و یبین فی البدء بعض صفات المنافقین الظاهره التی تدل علی انفصالهم الروحی عن مناهج و قیم المجتمع الاسلامی و ذلک حین یقومون للصلاه کسالی،و أن قلوبهم کالصخر لا تخشع لذکر اللّه،و أنهم فی حاله شک دائمه،یراوحون بین جبهتی الایمان و الکفر،و لا یستقرون علی واحده منهما،و أنهم بفعل شکهم،و عبادتهم لذواتهم و مصالحهم بعیدون عن نور الهدایه.

ثم یحذر اللّه المؤمنین من المصیر الذی انتهت الیه هذه الطائفه من المنافقین، و ینذرهم بأن اللّه سیأخذهم بسلطان مبین،لو سمحوا لأنفسهم بموالاه الکافرین.

تلک العاقبه السوأی التی تنتهی بصاحبها الی نار جهنم فی أسفل درکاتها حیث لا ینقذهم ولاؤهم للکافرین من النار.

ص:۲۲۸

و قبل ان ینهی القرآن هذا الحدیث یفتح أمام المنافقین باب الأمل، و یرشدهم الی التوبه بشرط ان تقارن بإصلاح ما أفسدوه بالنفاق،و ذلک بالولاء التام للمجتمع الاسلامی،و الإخلاص فی تطبیق مناهجه سبحانه،و آنئذ سوف یلحقون برکب المؤمنین الذین أعد اللّه لهم أجرا عظیما.

بینات من الآیات:

خداع اللّه

! [۱۴۲]یزعم المنافقون:إنهم کما یخادعون حسب زعمهم أبناء المجتمع الاسلامی،کذلک بامکانهم مخادعه اللّه لذلک تجد ان أعمالهم الدینیه تشبه ممارساتهم الاجتماعیه.

فاذا قاموا الی الصلاه تکاسلوا،و أدوا فقط القشر البارز من الصلاه،اما جوهر الصلاه فإنهم بعیدون عنه.

بید أن هذه المخادعه ستنقلب علیهم.إذ أن اللّه أکبر من أن تنطلی علیه مخادعه العباد،و یتقبل منهم هذه العبادات القشریه الفارغه.

إِنَّ الْمُنٰافِقِینَ یُخٰادِعُونَ اللّٰهَ وَ هُوَ خٰادِعُهُمْ کیف یخادع اللّه عباده؟انه یمکر بهم،و یکیدهم،و یکیدهم بأن یمهلهم أیاما حتی تسکرهم النعم،و یفقدوا عقولهم و أرادتهم،ثم یأخذهم اللّه فجأه أخذا شدیدا کما فعل مثلا بقوم لوط،إذ بعث اللّه إلیهم بملائکه العذاب فی صوره ضیوف،و ألبسهم ثوب الجمال حتی استهووا قوم لوط الذین تعوّدوا علی الفاحشه سابقا،فلما اجتمعوا إلیهم،و کانوا یمنون أنفسهم بلیال حمراء و لم یبق فی أنفسهم ذره من التقوی أو الایمان.

ص:۲۲۹

آنئذ تحول أولئک الملائکه الی صورتهم الاصلیه.فاذا هم غلاظ شداد،و إذا بهم یقتلعون مدینتهم و یدمرونها علیهم.

هکذا یخادع اللّه عباده عند ما یحاولون مخادعته.

وَ إِذٰا قٰامُوا إِلَی الصَّلاٰهِ قٰامُوا کُسٰالیٰ یُرٰاؤُنَ النّٰاسَ وَ لاٰ یَذْکُرُونَ اللّٰهَ إِلاّٰ قَلِیلاً فهم لا یصلّون حقیقه للّه،بل یتظاهرون أمام الناس.

و إذا کانت الصلاه و هی أهم الشعائر العبادیه یؤدونها بهذه الروح فکیف بسائر الواجبات.

هذا مثل لخداع المنافقین لأنفسهم،و کیفیه قیامهم بواجباتهم الدینیه، و بالتالی هذه صفه واضحه فیهم نستطیع أن نکتشفهم عن طریقها.

فقدان المقاییس و الحکم بالشک:

[۱۴۳]و الصفه الثانیه للمنافقین هی الشک،و تذبذب المواقف.فهم لا یتخذون مواقفهم حسب رؤیه مستقبلیه،بل حسب التوفیق بین الجبهه الکافره و بین المجتمع الاسلامی،و تمییع المواقف،و تأیید کل طرف فی شیء حسب المصالح الآنیه العاجله لهم.

مُذَبْذَبِینَ بَیْنَ ذٰلِکَ أی بین الکفار و المؤمنین و ذلک بإشاره الکلمه الثانیه.

لاٰ إِلیٰ هٰؤُلاٰءِ وَ لاٰ إِلیٰ هٰؤُلاٰءِ و لأنهم مذبذبون تستبد بهم الشکوک فان قلوبهم تفقد المقاییس الصحیحه

التی تمیز الحق عن الباطل،و بالتالی فإنهم لن یهتدوا أبدا.

وَ مَنْ یُضْلِلِ اللّٰهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِیلاً اللّه هو الذی یهدی عباده بعد أن یسعوا من أجل الهدایه،أما الذین یتقاعسون عنها و یسدون أبواب قلوبهم دونها،إذا کیف یهدیهم اللّه.؟! انه یترکهم فی ضلالتهم و آنئذ لا یجدون من یهدیهم من دون اللّه.

لنتصور الهدایه کالعلم.کیف یحصل الواحد منا علی العلم؟بالطبع عن طریق السعی الدّائب،و البحث الدائم،و لکن کیف یکون حال من لا یسعی من أجل العلم،بل و أخس من ذلک بأن یسد علی نفسه الأبواب،و لا یدع أحدا یدخل علیه لیعلمه،أ فلا یبقی هذا الشخص فی الجهل أبدا؟!کذلک اللّه یضلل المنافقین.

لمن الولاء

؟ [۱۴۴]هذه بعض صفات المنافقین،و علینا أن نتحذر من انحرافهم الذی یبدأ بولاء الکافرین خوفا منهم أو طمعا فیهم.

یٰا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لاٰ تَتَّخِذُوا الْکٰافِرِینَ أَوْلِیٰاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِینَ الإنسان لا یستطیع أن یمنح ولاء لجهتین متضادتین:فأما هو-بالتالی-موال للمؤمنین أو للکافرین.

و إذا والی المؤمن کافرا،فانه سیقطع ولاءه طبیعیا عن المؤمنین،و لذلک عبر القرآن الکریم هنا بکلمه«من دون المؤمنین».

نعم یمکن أن یکون ولاء المؤمن للکافرین من خلال ولائه للمؤمنین،و ذلک

بأن يخلص ولاءه للمؤمنين،و لكل من يخدم المؤمنين من الكفار.

أَ تُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطاناً مُبِيناً فلا ينصركم اللّه أنكم لا تخلصون الولاء له،إذ ان نصر اللّه انما يأتى للذين يعتمدون كليا عليه،و يعبدونه بتطبيق برنامجه كاملا غير منقوص.

أما الذين يوالون الكفار فان اللّه يوكلهم إليهم،لأنهم فى الواقع لا يستطيعون تطبيق برامجه بالكامل.

[۱۴۵]اما إذا والى المؤمنون الكافرين فإنهم سيكونون منافقين،و جزاء المنافقين معروف:أنه جهنم.

إِنَّ الْمُنافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النّارِ طبقات الجنه تسمى بالدرجات،و أرفعها أعلى عليين،و طبقات النار تسمى الدركات و أسوأها أسفل السافلين.

وَ لَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً انهم والوا الكفار بهدف الحصول على عونهم،و لكن آمالهم ستخيب يوم القيامه.إذ سيجدون أنفسهم فى النار دون أن ينصرهم أصدقاؤهم الكفار.

سبيل العوده:

[۱۴۶]طريق عوده المنافقين الى الجبهه الايمانيه،طريق سألك و معبد و ذو مراحل أربع:

الاولى:التوبه بالندم على تعاملهم السابق مع الكفار،و العزم على عدم

تکراره.

الثانیه:الإصلاح بترمیم الجسور المهدّمه بینهم و بین المؤمنین،و ذلک بتصفیه عقولهم من أفکار الکافرین،و تصفیه قلوبهم من النفاق و الحق علی المؤمنین، و تصفیه علاقاتهم السابقه و تکوین علاقات حمیمه جدیده.

الثالثه:الاعتصام باللّه،و ذلک بتوثیق الولاء للقیاده الاسلامیه و التسلیم لها و الطاعه لأوامرها.

الرابعه:إخلاص الدین (1)،و ذلک بإقامه الصلاه بنشاط و وعی،و من دون کسل،و ذکر اللّه کثیرا،و اقامه سائر الشعائر،و ممارسه سائر الواجبات بطریقه صحیحه.

بعد طی هذه المراحل یلحق هؤلاء بالمؤمنین الذین أعد اللّه لهم أجرا عظیما فی الدنیا متمثلا بالنصر المؤزّر،و فی الآخره فی جنات عدن خالده.

إِلاَّ الَّذِینَ تٰابُوا وَ أَصْلَحُوا وَ اعْتَصَمُوا بِاللّٰهِ وَ أَخْلَصُوا دِینَهُمْ لِلّٰهِ فَأُولٰئِکَ مَعَ الْمُؤْمِنِینَ وَ سَوْفَ یُؤْتِ اللّٰهُ الْمُؤْمِنِینَ أَجْراً عَظِیماً

1- 1) ربما یکون معنی إخلاص الدین هو توحید الولاء.

[سوره النساء (۴): الآیات ۱۴۷ الی ۱۵۲]

اشاره

مٰا یَفْعَلُ اَللّٰهُ بِعَذٰابِکُمْ إِنْ شَکَرْتُمْ وَ آمَنْتُمْ وَ کٰانَ اَللّٰهُ شٰاکِراً عَلِیماً (۱۴۷) لاٰ یُحِبُّ اَللّٰهُ اَلْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ اَلْقَوْلِ إِلاّٰ مَنْ ظُلِمَ وَ کٰانَ اَللّٰهُ سَمِیعاً عَلِیماً (۱۴۸) إِنْ تُبْدُوا خَیْراً أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اَللّٰهَ کٰانَ عَفُوًّا قَدِیراً (۱۴۹) إِنَّ اَلَّذِینَ یَکْفُرُونَ بِاللّٰهِ وَ رُسُلِهِ وَ یُرِیدُونَ أَنْ یُفَرِّقُوا بَیْنَ اَللّٰهِ وَ رُسُلِهِ وَ یَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَ نَکْفُرُ بِبَعْضٍ وَ یُرِیدُونَ أَنْ یَتَّخِذُوا بَیْنَ ذٰلِکَ سَبِیلاً (۱۵۰) أُولٰئِکَ هُمُ اَلْکٰافِرُونَ حَقًّا وَ أَعْتَدْنٰا لِلْکٰافِرِینَ عَذٰاباً مُهِیناً (۱۵۱) وَ اَلَّذِینَ آمَنُوا بِاللّٰهِ وَ رُسُلِهِ وَ لَمْ یُفَرِّقُوا بَیْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولٰئِکَ سَوْفَ یُؤْتِیهِمْ أُجُورَهُمْ وَ کٰانَ اَللّٰهُ غَفُوراً رَحِیماً (۱۵۲)

صفات الكافرين عرض و تقييم

هدى من الآيات:

بعد بيان مفصل لشروط الإصلاح المسبقه التى ينبغى ان يتصف بها المنافق التائب،و بالتالى كل مؤمن حتى لا يتسرب النفاق الى قلبه.

يبين السياق ان من ابرز شروط الإصلاح الشكر للّه،و الايمان به،و تنقيه أجواء المجتمع من الكلام السلبى،و اشاعه الخير،و العفو عن السوء.

و بعد بيان هذه الشروط الاساسيه لاقتلاع جذور التفرقه و النفاق من ارض المجتمع يعود القرآن ليحدثنا عن طبقه اخرى من المنافقين،و هم الذين يبعضون ايمانهم،فيؤمنون ببعض الرسل و ببعض التعاليم السماويه الموصى بها إليهم، و يكفرون ببعض.

و يقرر القرآن انهم هم الكافرون،لان الايمان كل لا يتجزّأ،و يؤكد هذه الحقيقه فى الايه التاليه،و فى الدرس القادم يضرب مثلا من بنى إسرائيل الذين

آمنوا ببعض الرسل،و كفروا ببعض.ان ايمانهم ببعض التعاليم و كفرهم ببعضها الآخر انما هو حسب ما تقتضيه مصالحهم الذاتيه.

بينات من الآيات:

شكر اللّه و النظره الايجابيه

[۱۴۷]ان اللّه غنی عنا،غنی عن أعمالنا،و غنی عن عذابنا،انه لا يتلذذ بعذاب أحد سبحانه،بيد انه حين يعذب الناس فانما لاستحقاقهم ذلک،و بالتالی بسبب جر النار الی أنفسهم بأنفسهم.

و لکی يتحصن الإنسان من شر اعماله فعليه ان يؤمن،و لکی يؤمن فعليه ان يشکر اللّه،إذ ان النفس الشاکره لأنعم اللّه عليها ان تتمتع بنظره ايجابيه متفائله للحياه،و تنظر الی کل نعمه باعتبارها عطاء جديدا لا تستحقه،و انه يمکن ان يؤخذ منه فی ايه لحظه،فهو من جهه يقدر النعمه حق قدرها،و من جهه ثانيه يقّدر من أعطاها إياها و هو اللّه سبحانه،حق قدره،و بذلک يزداد ايمانه باللّه،و وعيه التام برحمته الواسعه،و بهيمنته الدائمه علی الحياه.

أ رأيت لو استضافک رجل کريم،ليس لک عليه حق،و هيأ لک أفضل أنواع المتع و اللذات،و لم يحدد نهايه ضيافته لک،أو لست تبقی تشعر بالامتنان اليه طيله فتره ضيافته،و تعمل خلالها بکل لباقه و أدب يتناسبان و رجل ضيف مثلک، لأنک تقدر من جهه العطاء الذی قدمه لک علی غير استحقاق،و تخشی من جهه ثانيه من الطرد فی ايه لحظه.

کذلک الشاکر يزداد وعيه بنعم اللّه،و بالتالی ايمانه باللّه،و شعوره بمنته عليه کلما اوتی نعمه جديده،بعکس المنافق الذی کلما زادت نعم اللّه عليه کلما

أحس بأنّها جزء من حقوقه،و دليل على عظمته،و بالتالى يزداد طغيانا و كفرا.

مٰا يَفْعَلُ اللّٰهُ بِعَذٰابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَ آمَنْتُمْ وَ كٰانَ اللّٰهُ شٰاكِراً عَلِيماً فكلما ازداد شكرك،و تقديرك لنعمه عليك،كلما شكرك اللّه،و اغرقك بنعم جديده،و هو إذ ذاك يعلم كم شكرته و متى؟

علاج بعض الأمراض الاجتماعيه

[۱۴۸]حين تتشبع النفس بالشكر للّه،و بالرضا يقل الحسد و الحقد و الكراهيه المنبعثه عن ضيق الأفق و تتناقص البغضاء النابعه من الاستئثار و الفرديه،و يعم مكانهما الصفاء و المحبه و التسامح،مما ينعكس على أحاديث الناس فتصبح ايجابيه سليمه.

لان اللّه لا يحب التجاهر بالأحاديث السلبيه السيئه الا إذا كانت ذا هدف شريف و هو:الضرب على يد الظالم،و الاستعانه بالناس ضده.

لاٰ يُحِبُّ اللّٰهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاّٰ مَنْ ظُلِمَ وَ كٰانَ اللّٰهُ سَمِيعاً عَلِيماً يسمع الغيبه و التهمه و النميمه و التنابز بالألقاب،و الانتقاص من قدر هذا أو ذاك،و يعلم كذبها و دوافعها،و هل هى تظلّم؟أو استعانه ضد جائر أم لا؟ ان اللّه حين لا يحب شيئا فلأنه يضر بمصلحه الناس،و سوف يعاقب عليه فى الدنيا و الاخره.

[۱۴۹]بلى ان اللّه يحب ذلك المجتمع النظيف من سلبيات الكلام العاكف على عمل الخير سواء كان ظاهرا أو مستترا،و من ابرز اعمال الخير العفو.

أو لم يقـل ربنا فى أيه اخرى:(يَسْـئَلُونَكَ مٰا ذٰا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ)،ان العفو يربط أبناء المجتمع ببعضه ربطا و يقتلع جـذور النفاق منه.

إِنْ تُبْـدُوا خَيْراً أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللّٰهَ كٰانَ عَفُوًّا قَـدِيراً ان اللّه يعفو عمن عفـا عن النـاس و يعفو عمن يعمـل الخير للناس.يعفو عنهم بالرغم من قدرته عليهم،أو ليس من الأفضل أن يتخلق العبد بخلق ربه،و أن يكون هو الآخر عفوا؟!

كيف تعبد الذات

؟ [۱۵۰]

ما هو الايمان

؟ الجواب:انه اخضاع قوى الشرفى الذات لاراده الحق،و تسليم النفس لهدى العقل،انه استجابه الإنسان لنداء اللّه،و بالتالى مخالفه أهواء النفس،و اتباع برامج اللّه.

و إذا كان هذا هو الايمان فليس بمؤمن أبدا ذلك الذى يوافق الحق حين يتوافق مع مصالحه،و يخضع للحق بهدف تحقيق شرور ذاته،و تسلم نفسه للعقل بشرط موافقه اهوائه و يستجيب لنداء اللّه حين لا يضر بشهواته،و هكذا.

انما هذا الرجل متوغل فى الكفر لأنه يعبد ذاته و لا يرى الحق الا وسيله لتحقيق مصالحه.

و الـذين يبعضون رسالات اللّه فيأخـذون مـا يوافق مصـالحهم،و يتركون ما خالفها..انهم بالتالى يعبـدون مصالحهم و لا يعبـدون اللّه،لذلك فهم الكافرون حقا،و قد اصدر القرآن عليهم حكم الكفر مسبقا و قال:

إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللّهِ وَ رُسُلِهِ وَ يُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللّهِ وَ رُسُلِهِ وَ يَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَ نَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذٰلِكَ سَبِيلاً [١٥١] أُولٰئِكَ هُمُ الْكافِرُونَ حَقًّا وَ أَعْتَدْنا لِلْكافِرِينَ عَذاباً مُهِيناً و التفريق بين اللّه و الرسول ياتى بهدف عصيان الرسول،و الادعاء بأنهم يكتفون ببرامج اللّه.

و لكن هل تعنى برامج اللّه شيئا من دون قياده الرسول،انهم يكذبون كذبه مفضوحه حين يدعون وجود علاقه بينهم و بين اللّه،إذ لو كان كذلك إذا لخضعوا لرسوله.

ان كل الطغاه عبر التاريخ يحاربون رجال الإصلاح فى الوقت الذى يدعون انهم مؤمنون بالإصلاح ذاته،و يقتلون النبيين باسم المحافظه على الدين، و يسحقون علماء الدين،و يتظاهرون بحمايه الدين.

ان الرسول لا ينفصل عن اللّه،و لا ينفصل عن الإصلاح و مناهج الدين و عن حملتهما من المصلحين و العلماء،و انما يهين اللّه هؤلاء الكافرين بعذابه يوم القيامه أو حتى فى الدنيا،لأنهم خالفوا رسل اللّه،و بالتالى كفروا باللّه بدافع كبرهم و عزتهم الكاذبه،و غرورهم الفارغ،لذلك يخزيهم اللّه و يذلهم فى الدنيا و الآخره.

[١٥٢]و فى مقابل الكفار الذين يفرقون بين اللّه و رسله ابتغاء المصالح العاجله هناك رجال صادقون فى ايمانهم يبتغون أجر اللّه الذى سيوافيهم عاجلا أم آجلا.

وَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللّهِ وَ رُسُلِهِ وَ لَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَ كانَ اللّهُ غَفُوراً رَحِيماً

[سوره النساء (۴): الآیات ۱۵۳ الی ۱۶۲]

اشاره

یَسْئَلُکَ أَهْلُ اَلْکِتٰابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَیْهِمْ کِتٰاباً مِنَ اَلسَّمٰاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسیٰ أَکْبَرَ مِنْ ذٰلِکَ فَقٰالُوا أَرِنَا اَللّٰهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ اَلصّٰاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اِتَّخَذُوا اَلْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مٰا جٰاءَتْهُمُ اَلْبَیِّنٰاتُ فَعَفَوْنٰا عَنْ ذٰلِکَ وَ آتَیْنٰا مُوسیٰ سُلْطٰاناً مُبِیناً (۱۵۳) وَ رَفَعْنٰا فَوْقَهُمُ اَلطُّورَ بِمِیثٰاقِهِمْ وَ قُلْنٰا لَهُمُ اُدْخُلُوا اَلْبٰابَ سُجَّداً وَ قُلْنٰا لَهُمْ لاٰ تَعْدُوا فِی اَلسَّبْتِ وَ أَخَذْنٰا مِنْهُمْ مِیثٰاقاً غَلِیظاً (۱۵۴) فَبِمٰا نَقْضِهِمْ مِیثٰاقَهُمْ وَ کُفْرِهِمْ بِآیٰاتِ اَللّٰهِ وَ قَتْلِهِمُ اَلْأَنْبِیٰاءَ بِغَیْرِ حَقٍّ وَ قَوْلِهِمْ قُلُوبُنٰا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اَللّٰهُ عَلَیْهٰا بِکُفْرِهِمْ فَلاٰ یُؤْمِنُونَ إِلاّٰ قَلِیلاً (۱۵۵) وَ بِکُفْرِهِمْ وَ قَوْلِهِمْ عَلیٰ مَرْیَمَ بُهْتٰاناً عَظِیماً (۱۵۶) وَ قَوْلِهِمْ إِنّٰا قَتَلْنَا اَلْمَسِیحَ عِیسَی اِبْنَ مَرْیَمَ رَسُولَ اَللّٰهِ وَ مٰا قَتَلُوهُ وَ مٰا صَلَبُوهُ وَ لٰکِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَ إِنَّ اَلَّذِینَ اِخْتَلَفُوا فِیهِ لَفِی شَکٍّ مِنْهُ مٰا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اِتِّبٰاعَ اَلظَّنِّ وَ مٰا قَتَلُوهُ یَقِیناً (۱۵۷) بَلْ رَفَعَهُ اَللّٰهُ إِلَیْهِ وَ کٰانَ اَللّٰهُ عَزِیزاً حَکِیماً (۱۵۸) وَ إِنْ مِنْ أَهْلِ اَلْکِتٰابِ إِلاّٰ لَیُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَ یَوْمَ اَلْقِیٰامَةِ یَکُونُ عَلَیْهِمْ شَهِیداً (۱۵۹) فَبِظُلْمٍ مِنَ اَلَّذِینَ هٰادُوا حَرَّمْنٰا عَلَیْهِمْ طَیِّبٰاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَ بِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِیلِ اَللّٰهِ کَثِیراً (۱۶۰) وَ أَخْذِهِمُ اَلرِّبَوا وَ قَدْ نُهُوا عَنْهُ وَ أَکْلِهِمْ أَمْوٰالَ اَلنّٰاسِ بِالْبٰاطِلِ وَ أَعْتَدْنٰا لِلْکٰافِرِینَ مِنْهُمْ عَذٰاباً أَلِیماً (۱۶۱) لٰکِنِ اَلرّٰاسِخُونَ فِی اَلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَ اَلْمُؤْمِنُونَ یُؤْمِنُونَ بِمٰا أُنْزِلَ إِلَیْکَ وَ مٰا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِکَ وَ اَلْمُقِیمِینَ اَلصَّلاٰةَ وَ اَلْمُؤْتُونَ اَلزَّکٰاةَ وَ اَلْمُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَ اَلْیَوْمِ اَلْآخِرِ أُولٰئِکَ سَنُؤْتِیهِمْ أَجْراً عَظِیماً (۱۶۲)

اللغه

۱۵۴[لا تعدوا]:العدوان و التعدی.

ص:۲۴۰

۱۵۶[بهتانا]:البهتان الکذب الذی یتحیر فیه من شدته و عظمته.

دوافع الكفر

هدى من الآيات:

لماذا يفرق المرء المؤمن بين اللّه و رسله.هل لأنه لا يقتنع بصدق الرسول؟ كلا.ان أكثر الناس يخالفون الرسول استجابه لأهوائهم و مصالحهم الانيه، و انما يغلفون مخالفتهم بطبقه من الجدل الفكرى فهؤلاء بنو إسرائيل يطالبون الرسول بأن يأتيهم بقراطيس منزله من السماء مباشره كألواح موسى،فهل كفروا بالرسول لأنه لم ينزل عليهم قراطيس من السماء؟و هل انهم يؤمنون إذا نزلت هذه القراطيس؟كلا..لقد جاءهم موسى بما اقترحوا و لكن لم يؤمنوا به أيضا، و انما قالوا لموسى:أرنا اللّه جهره حتى نؤمن لك،و هل كان من الممكن استجابه طلبهم التعجيزى؟!ثم انهم أشركوا باللّه بعد ان اقتنعوا بالحق عن طريق البينات التى جاءتهم،و أكثر من ذلك انهم نقضوا ميثاقهم بعد ان أحكمه اللّه عليهم أحكاما،بعد ان ظلّل عليهم جبل عظيم،فكاد يقع عليهم لولا انهم تعهدوا بالطاعه،فلما رفع عنهم الجبل عادوا الى غيهم،و كفروا بآيات اللّه، و قتلوا الأنبياء،و ادعوا ان قلوبهم مقفله لا يدخلها نور الايمان،و انما هم الذين اقفلوها

ص:۲۴۲

على أنفسهم بالكفر.

و مثل آخر:ان بنى إسرائيل كفروا بعيسى،و اتهموا امه الصديقه مريم ببهتان عظيم.و ادعوا انهم قتلوا المسيح الذى لم يقتلوه،بل انهم اشتبهوا فيه، و لكن اللّه رفعه اليه،و قبل ان يموت أى واحد منهم فسوف يؤمن بالمسيح لأنه حق.و الإنسان قبل موته يرى الحق بوضوح.

إذا ماذا كان وراء كفر هؤلاء؟انه الظلم الذى حرم اللّه عليهم بسببه كثيرا من الطيبات التى أحلت لهم سابقا.

فالظلم سواء كان ذاتيا أو اجتماعيا فانه العامل الاساسى للكفر،و الظلم الذاتى مثل شرب الخمر،و الظلم الاجتماعى مثل محاوله تحريف الناس عن الحق،و أخذ الربا،و أكل أموال الناس بالباطل،و كل هذه تسبب الكفر، و مرد الكفر عذاب اليم.

بينات من الآيات:

حقيقه الكفر من واقع بنى إسرائيل:

[۱۵۳]يجب الاّ تخدعنا كلمات الكفار التى يتظاهرون بها.ان مخالفتهم للرساله انما هى لعدم قناعتهم الفكريه بها،و يقدمون طلبات يزعمون أنها لو تحققت إذا لآمنوا كلا،فعلينا أن نكشف عن دوافعهم و رغباتهم الاجتماعيه.

فهؤلاء بنو إسرائيل طالبوا الرسول بأن ينزل عليهم كتابا من السماء غير القرآن،و يبدو أنهم كانوا يريدون أن يكون الكتاب محتويا على بعض الأفكار، أو أنهم طالبوا بكتاب مكتوب فى الألواح،كما نزل على موسى عليه السلام.

بيد أن هذا الطلب لم يكن فی الواقع سوی ستار لإخفاء دوافع كفرهم المصلحيه.

إذ أن موسی عليه السلام جاء إليهم بمثل ما يريـدون فلم يلبثوا حتی طلبوا منه طلبا تعجيزيا ساذجا فقالوا:أرنا اللّه!!! أو يمكن أن يری ربنا سبحانه؟!بيد أنهم اشترطوا علی موسی أن يريهم اللّه حتی يؤمنوا.

يَسْئَلُكَ أَهْلُ الْكِتابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتاباً مِنَ السَّماءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسی أَكْبَرَ مِنْ ذلِكَ فَقالُوا أَرِنَا اللّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ نزلت صاعقه عليهم أبادتهم عن آخرهم ثم أحياهم اللّه،و السؤال:لماذا نزلت الصاعقه عليهم بعد طلبهم السخيف؟ الجواب:لأنهم كانوا من قبل ظالمين لأنفسهم و للناس،و ما كان طلبهم الاّ غطاء لظلمهم،أو لأن مجرد هذا الطلب كان دليلا علی أنهم يكفرون باللّه، و بقيمه و مناهجه.

و أوضح اللّه لهم البينات لقد عبروا البحر بعد أن انفلق لهم و تحول الی طريق سالكه،و لقد قضی اللّه علی عدوهم فرعون بالموت غرقا.

و لقد نزل عليهم المن و السلوی و تفجرت لهم الصخور بالمياه العذبه،و مع كل ذلك عبدوا العجل،أ فلا يدل ذلك علی ان لهم دوافع مصلحيه تدعوهم الی الكفر؟! ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ الْبَيِّناتُ فَعَفَوْنا عَنْ ذلِكَ وَ آتَيْنا مُوسی سُلْطاناً مُبِيناً

ص:۲۴۴

استطاع بذلك السلطان قمع التمرد المتمثل فى عباده العجل،و قتل الكثير من الداعين اليه،و ضمن الوحده الفكريه لبنى إسرائيل.

[۱۵۴]و مثل آخر من واقع بنى إسرائيل أيضا،حين اقتطع اللّه قطعه من الجبل فوضعها فوق رؤوسهم،و هددهم بإفنائهم حتى تعهدوا له بتطبيق الميثاق،ثم أمرهم بأن يدخلوا المدينه ساجدين للّه سبحانه لا متكبرين و لا طامعين،و نظم حياتهم،فأمرهم بألاّ يصيدوا يوم السبت،و أخذ منهم ميثاقا و تعهدا شديدا بأن يطيعوا أوامره.فهل فعلوا؟!كلا..

وَ رَفَعْنا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثاقِهِمْ أى رفعنا فوق رؤوسهم الجبل ليتعهدوا بالميثاق و العهد.

وَ قُلْنا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبابَ سُجَّداً للّه،و الباب هو باب المدينه التى فتحها اللّه لهم بعد أن تعبوا من حياه البداوه،و سألوا اللّه بأن يرزقهم حياه الزراعه و التحضر.

وَ قُلْنا لَهُمْ لا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ أى لا تتعدوا حدود اللّه فى السبت.

وَ أَخَذْنا مِنْهُمْ مِيثاقاً غَلِيظاً [۱۵۵]و لكن لماذا نقضوا الميثاق،و كفروا بآيات اللّه،و قتلوا الأنبياء، و ابتعدوا نهائيا عن اتباع الحق،و برروا ذلك لأنفسهم،بأن قلوبنا مغلقه، و لا تستطيع أن تستوعب هذه الحقائق،أو ليس لأنهم كفروا؟!فلما كفروا طبع اللّه على قلوبهم،و أغلق فيها نوافذ الهدى،و لم يعطهم الهدايه التى هى منّه اللّه،

و كان مثلهم مثل الذى أغمض عينه عن الشمس حتى غابت عنه فهل يستطيع أن يراها حتى و لو فتح عينه؟كلا..

أنهم اختاروا العمى على الهدى،فسلب اللّه عنهم نور الهدى جزاء لكفرهم به.

فَبِمٰا نَقْضِهِمْ مِيثٰاقَهُمْ وَ كُفْرِهِمْ بِآيٰاتِ اللّٰهِ وَ قَتْلِهِمُ الْأَنْبِيٰاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ بالطبع لا يكون قتل النبى بحق،و انما جاء القرآن بكلمه(بغير حق)تأكيدا، أو أراد أن يبين أنهم لم يقاتلوا الأنبياء،فيقتلوهم فى الحرب مما قد يوحى الى البعض أن قتلهم حق،كلا..

إنما قتلوهم صبرا،و من دون أى مبرر حتى عندهم هم،و حسب مقاييسهم الجاهليه.

وَ قَوْلِهِمْ قُلُوبُنٰا غُلْفٌ أى مغلفه.لا تستطيع أن تستوعب نور الحق،و هذا تبرير سخيف يتوسل به كل المعاندين الذين يريدون قطع الجدل على من يخاصمهم،فيقولون هكذا خلقنا اللّه،أننا لا نفهم،أننا لا نستطيع أن نؤمن،و بالتالى يلقون بمسؤوليه كفرهم على اللّه سبحانه،و لكنه كذب واضح.

بَلْ طَبَعَ اللّٰهُ عَلَيْهٰا بِكُفْرِهِمْ فهم كانوا قادرين على فهم الحقائق،و قد ساواهم اللّه فى نعمه العقل، و فرصه الهدايه كالآخرين،و لكنهم سدوا على أنفسهم الطرق بكفرهم باللّه، و عنادهم المتعمد و حتى الآن هم قادرون على تغيير مسارهم، و لكن بصعوبه كبيره،و ذلك بأن يتركوا عنادهم و يتوبوا الى اللّه من جحودهم،و آنئذ يتوب اللّه

عليهم،و يعيد إليهم نعمه العقل و نور الهدى المسلوب عنهم.

بيد أن هذه العمليه صعبه جدا،و لا يقوم بها الا قليل منهم.

فَلاٰ يُؤْمِنُونَ إِلاّٰ قَلِيلاً بيد أن وجود هذه الفئه القليله التى تؤمن من بعد الكفر لدليل على سخافه فكره(حتميه الضلاله)التى تشبثوا بها لتبرير كفرهم.

قصه المسيح و أمه:

[۱۵۶]كيف كفر هؤلاء حتى طبع اللّه على قلوبهم؟ انهم كفروا بعيسى،و أضافوا على كفرهم اتهام أم عيسى الصديقه مريم ببهتان عظيم.

وَ بِكُفْرِهِمْ وَ قَوْلِهِمْ عَلىٰ مَرْيَمَ بُهْتٰاناً عَظِيماً اتهموها بالزنا لإسقاط شخصيه نبيهم عيسى فى أعين الناس،و كانوا يعلمون ان هذه تهمه باطله،و أنها تهمه كبيره.

[۱۵۷]و أيضا بهدف إسقاط شخصيه عيسى فى نظر الجماهير،و بالتالى إسقاط رسالته قالوا:انا قضينا على عيسى،قالوه كذبا،و انما قتلوا رجلا آخر شبيها بعيسى.

وَ قَوْلِهِمْ إِنّٰا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّٰهِ و انما كرّم القرآن اسم عيسى هنا بأنه كان المسيح و هو ابن مريم الصديقه، و هو رسول اللّه،لكى يقابل محاوله اليهود لإسقاط شخصيته فى أعين الناس.

ص:۲۴۷

وَ مٰا قَتَلُوهُ وَ مٰا صَلَبُوهُ وَ لٰكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ فقد قتلوا شخصا آخر،أو أنهم تصوروا قتل المسيح بيد أنه كان قد رفع الى السماء حيا.

وَ إِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ و مجرد اختلافهم فى كيفيه قتله لدليل على أنهم لم يقتلوه يقينا،و إلا فعمليه القتل خصوصا لشخصيه كبيره كعيسى لا يمكن ان تبعث الشك و التردد،بل تكون موضع يقين و اتفاق الجميع.

مٰا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبٰاعَ الظَّنِّ ذلك الظن الآتى من غياب عيسى فادّعوا بأنهم قتلوه،و بعض أدّعوا بأنهم صلبوه.

وَ مٰا قَتَلُوهُ يَقِيناً علما بأن القتل يكون شيئا يتيقن الإنسان به.

[۱۵۸]انما استعاده اللّه و رفعه الى السماء،و هو حيّ يرزق و اللّه قادر على ذلك بعزته،و هو حكيم يرفع عيسى بعد ان أدّى رسالته،و انتهت وظيفته.

بَلْ رَفَعَهُ اللّٰهُ إِلَيْهِ وَ كٰانَ اللّٰهُ عَزِيزاً حَكِيماً

متى يؤمنون:

[۱۵۹]و هؤلاء الذين يقرءون الكتاب يعلمون ان عيسى لم يكن سوى رسول من اللّه.و ان ارتيابهم فيه ليس الا بهدف المصالح،أو بسبب ضيق

ص:۲۴۸

النفس،و عامل الحسد و الكبر و حين تسقط عنهم حجب الريب فتنتهى المصالح، و يطهر القلب من الحسد و الكبر.آنئذ يؤمنون بعيسى،و لكن متى يتحقق ذلك؟ إنما يتحقق عند الموت،فعند الموت يفكر الإنسان تفكيرا جديا سليما بعيدا عن مؤثرات الدنيا الفانيه،و آنئذ يعرف الحقائق،و يعلمها يقينا.

وَ إِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتٰابِ إِلاّٰ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَ يَوْمَ الْقِيٰامَهِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً بماذا يشهد عليهم،أنه يشهد بكذبهم و جدلهم،و محاربتهم له.لا لشيء الاّ لأنه حمل إليهم رساله اللّه،و أراد لهم الخير،يشهد على أنهم إنما كفروا به بعد أن عرفوه،و أن ارتيابهم فيه لم يكن سوى غطاء لحسدهم و حقدهم.

و الإنسان حين يتصور نفسه فى لحظه مفارقه الحياه و لقاء اللّه،آنئذ يكتشف زيف كثير من التبريرات التى يمنى نفسه بها،و يرى الحقائق بوضوح تام،و علينا إذا ان نتصور ذلك بين فتره و أخرى لعلنا نهتدى الى الحق.

علاقه الكفر بنقص النعم:

[۱۶۰]ان كفر اليهود(و جحودهم و عنادهم)سبب لهم العمى،و ان اللّه طبع على قلوبهم،و بالتالى سبب لهم انحرافا رئيسيا فى الحياه كما رأينا و انتهى بهم الى نقض الميثاق،و قتل الأنبياء،و ادعاء قتل عيسى.

أما ظلمهم(تعديهم على حقوق بعضهم)فقد سبب لهم حياه البؤس حيث لم يستطيعوا التلذذ بنعم اللّه فى الحياه.

فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هٰادُوا حَرَّمْنٰا عَلَيْهِمْ طَيِّبٰاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ هل حرمها اللّه عليهم تحريما تشريعيا(كما حرم عليهم أنواعا من اللحم)أم

حرمها عليهم طبيعيا،أى منعها عنهم بطريقه تكوينيه.كما حرم مثلا على موسى و هو رضيع المراضع.

قد يكون هذا و ذاک معا.إذ أن الامه الظالمه يشدد اللّه عليها فی التشريع كما أن المجتمع الظالم يستوجب نظاما شديدا و قوانين رادعه كثيره،و قد كان بنو إسرائيل من هذا النوع،و لذلک رأينا كيف أن اللّه تشدد معهم فی قصه البقره لظلمهم،و هكذا.

و الامه الظالمه لا تتنعم بنعم اللّه،لان كل فريق منهم يحاول الاستيلاء على حقوق الفريق الآخر،و لا يحاولون أن يتحدوا،و يكثفوا الجهود من أجل تحقيق رفاهيه الكل و استغلال موارد الطبيعه من أجل خير و رفاهيه الجميع.

و لكن يبقى سؤال:ما هو الظلم الذی يمنع النعم؟.

الجواب:أولا:منع الناس عن الاكتساب،و وضع عراقيل أمام الطاقات أن تحقق الرفاه مما يسميه القرآن هنا بسبيل اللّه.

و من الطبيعی أن تتخلف الامه التی تكبل الكفاءات و تضع عليها قيودا كثيره.

ثانيا:باستغلال القوی للضعيف حيث ان القوی يتكاسل-إذ ذاک-عن العمل البناء،و يكتفی بما يستغله من الناس.

و الضعيف لا يؤدی دوره لأنه مستغل،و يضرب القرآن لنا بمثلى أخذ الربا، و أكل اموال الناس بالباطل..فالأول:استغلال مبطّن و الثانی:استغلال سافر.

وَ بِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ كَثِيراً

ص:٢٥٠

علم راسخ،و فطره ایمانیه:

[۱۶۱] وَ أَخْذِهِمُ الرِّبَوا وَ قَدْ نُهُوا عَنْهُ وَ أَكْلِهِمْ أَمْوالَ النّاسِ بِالْباطِلِ وَ أَعْتَدْنا لِلْكافِرِينَ مِنْهُمْ عَذاباً أَلِيماً بما أن الحديث السابق كان عن بنی إسرائيل علی وجه الإطلاق و بصفه عامه فقد خصص القرآن العذاب للكافرين منهم لكی لا يزعم أحد:أن كل بنی إسرائيل كفار،و لكن يستثنی منهم طبقه خاصه يتحدث عنها فی الآيه التاليه.

[۱۶۲] لكِنِ الرّاسِخُونَ فِی الْعِلْمِ مِنْهُمْ الذين لم يتخذوا العلم وسيله ارتزاق،بل منظارا لمعرفه الحياه.

وَ الْمُؤْمِنُونَ الذين طابت نفوسهم و لم تحمل رواسب الجاهليه،و هذه الآيه تدل علی ان البشر يجب ان يتمتع،أما بعلم راسخ أو بفطره إيمانيه نظيفه،و بالتالی:أما أن يفهم الحقائق كلها شخصيا،أو يسلّم لمن يفهمها بعد أن يكتشفها ببصيره طاهره، و يتجرد عن ذاته،و يتسلح بصدق و صفاء.

يُؤْمِنُونَ بِما أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَ ما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَ الْمُقِيمِينَ الصَّلاهَ وَ الْمُؤْتُونَ الزَّكاهَ وَ الْمُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ أُولئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْراً عَظِيماً

ص:۲۵۱

[سوره النساء (۴): الآيات ۱۶۳ الی ۱۷۰]

اشاره

إِنّٰا أَوْحَيْنٰا إِلَيْكَ كَمٰا أَوْحَيْنٰا إِلىٰ نُوحٍ وَ اَلنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَ أَوْحَيْنٰا إِلىٰ إِبْرٰاهِيمَ وَ إِسْمٰاعِيلَ وَ إِسْحٰاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ اَلْأَسْبٰاطِ وَ عِيسىٰ وَ أَيُّوبَ وَ يُونُسَ وَ هٰارُونَ وَ سُلَيْمٰانَ وَ آتَيْنٰا دٰاوُدَ زَبُوراً (۱۶۳) وَ رُسُلاً قَدْ قَصَصْنٰاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَ رُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَ كَلَّمَ اَللّٰهُ مُوسىٰ تَكْلِيماً (۱۶۴) رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ لِئَلاّٰ يَكُونَ لِلنّٰاسِ عَلَى اَللّٰهِ حُجَّةٌ بَعْدَ اَلرُّسُلِ وَ كٰانَ اَللّٰهُ عَزِيزاً حَكِيماً (۱۶۵) لٰكِنِ اَللّٰهُ يَشْهَدُ بِمٰا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَ اَلْمَلاٰئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَ كَفىٰ بِاللّٰهِ شَهِيداً (۱۶۶) إِنَّ اَلَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اَللّٰهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلاٰلاً بَعِيداً (۱۶۷) إِنَّ اَلَّذِينَ كَفَرُوا وَ ظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اَللّٰهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَ لاٰ لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً (۱۶۸) إِلاّٰ طَرِيقَ جَهَنَّمَ خٰالِدِينَ فِيهٰا أَبَداً وَ كٰانَ ذٰلِكَ عَلَى اَللّٰهِ يَسِيراً (۱۶۹) يٰا أَيُّهَا اَلنّٰاسُ قَدْ جٰاءَكُمُ اَلرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْراً لَكُمْ وَ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلّٰهِ مٰا فِي اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ كٰانَ اَللّٰهُ عَلِيماً حَكِيماً (۱۷۰)

ص:۲۵۲

دلائل صدق الرساله

هدى من الآيات:

فى اطار الحديث عن الطبقات الاجتماعيه انتهى القرآن فى حديثه السابق الى طبقه الكفار،و ضرب مثلا من واقع بنى إسرائيل الذين طالبوا الرسول بكتاب ينزل من السماء،و غلفوا دوافع كفرهم بهذه المطالبه فردهم القرآن،و بيّن ان للكفر دوافعه النفسيه و المصلحيه و الاجتماعيه.

أما لو أوتى البشر رسوخا فى العلم أو ايمانا فانه لا يكفر،و فى هذا الحديث يسوق القرآن بعض البينات على رساله الرسول،فيقول:

أولا:ان الرساله ليست جديده على الناس،بل هى امتداد للرسالات السماويه السابقه التى نزلت على النبيين.

ثانيا:أن الهدف من الرساله الاّ يبقى للناس على اللّه حجه،فلا يعذبهم دون ان ينذرهم سلفا.

ص:۲۵۴

ثالثا:ان اللّه هو الشاهد على صدق الرساله،فكل من يعرف اللّه يعلم ان اللّه يحب الخير،و يدعو الى الإحسان و الصدق و الفداء،و كل تلك القيم تتفق و روح الرساله،ثم يبين اللّه مصير الكفار بالرساله فقال:أنهم منحرفون عن الصراط، و ان طريقهم يؤدى بهم الى النار.

و يأمر الناس أخيرا بأتباع الرساله لأنها خير للناس،و أنهم لو خالفوها فلن يضروا اللّه شيئا،بل انما يعرضون أنفسهم لعقاب اللّه و سخطه العظيم.

بينات من الآيات:

خط الأنبياء:

[۱۶۳]لأن وحى اللّه لبعض عباده خرق لعاده الطبيعه،و مخالفه للسنن التى يألفها الناس،لذلك كان يردّ مدعى الرساله،و أوضح تبرير لردّه كان مخالفته للمألوف الذى تعود على الناس،و لكى يتجاوز القرآن هذا الحاجز النفسى المانع للناس عن اتباع الرساله.ذكرهم بأن هناك سلسله طويله من الأنبياء على فترات من التاريخ،إذا فليس الرسول بدعا من الرسل،و لا هو عجيب من امر اللّه الذى بعث الأنبياء السابقين.

إِنّٰا أَوْحَيْنٰا إِلَيْكَ كَمٰا أَوْحَيْنٰا إِلىٰ نُوحٍ وَ النَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ بعد نوح جاء أنبياء كثيرون لا يعرف عنهم التاريخ شيئا،و لذلك أشار القرآن هنا الى ذكرهم أشاره،كما لا يعرف بالضبط الفتره الفاصله بين نوح و إبراهيم.

وَ أَوْحَيْنٰا إِلىٰ إِبْرٰاهِيمَ وَ إِسْمٰاعِيلَ وَ إِسْحٰاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْبٰاطِ وَ عِيسىٰ وَ أَيُّوبَ وَ يُونُسَ وَ هٰارُونَ وَ سُلَيْمٰانَ وَ آتَيْنٰا دٰاوُدَ زَبُوراً

و بالرغم من ان الزبور لم يكن كتاب تشريع،بل كتاب دعاء و ابتهال، فانه أوحى الى داود وحيا،مما يدل على ان اللّه أوحى الى بعض رسله حتى الادعيه و الابتهالات.

[۱۶۴]هؤلاء بعض رسل اللّه.و هناك آخرون لا يعرفهم الناس فمن قال لكم:إن الرساله مخالفه لسنه اللّه،أو لطبيعه الحياه كلا انها جزء من هذه الطبيعه،و تلك السنه،و ان ابسط دليل على ذلك هو وقوعها بشكل مكرر.

اننا نعرف ان المطر جزء من سنه الحياه لأننا نرى وقوعه مكررا،و ان الزلازل جزء من طبيعه الأرض،لأنها تقع بشكل مكرر و كذلك الرسالات ما دامت توحى بشكل مكرر فانها جزء من سنن الحياه..

وَ رُسُلاً قَدْ قَصَصْنٰاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَ رُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ و هناك أكثر من مجرد الوحى،بل كان هناك تكليم مباشر من قبل اللّه مع الإنسان،و بالطبع دلاله الحديث المباشر أقوى من الوحى من وراء حجاب.

وَ كَلَّمَ اللّٰهُ مُوسىٰ تَكْلِيماً

التبشير و التحذير وظيفتا الرسل:

[۱۶۵]كانت الغايه من بعث الرسل هى:التبشير بحياه أفضل،و التحذير من الهلاك،حتى لا يقول الناس غدا:ربنا لم لم تبعث إلينا الرسل حتى لا نضل و لا نقع فى الهلاك،ان هذا الهدف العقلانى لدليل على ان اللّه قد بعث الرسل بالتأكيد،ثم لأن اللّه قادر على بعث الرسل لا ريب فى ذلك و لأنه حكيم،فهو

لا يعذب البشر قبل ان يقطع عليهم الحجج،و يسوق إليهم بالاعذار.

رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ لِئَلاّ يَكُونَ لِلنّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَ كانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً فلو لم يبعث الرسل بالبشاره و الإنذار،ثم عذاب من عذب و نعم من نعم،إذا لكان ذلك مناقضا لعزته و حكمته،و بالتالى دليلا على انه أما أن يكون غير قادر، أو غير عارف بالمصالح و بظرف العمل سبحانه عن ذلك.

شهاده اللّه دليل صدق الرساله:

[۱۶۶]و الدليل الثانى على صدق الرسالات شهاده اللّه الذى انزل الوحى بعلمه،و لكن كيف يشهد اللّه؟ ان اللّه زود الإنسان بعقل،و ان عقله يهديه الى معرفه اللّه من خلال التفكر فى آيات الوجود،بل و يهديه الى معرفه صفات اللّه الحسنى،و الى طائفه كبيره من تعاليمه و قيمه.

ان نظره واحده الى الكون تهدينا الى ان اللّه عادل،و أنه رحيم يحب الخير و الإحسان،و انه يكره الفسوق و الظلم و الفاحشه،و نحن نعرف ذلك من خلال العداله المنتشره فى أرجاء الكون،و من خلال الرحمه التى تتمثل فى نعم اللّه على الحياه،و من خلال وصول كل فرد الى جزاء عمله،و هكذا يعرف العقل قيم اللّه التى تطابق الرسالات السماويه التى يوحى اللّه بها الى الأنبياء،فبنظره واحده الى برنامج الرسالات يكتشف الفرد صدق هذه الرساله و ارتباطها باللّه،و انها تتفق و قيم العداله و الخير و الرحمه،و انها بالتالى أنزلت بعلم اللّه.

شهاده الملائکه:

لکِنِ اللّهُ یَشْهَدُ بِما أَنْزَلَ إِلَیْکَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَ الْمَلائِکَهُ یَشْهَدُونَ وَ کَفی بِاللّهِ شَهِیداً کیف تشهد الملائکه؟هل ان شهاده الملائکه تعنی ان حقائق الکون و قوی الطبیعه تتفق و رسالات السماء،باعتبار ان الملائکه هی القوی العاقله الموکله من قبل اللّه بالطبیعه؟ ربما کان ذلک،و ربما ان الملائکه یشهدون بدعم جبهه الرساله عملیا کما فعلوا فی بعض حروب الرسول،أو ان الملائکه هی تعبیر عن نوازع الخیر فی قلب الإنسان،تلک النوازع التی تدعمها الملائکه،و تخالفها الشیاطین،و حین تتفق نوازع الخیر و رسالات السماء نعرف ان الملائکه یشهدون علی صدقها.

ألم یشر الرسول مره الی قلب واحد من الاعراب و قال له:«ما قال لک هذا فافعله فانه الحق».

المهم أن اللّه و ملائکته یشهدون بصدق الرساله و بطرق شتی.

شهاده الکفار دلیل حی:

[۱۶۷]و هناک شهاده علی صدق الرساله تأتی من الطرف الثانی أی من الکفار أنفسهم،حیث أن مقاومتهم لقیم الرساله و من أبرزها:الحریه و العداله تجسد أمامنا الضلاله بکل ما فیها من قبح و بطلان.

إنک قد لا تشعر بمدی خطوره الکبت و القهر و الظلم الا حین تراها مجسده فی نظام طاغوتی،و تری کیف تسحق کرامه الناس،و تغتصب حقوقهم،و تصادر حریاتهم فی ظل هذا النظام،آنئذ تفهم مدی بطلان الایدیولوجیه التی یعتمد

علیها هذا النظام،کما تعرف صدق الفکره التی تخالفه و تخالف ایدیولوجیته.

إذا نظره الی جبهه الکفر کافیه للدلاله علی صدق الرساله.

إِنَّ الَّذِینَ کَفَرُوا وَ صَدُّوا عَنْ سَبِیلِ اللّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلالاً بَعِیداً و سبیل اللّه هو کل خیر یدعو الیه اللّه و ینتهی الیه.

[۱۶۸]هؤلاء یصادرون حریات الناس و لا یدعونهم یتمتعون بنعم الحیاه، و بالتالی یصدونهم عن سبیل اللّه،کما انهم یصادرون حقوق الناس و أموالهم، فهل یمکن أن یکون هؤلاء علی حق؟و یکون الرسول علی باطل؟و هل یمکن ان یدخلهم اللّه الجنه و یدخل الرسول النار؟کلا.إن الرب الذی نعرفه من خلال نعمه السابقه،و رحمته الواسعه،و عدالته الشامله،و بالتالی من خلال أسمائه الحسنی فی الکون،إنه لا یرضی بالتاکید عن الظلم،و انه یخالف تلک الفکره التی تدعو الی الظلم،و بالمقابل یؤید تلک الرساله التی تدعو الی العداله.

إِنَّ الَّذِینَ کَفَرُوا وَ ظَلَمُوا لَمْ یَکُنِ اللّهُ لِیَغْفِرَ لَهُمْ وَ لا لِیَهْدِیَهُمْ طَرِیقاً [۱۶۹] إِلاّ طَرِیقَ جَهَنَّمَ خالِدِینَ فِیها أَبَداً وَ کانَ ذلِکَ عَلَی اللّهِ یَسِیراً فبالرغم مما یملک هؤلاء من عز و سلطان فی الدنیا مما یعظم فی أعین الناس، فإنهم هناک فی الآخره منبوذون فی النار خالدین فیها،لان عزتهم و سلطانهم لا شیء عند قدره اللّه و سلطانه.

الواقع دلیل بارز

[۱۷۰]و دلیل أخر علی صدق الرساله دلیل واقعی آت من تجربتها العملیه، حیث نکتشف من خلال التجربه ان تطبیق الرساله یؤدی الی الخیر(الرفاه،

ص:۲۵۹

و السعاده،و الحريه،و العداله)لأنها حق،و مطابقه لواقعيات الحياه و سننها و قوانينها.

يا أَيُّهَا النّاسُ قَدْ جاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْراً لَكُمْ وَ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلّهِ ما فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ كانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً ای انه قادر غنی عنكم و عن عبادتكم،و لكنه لا يوفر لكم الخير الا بعد اتباعكم لرسالته،لأنه حكيم و لأنه عالم بأعمالكم،و يجازی عليها إن خيرا فخيرا و ان شرا فشرا.

ص:۲۶۰

[سوره النساء (۴): الآيات ۱۷۱ الى ۱۷۳]

اشاره

يا أَهْلَ اَلْكِتابِ لا تَغْلُوا فِى دِينِكُمْ وَ لا تَقُولُوا عَلَى اَللّهِ إِلاَّ اَلْحَقَّ إِنَّمَا اَلْمَسِيحُ عِيسَى اِبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اَللّهِ وَ كَلِمَتُهُ أَلْقاها إِلى مَرْيَمَ وَ رُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللّهِ وَ رُسُلِهِ وَ لا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ اِنْتَهُوا خَيْراً لَكُمْ إِنَّمَا اَللّهُ إِلهٌ واحِدٌ سُبْحانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ ما فِى اَلسَّماواتِ وَ ما فِى اَلْأَرْضِ وَ كَفى بِاللّهِ وَكِيلاً (۱۷۱) لَنْ يَسْتَنْكِفَ اَلْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْداً لِلّهِ وَ لاَ اَلْمَلائِكَةُ اَلْمُقَرَّبُونَ وَ مَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبادَتِهِ وَ يَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعاً (۱۷۲) فَأَمَّا اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصّالِحاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَ يَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَ أَمَّا اَلَّذِينَ اِسْتَنْكَفُوا وَ اِسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذاباً أَلِيماً وَ لا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اَللّهِ وَلِيًّا وَ لا نَصِيراً (۱۷۳)

اللغه

۱۷۱[لا تغلوا]:أصل الغلو مجاوزه الحد.

۱۷۲-[يستنكف]:الاستنكاف الأنفه من الشىء و أصله من نكفت الدمع إذا نحيته بأصبعك من خدك.

لا تغلوا فی دینکم

هدی من الآیات:

تکمیلاـ للحـدیث عن ضـروره الوحی،و توضـیحا لمواصـفات الطبقه المؤمنه، حتی لا تختلط بالطبقات المتظاهره بالایمان،جاءت هـذه الآـیه لتتحـدث عن زیف فکره انصاف الآلهه التی ابتـدعت فی مـذاهب النصاری،فزعموا:ان نبیهم عیسـی بن مریم کان ابنا للّه.کلاـعیسـی و جمیع الأنبیـاء انمـا هم بشـر،و صـفتهم الممیزه التی جعلهم اللّه بهـا أنبیـاء،و اختـارهم للوحی تلک الصـفه هی عبودیتهم التامه للّه و خضوعهم الکامل له.

و نهت الآـیه الأـولی عن الغلو فی الـدین،و الاـفتراء علی اللّه غیر الحق بـأن عیسـی ثـالث ثلاثه،یشـکلون بالمجموع قیاده موحـده لاـداره الکون،بینمـا المسـیح(کمـا تقول الآـیه الثـانیه)لا یتکبر عن عبودیه اللّه،و لا یری نفسه أکبر من هـذه العبودیه، و هـذا سـر عظمته،أما المتکبرون عن عباده اللّه فان جزاءهم عذاب ألیم.

بهذا نقّت الآیات فکره الرساله عما لصق بها من رواسب الشرک

الجاهليه،و جعلها مقبوله للعقل البشری.

و الواقع ان کثیرا من الـذین ینکرون الحقائق الدینیه انما ینکرون ما لصق بها من خرافات و أوهام،و لو صـفّیت الحقائق عن تلک الخرافات و الأوهام،فان أکثرهم سیعود الی الرشد،و یؤمن بالحقائق.

لذلک تعتبر تصفیه فکره الرساله من رواسب الشرک بمثابه دلیل علی صدق الرساله لأنه یفتح الطریق أمام الایمان بها.

بینات من الآیات:

الغلو:

[۱۷۱]الغلو فی الـدین بمثابه الإنکار للدین.ذلک لان إضـرار الغلو لا تقل عن إضـرار الجحود أو الانتقاص من الدین،و قد یکون الغلو فی الـدین سـببا لکفر کثیر من النـاس الآ ـخرین الـذین ترفض فطرتهم النقیه شوائب الغلو،فینکرون مـا ارتبـط بهـا من حقائق الدین أیضا.

و قد کان غلو النصاری فی عیسـی سـببا لهروب المثقفین منهم و إنکارهم الرساله رأسا لأنهم وجدوا بفطرتهم الصافیه ان الایمان بألوهیه بشر مثلهم سخافه،فآثروا الکفر بالدین رأسا،و لم یجهدوا أنفسهم بالفصل بین الخرافه و الحقیقه فی الدین.

لذلک تجد القرآن الحکیم یعامل المغالین فی الدین بذات العنف و القسوه التی یعامل بها الکفار و الجاحدین.

یا أَهْلَ الْکِتابِ لا تَغْلُوا فِی دِینِکُمْ وَ لا تَقُولُوا عَلَی اللّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِیحُ عِیسَی ابْنُ

مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ و ليس إلها فى مستوى اللّه سبحانه،و ليست ولادته الخارقه الا دليلا على قدره اللّه و عظمته،و ليس فيها اى دلاله على ألوهيه عيسى.

وَ كَلِمَتُهُ أَلْقاها إِلى مَرْيَمَ وَ رُوحٌ مِنْهُ و كلمه اللّه يعنى مشيئته التى تتجسد فى كلمه«كن»التى تتحقق بها الأشياء،كذلك خلق اللّه السموات و الأرض.و كذلك خلق اللّه عيسى.قال اللّه:كن،فكان فى رحم أمه مريم،و لذلك عبر اللّه عن ذلك ب(ألقاها الى مريم)أى تلك الكلمه التى أنزلها اللّه على مريم،فكوّن بها عيسى عليه السلام.

ذلك لان جبرئيل هو الذى نفخ فى جيب مريم متمثلا فى رجل سوى، و بذلك النفخ خلق اللّه عيسى.

اما الروح فانها حسبما-يبدو لى-روح القدس الذى أيد اللّه به عيسى، فعلم الغيب و أحيا الموتى و عمل المعجزات.

و بذلك لم تكن معجزات عيسى دليلا على انه اله من دون اللّه،بل انه مزوّد بروح من اللّه.

فَآمِنُوا بِاللّهِ وَ رُسُلِهِ سواء كان خلقهم بغير أب أم لا...و سواء أحيوا الموتى أم لا...إذ أن المهم ان يكون الشخص رسولا من قبل اللّه،و ليس المهم سائر الميزات المتوافره عند هذا أو ذاك.

وَ لا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انْتَهُوا خَيْراً لَكُمْ إِنَّمَا اللّهُ إِلهٌ واحِدٌ سُبْحانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ

لَهُ مٰا فِي السَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِي الْأَرْضِ وَ كَفىٰ بِاللّٰهِ وَكِيلاً و هل من المعقول:ان يتخذ رب السموات و الأرض واحدا من البشر بمثابه ابن له..و ما قيمه معجزات عيسى بالنسبه الى قدره اللّه الهائله المتمثله فى ملكوت السموات و الأرض.

و هل يتناسب ان يكون عيسى البشر المحدود الضعيف ابنا لذلك الرب العظيم..القادر.

و بدلا من ان يتخذ الواحد منا عيسى إلها،أ فلا يكون من الأفضل أن يتخذ اللّه إلهه؟!.أ فليس اللّه يغنيه عن عيسى و غير عيسى من البشر،أ فلا يكفيه وليا و نصيرا و قائدا؟!

العباده للّه هى الامتياز:

[۱۷۲]أبسط دليل على ان عيسى لم يكن سوى بشر عبادته للّه و طاعته لمناهجه،تلك العباده و الطاعه التى أتقنها و أكملها المسيح،كما أتقنها سائر الرسل.مما دل على أنهم-كما نحن-عباد اللّه علينا جميعا ان نطيعه.

لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْداً لِلّٰهِ اى لا يرى ذلك غير مناسب لشخصيته،أو غير لائق لعظمته كرسول.

وَ لاَ الْمَلاٰئِكَهُ الْمُقَرَّبُونَ أولئك الذين تصور بعضهم انهم يشاركون اللّه فى الالوهيه سبحانه،هم بدورهم لا يرون العباده غير لائقه بهم..كلا بل هى من صميم وجودهم الناقص

الضعيف.

وَ مَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَ يَسْتَكْبِرْ أي من يرى نفسه أعلى من العباده تكبرا و كذبا،فلا بد أن يعرف انه ليس سوى بشر ضعيف،و آيه ضعفه انه سوف يحشر الى اللّه بكل خضوع.

فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعاً [١٧٣]و هناك ينقسم الناس فريقين:

فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَ يَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَ أَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا و دفعهم استنكافهم الى الكفر.

وَ اسْتَكْبَرُوا و دفعهم استكبارهم الى ترك الأعمال الصالحه.

فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَ لاَ يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَ لاَ نَصِيراً فلا ينفعهم أولئك الذين اتخذوهم انصاف الهه ليخلصوهم من عذاب اللّه.

ص:٢٦٧

[سوره النساء (۴): الآيات ۱۷۴ الی ۱۷۶]

اشاره

يَا أَيُّهَا اَلنَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً (۱۷۴) فَأَمَّا اَلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ اِعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَ فَضْلٍ وَ يَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً (۱۷۵) يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اَللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي اَلْكَلاَلَةِ إِنِ اِمْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَ لَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَ هُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اِثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا اَلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَ إِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالاً وَ نِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ اَلْأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اَللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَ اَللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (۱۷۶)

اللغه

۱۷۴[برهان]:البرهان الشاهد بالحق و قيل البرهان البيان يقال برهن قوله أی بين حجته.

ص:۲۶۸

حکم الإرث

هدی من الآیات:

بعد ان ساق القرآن الحجه بعد الحجه علی صدق الرسالات السماویه-عموما-اختص الحدیث عن رساله النبی محمد صلی الله علیه و آله و بین انها تحتوی علی ذات المواصفات الموجوده فی أیه رساله سماویه.

فهی برهان من اللّه یشهد علیه اللّه سبحانه بما فیها من قیم صادقه،و هی نور مبین ینیر للإنسان کافه جوانب حیاته،و هی خیر لمن اتبعها و اعتصم بها.سعاده و رفاه و هدی.

و ختم القرآن سوره النساء بما بدأ السوره من بیان حکم اجتماعی یتجلی فیه حکم الإسلام العادل الذی یعطی کل ذی حق حقه.

بینات من الآیات:

القرآن نور و هدی:

[۱۷۴]القرآن برهان من اللّه،و بذلک یکون هدی لحیاتنا فیه کل الجوانب

ص:۲۶۹

العامه من قيم الخير،و هو نور من اللّه،و بذلک يکون توضيحا لتفاصيل خطوط الحياه.

يَا أَيُّهَا النّاسُ قَدْ جاءَكُمْ بُرْهانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ أَنْزَلْنا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً .

[۱۷۵]و لأن القرآن برهان من اللّه فهو يربط البشر بربه و على البشر ان يستجيب لهذا الربط بالايمان،و لأنه من جهه اخرى-نور-فعلى البشر ان يستضىء به، و يتبعه و يعتصم و يتمسک بحبله.

فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللّهِ حيث جاءهم برهان من اللّه.

وَ اعْتَصَمُوا بِهِ حيث جاءهم نور من اللّه.

فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَهٍ مِنْهُ متمثله فى حياه سعيده تتوافر فيها حاجات الجسد و الروح و الفرد و المجتمع و بكل طبقاته و عناصره.

وَ فَضْلٍ متجسد فى الرفاه المادى،و التطلع الروحى.ذلک ان السعاده هى الدرجه الاولى من الخير،و قد يكون الفرد سعيدا و لكنه لا يكون ذا رفاه عظيم،بيد ان الفضل هو الدرجه العليا فى سلم الخير،و هو الذى يوفره الايمان و اتباع الإسلام.

وَ يَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِراطاً مُسْتَقِيماً

فیکون تحقیق الخیر و الفضل فی الـدنیا مقدمه لسـعاده و رفاه أکبر فی الآخره، کما یکون تحقیق هذه جمیعا بأقل قدر ممکن من الجهد لأنه یتبع صراطا مستقیما و هو أقرب الطرق الی الهدف.

کیف ترث الطبقه الثانیه:

[۱۷۶]و کمثـل علی ذلـک منتزع من حکـم الإسـلام فی القضایا الاجتماعیه التی ابتـدأت سوره النساء بها،و تختتم بها أیضا،کمثل علی ذلـک یبیّن القرآن حکم الإرث الـذی هو من جهه رابط اجتماعی بین أجنحه الاسـره الواحـده،و من جهه ثانیه:طریق سـلیم لتوزیع الثروه و محـاربه تکریسـها،و من جهه ثالثه:احترام لحقوق الفرد(المیت)الـذی بـذل جهودا کبیره للحصول علی المال،فمن حقه ان یقسم هذا المال بعد موته علی أقرب الناس الیه،و ذلک بعد أداء دیونه و تنفیذ وصایاه.

فی الإرث طبقات ثلاث متـدرجه لا ترث الطبقه الثانیه فیها الاّ بعد ان ینعدم أی شـخص فی الطبقه الاولی،و الطبقه الثالثه لا ترث شیئا الا فی حاله عدم وجود أحد من أبناء الطبقه الثانیه و الاولی.

و الأـخوات هن فی الطبقه الثـانیه(بعـد الأبوین و الأولاد)و فی حاله وجود أخت واحـده للمیت ترث نصف الترکه،و إذا کانت له اختان فإنهما تتقاسـمان ثلثی المال،أما إذا کانوا أکثر من ذلک،بل مختلطین،أی کان للمیت اخوه و أخوات فهم یتقاسمون المال علی أساس نصیبین للذکر و نصیب للأنثی.

کل ذلک فی حاله عدم وجود أحد من أبناء الطبقه الاولی،أی الوالدین و الأولاد.

ص:۲۷۱

يَسْتَفْتُونَکَ أی یسألونک أن تصدر فتوی فی قضیه الکلاله.

قُلِ اللّٰهُ یُفْتِیکُمْ فِی الْکَلاٰلَهِ أی الاخوه و الأخوات.

إِنِ امْرُؤٌ هَلَکَ لَیْسَ لَهُ وَلَدٌ و لا والد،و انما أغفل القرآن ذکر الوالد لان الأغلب عدم وجود الوالد مع هلاک الشخص.

وَ لَهُ أُخْتٌ فَلَهٰا نِصْفُ مٰا تَرَکَ أما إذا ماتت هی و ترکت أخا أو مات رجل و ترک أخا لا غیر،فهو یرثها أو یرثه بالکامل.

وَ هُوَ یَرِثُهٰا إِنْ لَمْ یَکُنْ لَهٰا وَلَدٌ أما إذا مات الرجل،و خلف أختین فهما تتقاسمان ثلثی المال لکل واحده الثلث.

فَإِنْ کٰانَتَا اثْنَتَیْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثٰانِ مِمّٰا تَرَکَ وَ إِنْ کٰانُوا إِخْوَهً رِجٰالاً وَ نِسٰاءً فهم یرثون المال علی أساس نصیب واحد للأنثی،و نصیبین للذکر.

فَلِلذَّکَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَیَیْنِ یُبَیِّنُ اللّٰهُ لَکُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَ اللّٰهُ بِکُلِّ شَیْءٍ عَلِیمٌ أی انما یبین اللّٰه احکامه لکم لکی لا تضلوا و لکی لا تبخسوا حقوق أحد

ص:۲۷۲

لحساب الآخرين،و اللّه يعلم ما يناسب الصلات الرابطه بين أبناء المجتمع، و أبسط الحقوق،فيضع لها احكاما مناسبه.هل هناك من يعلمها الاّ اللّه،حاشا للّه..

ص:٢٧٣

سوره المائده

اشاره

ص:۲۷۵

بسم اللّه الرحمن الرحيم الحمد للّه رب العالمين و صلى اللّه على محمد و آله الهداه الميامين.

فضل السوره

عن عيسى بن عبد اللّه،عن أبيه،عن جده،عن على عليه السلام قال:

«كان القرآن ينسخ بعضه بعضا،و إنما كان يؤخذ من أمر رسول اللّه صلى الله عليه و آله بآخره،فكان من آخر ما نزل عليه سوره المائده،نسخت ما قبلها،و لم ينسخها شىء، فلقد نزلت عليه و هو على بغلته الشهباء،و ثقل عليه الوحى حتى وقعت و تدلّى بطنها حتى رأيت سرتها تكاد تمس الأرض،و أغمى على رسول اللّه صلى الله عليه و آله حتى وضع يده على ذؤابه شيبه وهب الجمحى،ثم رفع ذلك عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله فقرأ علينا سوره المائده،فعمل رسول اللّه صلى الله عليه و آله و علمناه»

الإطار العام

استوحی اسم السوره من قصه ذکرت فی اخرها و العبره فیها:أنّ الرفاه الاقتصادی نعمه تهبط علی البشر من السماء بقدر التزامهم بمناهج اللّه و أحکامه.

و تتناسب هذه العبره مع الإطار العام لأحادیث السوره،التی تدور فی محور التنظیم الاجتماعی و بصوره تکاد تکون قریبه الی اطار سوره النساء اللهم الا فی نقطه واحده.ان هذه السوره تعنی فی الأغلب بالروابط الاجتماعیه العامه،بینما کانت سوره النساء ترکز علی العلاقات الأسریه و الحقوق المتبادله فیها، و بالذات قضایا الإرث،و ما أشبه.

تبتدء السوره بضروره الوفاء بالعقود،باعتبارها الرابطه الاعتباریه الأساسیه التی تبنی حضاره الإنسان،و لکن القرآن یحدد العقود فی حدود احکام لا یجوز أن تتجاوز.

ص:۲۷۹

من ابرز هذه الأحكام ما بيّنه القران،فى الأطعمه التى هى أول واهم ما تتناوله عقود البشر،لأنها مرتبطه بأشد الحاجات ضروره لهم.

و بعد بيان طائفه من أحكام الأطعمه التى فيما بينها حكم الصيد،و حكم حريه التجاره-خصوصا فى الأشهر الحرم-و التعاون على البر و التقوى و ما أشبه، مما يتصل من قريب بقضيه الطعام(الآيات ۴/۱).

بعدئذ يتحدث عن طعام الذين أوتوا الكتاب حيث يحله القرآن للمسلمين، و يشجع بذلك التجاره بين أهل الكتاب و بين المسلمين فى الاطعمه(الايه۵/).

ثم يبين القرآن بعض احكام الطهاره فى الإسلام،المتصل بالعلاقات الاجتماعيه(حيث ان التطهر يحبب الناس بعضهم الى بعض،و هو حق من حقوق المجتمع على الفرد)(الآيه۶/).

و يحدثنا القران(بعدئذ)عن ضروره الوفاء بالمواثيق باعتبارها ركنا اساسيا للعلاقات الاجتماعيه،و إذا كانت العقود وسيله للتبادل التجارى،فإن المواثيق وسيله للتعاون السياسى الاجتماعى،الا ان المواثيق يجب ان تهدف تحقيق العدل فى الحياه(الآيات ۱۱/۷).

كما تحددت العقود بالاحكام الشرعيه و بالتعاون على البر.

و الميثاق السياسى للدوله الاسلاميه هو أهم ما يجب على الأمه احترامه، و يسوق القرآن قصصا تاريخيه من واقع بنى إسرائيل ليجسد لنا مدى ضروره الالتزام بالمواثيق و كيف أن نقضها يورث الدمار و اللعنه(الآيات ۱۴/۱۲).

ثم يحدثنا عن ضروره تطبيق شريعه السماء فى المجتمع.انها نور و هدى،سواء

نزلت على موسى فى التوراه،أو على عيسى فى الإنجيل،أو على محمد فى الكتاب المهيمن على التوراه و الإنجيل.

و يسوق القرآن الكريم من تاريخ بنى إسرائيل كيف ان مخالفتهم لأوامر السماء جعلتهم يتيهون فى الأرض أربعين سنه،ثم يبين حكم القتل بعد بيان قصه ابنى آدم حيث وقعت أول جريمه قتل(الآيات ۳۲/۱۵).

و من القتل ينتقل القرآن الى حكم الفساد فى الأرض(قطاع الطرق)و منه الى جريمه السرقه،و منها الى جريمه التجسس مما يرتبط جميعا بقضيه الأمن الاجتماعى.(الآيات ۴۲/۳۳).

و يبّين ضروره الالتزام برسالات السماء انى كانت و أن من يخالفها كافر أو ظالم أو فاسق حسب طبيعه المخالفه،و يسوق أمثالا لهذه المخالفات الثلاث..

(الآيات ۴۷/۴۳).

بيد انه ليس من الضرورى لاقامه الدوله الاسلاميه أتباعهم لان القياده و الهيمنه تكون للإسلام،حيث لا يجوز للقائد اتباع أهوائهم لأنها جاهليه(الآيات ۵۰/۴۸).

و الولاء السياسى داخل المجتمع المسلم يجب ان يكون خالصا للقياده الاسلاميه(الآيات ۵۳/۵۱).

و بعد ان بيّن القرآن طبيعه الولاء السياسى داخل المجتمع المسلم،و الذى سماه بحزب اللّه(الآيات ۵۶/۵۴)عاد و حذر من ازدواجيه الولاء،و بيّن بعضا من مساوئ أهل الكتاب،و من أبرزها حقدهم على المسلمين،و مسارعتهم فى الإثم و العدوان،و قولهم يد اللّه مغلوله و فسادهم فى الأرض

(الآيات ۶۴/۵۷).

و ماذا يستفيد الناس من تطبيق شريعه اللّه؟يجيب القرآن:بأنهم سوف يأكلون من فوقهم و من تحت أرجلهم إذا طبقوا كتب اللّه،هذا فی الدنيا،اما فی الاخره:فسوف يرزقهم اللّه جنه النعيم(الآيات ۶۶/۶۵).

و علی الرسول ان يبلغ رساله اللّه فی كل الشؤون(و من أبرزها قضيه القياده الاسلاميه)و لا يخشی أحدا(الآيه ۶۷).

ذلك أن رساله اللّه هی خير للناس و ان الأمه لا تساوی شيئا لو لم تطبق هذه الرساله بالكامل و من دون زياده فيها(الآيه ۶۸).

و ان قيمه الايمان و العمل الصالح هی القيمه الاساسيه التی يقاس بها الأشخاص فی المجتمع الاسلامی علی اختلاف انتماءاتهم(الآيه ۶۹).

و لكن حرّف أهل الكتاب دينهم،و اتبعوا أهواءهم حتی انه لو جاءهم نبی يخالف أهواءهم كذبوه أو قتلوه،و زعموا انهم بقتله ضمنوا لأنفسهم حياه هانئه، و لكن كانت النتيجه بالعكس من ذلك تماما(الآيه ۷۱).

اما النصاری فقد اتخذوا المسيح إلها بينما كان المسيح يدعو الی اللّه،و ينهی عن الشرك به و منهم من قال:ان هناك آلهه ثلاث،المسيح واحد منهم،و هؤلاء كفار سوف ينالون جزاءهم إذا لم يستغفروا ربهم.

إذا،لم يكن المسيح سوی رسول مثل سائر رسل اللّه،و أن امه صديقه،و ان ای شخص يعبد من دون اللّه لا يملك ضرا و لا نفعا فهو الأخر عبد للّه،و إنما تسربت فكره تعدد الألهه الی الرسالات السماويه من أفكار الجاهليه،و قد

حاربها کل أنبیاء اللّه و من بینهم-المسیح بذاته(الآیه ۷۸).

و هؤلاء الذین أدخلوا هذه الأفکار الکافره فی الرسالات هم کفار و بعیدون عن روح الرساله،و ابسط دلیل علی ذلک انهم لا یتناهون عن المنکرات،و ان کثیرا منهم یتخذون الکفار قادتهم و أولیاءهم،و هذه صفه الکفر،إذ لو کانوا یؤمنون باللّه حقا،لما اتخذوا الکفار أولیاء،بید ان بعضا من علماء النصاری لا یزالون متمسکین برساله اللّه،و ان لهم جزاء حسنا.و بهذا السرد أراد القرآن فصل قیاده المجتمع الاسلامی عن الیهود و النصاری،ثم عاد یتحدث عن:تنظیم الحیاه الاجتماعیه و ضروره الانتفاع بالطیبات فی اطار مراعاه حقوق الناس.

و من الحقوق مراعاه الیمین الذی ینظم جانبا من حیاه المجتمع.

و المجتمع الاسلامی متماسک لأنه بعید عن الطیش(هو سبب من أسباب النزاعات الجاهلیه)فلا خمر و لا میسر و لا أنصاب،و لا أزلام داخله.

و لا یعنی ذلک ان کل لذه حرام فی هذا المجتمع.کلاّ إذ أن کل شیء حلال فی حدود القانون الذی تحصنه التقوی و الإحسان(الایه ۹۲).

فمثلا:کل الطعام حلال إلا بعض الصید،الذی جاءت حرمته امتحانا و تربیه للناس و ذلک هو الصید وقت الإحرام،و یختص ذلک بصید البر اما صید البحر فهو حلال حتی فی وقت الإحرام و تکمیلا للصوره..تحدث القرآن قلیلا عن الکعبه،و انها تخدم النظام الاجتماعی.فلو حرّم اللّه الصید خلال رحله الحج فلأن ذلک سوف ینتهی الی تنظیم الحیاه الاجتماعیه الآیه:(۹۷).

و بعد ان تحدث القرآن عن ضروره الالتزام بتعالیم السماء،بینّ سخافه

بعض ما ألصق بالدين من خرافات و أساطير.

و بالتالى بيّن:ان الزياده فى الـدين هى بمثابه النقيصه فيه.لا تصـلح الحياه به (الآيه ١٠٣)و انها جاءت نتيجه التقاليـد الجاهليه،و ان على الامه أن تتحصن ضد هذه التقاليد و لا تأبه بها(الآيه ١٠٥).

و تنظيمـا للحيـاه الاجتمـاعيه يأتى دور الشـهاده حيث انها تحصن المجتمع من الاسـتهتار بالحقوق،و يبين اللّه احكام الشـهاده هنا بايجاز ضمن مثل حى (الآيه ١٠٨).

ثم يعود الى الحـديث عن الرسل و دورهم الـذى لا يتعـدى البلاغ،و انهم حتى لو فعلوا المعجزات فانما بإذن اللّه،و بما أتاهم من قـوه و علـم، و ان الرفـاه الاجتمـاعى الـذى يعقـب الرسالات السـماويه،انمـا هـو مـن اللّه كمـا انزل اللّه مائـده مـن السـماء على الحواريين،فـان نزول المائـده لا يـدل على ان عيسـى كان إلها و لـذلك فهو يسأل يوم القيامه عن مقاله الناس فيه و لكنه ينتصـل فورا عن فعله اتباعه لان الملك للّه وحده(الآيه ١٢٠).

ص:٢٨۴

[سوره المائده (۵): الآیات ۱ الی ۳]

اشاره

بِسْمِ اَللّهِ اَلرَّحْمنِ اَلرَّحِيمِ . يا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ اَلْأَنْعامِ إِلاّ ما يُتْلى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي اَلصَّيْدِ وَ أَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اَللّهَ يَحْكُمُ ما يُرِيدُ (١) يا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا لا تُحِلُّوا شَعائِرَ اَللّهِ وَ لاَ اَلشَّهْرَ اَلْحَرامَ وَ لاَ اَلْهَدْيَ وَ لاَ اَلْقَلائِدَ وَ لاَ آمِّينَ اَلْبَيْتَ اَلْحَرامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ رَبِّهِمْ وَ رِضْواناً وَ إِذا حَلَلْتُمْ فَاصْطادُوا وَ لا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ اَلْمَسْجِدِ اَلْحَرامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَ تَعاوَنُوا عَلَى اَلْبِرِّ وَ اَلتَّقْوى وَ لا تَعاوَنُوا عَلَى اَلْإِثْمِ وَ اَلْعُدْوانِ وَ اِتَّقُوا اَللّهَ إِنَّ اَللّهَ شَدِيدُ اَلْعِقابِ (٢) حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ اَلْمَيْتَةُ وَ اَلدَّمُ وَ لَحْمُ اَلْخِنْزِيرِ وَ ما أُهِلَّ لِغَيْرِ اَللّهِ بِهِ وَ اَلْمُنْخَنِقَةُ وَ اَلْمَوْقُوذَةُ وَ اَلْمُتَرَدِّيَةُ وَ اَلنَّطِيحَةُ وَ ما أَكَلَ اَلسَّبُعُ إِلاّ ما ذَكَّيْتُمْ وَ ما ذُبِحَ عَلَى اَلنُّصُبِ وَ أَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلامِ ذلِكُمْ فِسْقٌ اَلْيَوْمَ يَئِسَ اَلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَ اِخْشَوْنِ اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمُ اَلْإِسْلامَ دِيناً فَمَنِ اُضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اَللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣)

اللغه

۱[بالعقود]:عقود جمع عقد و هو کل التزام و میثاق بین جانبین.

[بهیمه]:البهیمه من الإبهام،و یراد بها کل دابه،و سمیت بهیمه لأنها أبهمت.

۲[شعائر]:الشعائر جمیع شعیره،و هی أعلام الحج و اعماله و اشتقاقها من قولهم:

شعر فلان بهذا الأمر إذا علم به.

[القلائد]:جمع قلاده و هی ما یقلد به الهدی،و التقلید فی البدن أن یعلّق فی عنقها شیء لیعلم أنها هدی.

[شنأن]:بغضاء و عداوه.

٣[أهل]:ای ما ذکر علیه غیر اسم اللّه،و هو ما کان یذبح لأجل الأصنام.

[تستقسموا]:الاستقسام طلب القسمه.

[الأزلام]:جمع زلم و هو القدح ای السهام التی کانوا یجیلونها للقمار [مخمصه]:شده ضمور البطن.

[متجانف]:المتمایل للاثم،المنحرف الیه.

ص:۲۸۶

هدى من الآيات:

لتأمين الحد الأدنى من الحضاره تحتاج البشريه الى تبادل موارد الرزق، فيعطى كل إنسان الفائض من غذائه للآخر بدلا من اخذه الفائض من غذاء الآخرين.

و قد بدأ القرآن سوره المائده التى خصصت لتنظيم الحياه الاجتماعيه العامه بتقرير مبدأ الوفاء بالعقود حيث انها تنظم علاقات الأفراد الضروريه لتعاونهم فى التجاره.

و قد تعيش مجموعه من الناس بغير مناهج-اقتصاديه،اجتماعيه،سياسيه، خلقيه-،و لكنهم كمجموعه يكاد لا يجتمعون بدون تبادل تجارى.

و لكن مبدأ الوفاء بالعقود يجب ان يكون فى اطار النظام الاقتصادى العام للإسلام.

ص:۲۸۷

لذلك تحدث القرآن عن المباحات و المحرمات فور حديثه عن العقود و قال ان بهيمه الانعام حلال و الصيد فى الإحرام حرام،كما يحرم شعائر اللّه و الشهر الحرام،و الهدى و القلائد،و يحرم إيذاء من يقصد البيت الحرام لغرض التجاره أو الحج،و كذلك الاعتداء على الآخرين حتى و لو كانوا هم البادئين.

ثم يبين بالمناسبه ضروره التعاون لتحقيق الخير للمجتمع و لتطبيق نظام اللّه الذى فيه السعاده.

و عاد الى الحديث عن بعض المحرمات مثل الميته و الدم و لحم الخنزير،و بين ان من الضرورى تجنب العادات الجاهليه دون خوف،لان الدين كامل لا نقص فيه،و فى حاله الضروره يجوز الانتفاع بالمحرمات،و لكن بقدر الضروره و من دون الانحراف الى المحرم و لو نفسيا.

بينات من الآيات:

الوفاء بالعقود:

[۱]يجب الوفاء بالعقد أى تطبيقه تطبيقا تاما،حسب ما تراضى عليه و تعاهدا به الطرفان و العقد:هو العهد و الميثاق أو هو الالتزام المتبادل حيث يلتزم كل طرف بشىء فى مقابل التزام الطرف الثانى بما يقابله.

و مبدأ وجوب الوفاء بالعقد وجوبا شرعيا،لأنه يلزم صاحبه حقا من حقوق المجتمع.ان هذا المبدأ يجعل كل عقد مشروعا سواء كان تجاريا أو غيره،و سواء كان عقدا معروفا بين الناس فى عهد الإسلام الاول أم لا،كما يجعل هذا المبدأ التشريع الاسلامى يواكب تطورات الزمن.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ و لعلنا لا نجد فى كتب القانون و الفقه كلمه موجزه كهذه الكلمه تفيض بعشرات الأحكام و القوانين العامه،و ربما جاء التعبير ب«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ».

للايحاء بأن الوفاء بالعقود يدخل ضمن ركائز المجتمع المؤمن،و كأنه يقول:

ايها المجتمع المؤمن عليك الوفاء بالعقود.

و مبدأ الوفاء بالعقود يوحى بحريه التجاره الا ان بقيه الايه تحدد هذه الحريه باطار التشريع الاسلامى العام الذى يحل أشياء،و يحرم اخرى.

أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ أى الانعام التى لا تفهم شيئا،هى حلال عموما إلا بعض المستثنيات.

إِلاّ مَا يُتْلىٰ عَلَيْكُمْ و من هذه الاستثناءات:

غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَ أَنْتُمْ حُرُمٌ اى الاصطياد فى حاله الإحرام،اما الصيد فى غيرها فهو جائز و يوجب الملكيه.

إِنَّ اللّهَ يَحْكُمُ مٰا يُرِيدُ و علينا الا نتصور أننا أحرار فى شؤوننا نختار النظم التى تعجبنا..كلا.

فالحاكم هو الله وحده.

ص:٢٨٩

إذا هناك حريه و انطلاق فی الإسلام فی حريه التعامل التجاری و حيازه المباحات،و لكن فی حدود الاراده العليا لخالق الكون،و المصلحه العليا للانسانيه و فی الآيات تفصيل مبين لهذه القضايا.

أنواع الأحكام:

[۲]ما هو الحكم الذی يفرضه الله حسبما يريد؟ يضرب الله لنا مثلا واقعيا لهذا الحكم فيقول:ان احكام الله الاجتماعيه نوعان:

الف/هناك احكام تحافظ علی أمن الناس،و تصون حريتهم،و تعطی لكل إنسان فرصه للانطلاق و ذلك مثل اقامه أماكن حره تنحسر عنها الاعتداءات بای مبرر كان فلقد جعل الله-الكعبه البيت الحرام-و فرض فيه السلام و الأمن، و اعطی الحرمه و الحصانه لكل من دخله لكی يستطيع القادمون من تبادل التجاره و تداول الأفكار و التعارف علی بعضهم،و بالتالی التعاون فی سبيل الخير.

ان الهدف من هذا النوع من الأحكام هو حفظ الناس من شرور بعضهم و فسح المجال أمام كل الطاقات ان يساهم فی بناء المجتمع.

باء/و هناك نوع من الأحكام تنظم علاقه الإنسان بالطبيعه و الهدف منها صيانه البشر من أضرار الطبيعه،و ذلك مثل حرمه الميته و الدم و لحم الخنزير و ما أشبه.

و عن النوع الاول يحدثنا الله سبحانه قائلا:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللّهِ اى لا تجعلوا الشعيره التى جعلها الله حراما،إحلالا و الشعيره هى البهائم التى تساق الى بيت الله يحرم الاعتداء عليها بالسرقه أو النهب،أو انها الحج نفسه و فيما يلى توضيح ذلك وَ لاَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَ لاَ الْهَدْىَ وَ لاَ الْقَلاَئِدَ اى لا يعتدى بعضكم على بعض فى الشهر الحرام،و لا يسرق أو ينهب أحدكم الهدى الذى اختص بالكعبه،و لا تأكلوا البهائم التى تقلد برقابها قلاده للدلاله على انها تساق الى بيت الله.

غرض كل هذه الأحكام هو تبيين حرمه الكعبه على الناس،و هى مقدمه لفرض جو من السلام على ربوع تلك البلاد المقدسه،و على الطرق المؤديه إليها من كل أفق بعيد،لذلك قال الله بعدئذ:

وَ لاَ آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ اى الذين يقصدون زياره البيت الحرام،فلا تعتدوا عليهم و لا تحلوا حرمتهم ذلك لأنهم يهدفون رزق الله و رضاه.

يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ رَبِّهِمْ وَ رِضْوَاناً اى انهم لا يريدون سلب أموال الناس و لا الاعتداء على حقوقهم،بل يريدون الحصول على رحمه الله المتمثله فى حيازه المباحات،أو التبادل التجارى، كما أنهم لا يهدفون الخروج على الانظمه الاسلاميه بالحصول على مكاسب غير مشروعه بل يبتغون رضوانا من اللّه،من هنا نعرف ان الذين يقصدون من وراء

الحج أكل أموال الناس بالباطل أو مخالفه احكام الله فإنهم لا حرمه لهم.

ان الطبيعه واسعه و بإمكان الجميع ان ينتفعوا بها دون مزاحمه الآخرين،و إذا استل من قلوب الناس الأحقاد و روح الاعتداء،استطاع الجميع الاستفاده من نعم اللّه.بيد ان هذه الأحقاد تأتى عاده بسبب رده الفعل،فكل طرف يتصور انه ليس هو المبتدء بالاعتداء و انما يقتصّ ممن أعتدوا عليه باعتداء مماثل و هذا هو الذى يقف حاجزا امام تعاون الجميع.

و على الجميع ألاّ يدفعهم الاعتداء على مضاعفه الرد(الصاع بصاعين)،و لا ان يخرجهم من حدود العداله، و انئذ فقط يمكن للجميع أن يتعاونوا.

وَ إِذٰا حَلَلْتُمْ فَاصْطٰادُوا ان اللّه جاء بهذا التمهيد لتوجيه الإنسان الى نعم اللّه الواسعه،و إبعادهم عن النظر إلى أموال بعضهم و لذلك لم يلبث ان قال:

وَ لاٰ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرٰامِ أَنْ تَعْتَدُوا اى لا يحتم عليكم اعتداء الآخرين عليكم مقابلتهم بالمثل،و ذلك بأن تعتدوا عليهم قصاصا على أنهم منعوكم عن المسجد الحرام ردحا من الزمن.كلا ...ان شنآن هؤلاء و عداوتهم لكم يجب الا تخرجكم عن اطار العدل بل العكس من ذلك.عليكم ان تهدفوا تحقيق التعاون.

التكتّل الايمانى:

وَ تَعٰاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَ التَّقْوىٰ وَ لاٰ تَعٰاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَ الْعُدْوٰانِ

هنالـک تکتلات عـدوانیه الهـدف منها ظلم الناس و اسـتغلالهم مثل تکتل التجار المحتکرین ضـد المسـتهلکین،و تعاون الانظمه الجائره ضد الشعوب المستضعفه،و هذه لعنه سوداء..

و هناک تکتلات تهـدف إشاعه الخیر،و تطبیق النظام.أما إشاعه الخیر-فهی البر-و لیس البر أن تسـعد علی حساب غیرک،بل أن تسعد و یسعد الجمیع معک.

و أمـا النظـام و تطبیقه فهو التقوی إذ هو الحـذر من اللّه،و اتقاء بلائه،و هو لا یکون إلا بتطبیق نظامه الـذی أوحی به إلی رسـله،و مراعـاه سـننه الـتی أرکزهـا فی الطـبیعه،و بتعـبیر أخر یجب أن یکون الهـدف من التعـاون اشـاعه الخیر و مقـاومه الشـر أنی کـان مصدرهما.

و یضع القرآن فی مقابـل البر الإـثم،و فی مقابل التقوی العـدوان فالإثم هو الحصول علی أموال الناس بالخـدیعه(الغش-السـرقه-الاحـتکار-التعاون مع السلطات الجائزه-الحلف الکاذب).

بینما العدوان:هو الاستیلاء علی حقوق الناس بالقوه،و بلا أی غطاء.

وَ اتَّقُوا اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِیدُ الْعِقابِ و من أنواع عقابه الشدید أن یضـرب بعضکم،بعضا،و یشعل بعضکم نار حرب بعض علی بعض فیحترق الجمیع.

أو إنکـم بتحالفـاتکم العـدوانیه یخشـی بعضـکم بعضـا،فیتـوجه الجمیـع الی صـناعه السـلاح و یضـع المیزانیـات الرهیبـه لغرض التدمیر،فتمتص میزانیات التسلح ثرواتکم و تحرق جذور السعاده و الرفاه،فتصبحون علی ما فعلتم نادمین.

ص:۲۹۳

أو ليس هـذا بعض ما يعيش فيه العالم؟! أ فلا يرجعون الى هدى اللّه؟!و الى متى؟! [۳]لكى يسعد المجتمع لا بد ان تنظم علاقاته ببعضه على أساس ثابت من العدل و التعاون،كما لا بد أن تنظم علاقته بالطبيعه بحيث لا تضره شرورها.

و قـد بين القرآن فى هـذه الايه جانبا من تنظيم علاقه الإنسان بالطبيعه،و بالـذات جانبا من العادات المحرمه التى كانت شائعه فى المجتمع الجاهلى انئذ فقال:

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَ الدَّمُ وَ لَحْمُ الْخِنْزِيرِ لأنها كلها تضر بصحه الإنسان.

وَ مَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّٰهِ بِهِ اى كل ذبيحه ذبحت على غير اسم اللّه.

وَ الْمُنْخَنِقَةُ الذبيحه التى قتلت خنقا و ليس ذبحا.

وَ الْمَوْقُوذَةُ و هى التى ضربت بآله غير حاده حتى ماتت(كأن ضربت بصخره).

وَ الْمُتَرَدِّيَةُ التى وقعت من عال فماتت.

وَ النَّطِيحَةُ

ص:۲۹۴

التی نطحتها البهائم حتی ماتت.

وَ مٰا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاّٰ مٰا ذَكَّيْتُمْ و ما تبقی من فضلاته الا إذا جرحها السبع و قبل ان تموت استطعتم ذبحها بالطریقه الشرعیه.

وَ مٰا ذُبِحَ عَلَی النُّصُبِ من أجل إرضاء الأصنام التی لا تضر و لا تنفع فعلیکم اجتنابه لأنه یمتزج بعباده الأصنام،و بالتالی بالشرک.

وَ أَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلاٰمِ تلک العاده التی کانت فی الجاهلیه حیث کان یجتمع طائفه من الناس و یساهمون فی شراء شاه ثم یقسمونها بینهم لا-حسب سهامهم بل حسب الأزلام حیث توضع أخشاب مختلفه فی کیس أو فی بطن صنم ثم یسحب کل واحد نصیبه،فاذا خرجت له خشبه معینه یأخذ نصف الذبیحه،و إذا خرجت اخری لا یأخذ منها شیئا،أو یأخذ الرأس فقط،و هذا نوع من أنواع القمار المحرم.

ان الذبیحه تحرم فی هذه الحاله إذا کانت قد ذبحت باسم الصنم الذی یقترع فی بطنه علی نصیب کل واحد من المشرکین.

ذٰلِكُمْ فِسْقٌ و عمل محرم یخرج الإنسان عن حدود التقوی،بل عن حدود الایمان إذا کان بهدف التقرب الی الأصنام،و بالتالی إذا کان العمل ذا خلفیه شرکیه.

ص:۲۹۵

و إذا كان الجاهليون قد تعودوا على هذه العادات السيئه فعلينا مقاومتهم و إياها،و عدم التنازل لهم فيها،ذلك لأن خطا واضحا قد رسم بيننا و بينهم فقد يئسوا منا و نحن بدورنا لا يجب أن نداهنهم،و لا نتنازل عن بعض واجباتنا استسلاما لهم.

علينا ان نعرف ان ديننا كامل لا نقص فيه،فلما ذا نرجع للعادات الجاهليه للاخذ منها.

اَلْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَ اخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلاَمَ دِيناً الإسلام هنا بمعناه اللغوى الذى استخدمه القرآن فى سائر الآيات بمعنى التسليم للّه و لمناهجه و انه دين اللّه الذى ارتضاه لنا و يتجسد فى تقوى اللّه، و اتباع مناهجه،و فى طاعه رسول اللّه و أولى الأمر من بعده الذين يشكلون الامتداد الرسالى و الطبيعى لخط اللّه و الرسول.

و بما ان سوره المائده جاءت بعد سور القرآن كلها،فان قضيه تكميل الدين طرحت فيها،و بالطبع تكون قضيه القياده الاسلاميه هى أبرز و أهم القضايا المعلقه التى كمل بها الدين بعد نزول سوره المائده،و عرف الناس ان الائمه المعصومين عليهم السلام هم القاده الرساليون للأمه سواء حكموا البلاد سياسيا أم لا...و سواء قاموا بمصالح الأمه العليا أم لم يقوموا.

بيد أن القياده لا تعنى شيئا فى منطق الإسلام لو لم تنفصل عن رواسب الجاهليه،بل لو لم تتحد الجاهليه بشجاعه و من دون خشيه،و تطبق تعاليم الإسلام.

لذلک جاءت الاشاره الی القیاده ضمن الحدیث عن طائفه من عادات الجاهلیه التی نسفها الإسلام لیعطی للقیاده بعدها الرسالی بحیث یجعلها لا تنفصل عن مناهج الدین،فلا یعترف الإسلام بقیاده لا تطبق هذه المناهج و ان اختفت تحت غطاء کثیف من الکلمات الدینیه و الشعارات الرسالیه.

فَمَنِ اضْطُرَّ فِی مَخْمَصَهٍ غَیْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَحِیمٌ أی إن الحاله الواحده التی یجوز فیها الاکل من البهائم المیته المحرمه هی حاله الاضطرار،حین تعم المجاعه البلاد،فیجوز الاکل منها بقدر الاضطرار بحیث لا یجوز ان یمیل الی أکل المیته میلاـ نفسیا،بل یظل یعرف ان الاضطرار هو السبب فی أکل المیته فمتی رفع الاضطرار استطاع بسهوله ان یقلع عن أکلها المیته،لأنه لم یتعود(لا أقل نفسیا)علیها.

[سوره المائده (۵): الآیات ۴ الی ۵]

اشاره

یَسْئَلُونَکَ مٰا ذٰا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَکُمُ اَلطَّیِّبٰاتُ وَ مٰا عَلَّمْتُمْ مِنَ اَلْجَوٰارِحِ مُکَلِّبِینَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمّٰا عَلَّمَکُمُ اَللّٰهُ فَکُلُوا مِمّٰا أَمْسَکْنَ عَلَیْکُمْ وَ اُذْکُرُوا اِسْمَ اَللّٰهِ عَلَیْهِ وَ اِتَّقُوا اَللّٰهَ إِنَّ اَللّٰهَ سَرِیعُ اَلْحِسٰابِ (۴) اَلْیَوْمَ أُحِلَّ لَکُمُ اَلطَّیِّبٰاتُ وَ طَعٰامُ اَلَّذِینَ أُوتُوا اَلْکِتٰابَ حِلٌّ لَکُمْ وَ طَعٰامُکُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَ اَلْمُحْصَنٰاتُ مِنَ اَلْمُؤْمِنٰاتِ وَ اَلْمُحْصَنٰاتُ مِنَ اَلَّذِینَ أُوتُوا اَلْکِتٰابَ مِنْ قَبْلِکُمْ إِذٰا آتَیْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِینَ غَیْرَ مُسٰافِحِینَ وَ لاٰ مُتَّخِذِی أَخْدٰانٍ وَ مَنْ یَکْفُرْ بِالْإِیمٰانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَ هُوَ فِی اَلْآخِرَهِ مِنَ اَلْخٰاسِرِینَ (۵)

ص:۲۹۸

هدی من الآیات:

فی ذات الوقت الذی یحرم الإسلام طائفه من الأشیاء،لا یرید ان یکبل البشر بهاجس الحرمه،فیجمد عن الانطلاق و العمل،لذلک یسد علیه أبواب الحرام،ثم یفتح أبوابا اخری و یدفعهم الی ولوجها ففی هذا الدرس یحلل الإسلام الطیبات بوجه عام فالقاعده الأساسیه هی حلیه الطیبات الا ما استثنی مما جاء فیه نص.

و الأدوات التی تستخدم فی الحصول علی الطیبات هی الاخری یجب أن تکون حلالا الا ما یتلی و منها:أدوات الحیازه کالکلاب و وسائل التجاره، أو کالتجاره مع أهل الکتاب،فکلاب الصید یجوز أکل ما أمسکن به من الأحیاء بشرط أن یذکر الصیاد اسم اللّه علیه.

کما یجوز التبادل التجاری مع أهل الکتاب للحصول علی منافع مشترکه، لیس هذا فقط بل حتی المتعه الجنسیه غیر المحرمه،إلا فی حدود معینه فیجوز

التمتع بالنساء العفيفات سواء كن من المؤمنات أو من أهل الكتاب بشرط أن يلتزم كل طرف بواجباته،فالزوجه تحصن نفسها و لا يتبعها لقاء ذلک أجر، و الزوج يؤدی أجورها بالكامل.

إذا فدين اللّه ليس دين الجمود،و لا دين الكبت و الإرهاب،بل هو دين النظافه و التوجيه.

بينات من الآيات:

كل شیء طّيب الاّ:

[۴]الجهل يدعو صاحبه الى التطرف يمنه أو يسره،كما إذا،ضل شخص فی الصحراء و جهل الطريق فانه ينحرف عنه ذات اليمين و ذات الشمال.

و ليس بامكانه من دون العلم ان يلتزم بالطريق المستقيم،و لقد كانت الجاهليه تعيش بين خطی الفوضی المطلقه،حيث لا شیء حرام عندهم،كما كانت الحال عند عرب الجزيره غالبا حيث خط(الجمود المطلق)فهم يحرمون على أنفسهم طيبات الدنيا(كما كانت الحال عند بعض المسيحيين و المترهبين من العرب)و جاء الإسلام بالقول الفصل،فحرم ما يضر البشر صحيا أو خلقيا أو اجتماعيا،و حلل الطيبات و جعل القاعده الأساسيه أن كل شیء طيب حلال حتى تعلم حرمته بالذات.

وسائل الكسب:

و الطيب هو كلما يستطيبه العقل السليم.

يَسْئَلُونَکَ مٰا ذٰا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبٰاتُ

و سألوا عن بعض الوسائل التی یحصلون بها علی الطیبات،فأجاب القرآن عن وسیلتین إحداهما:نموذج لوسائل الحیازه و الاستفاده من الطبیعه،و لکنه نموذج یثیر الشک و یدعو الی التساؤل إذ أنه غریب علی الطبیعه و هو صید الکلب.

فهل یمکن استخدام الحیوانات فی حیازه المباحات، و الکلب بالذات حیوان نجس و مکروه فی الدین فهل تحل ذبیحته؟ و حین أجاب القرآن عن هذا التساؤل بالإیجاب تبین أن الطرق الاخری التی قد تستخدم فی حیازه المباحات طرق مشروعه(کاستخدام الید أو الآلات الحاده کالسکین أو الحیوانات المحببه الالیفه و ما أشبه) و الثانیه:وسیله من وسائل التعاون فی الحیاه،و تبادل المنافع و التجارات و هی أیضا وسیله قد یثأر حولها بعض التساؤلات:

هل یجوز التعامل التجاری مع أهل الکتاب أم لا؟ فلما أجاب القرآن بالإباحه تبیّن بالطبع حریه التجاره مع کافه المسلمین.

هکذا خصصت هذه الآیات عن ضروره التخلص من الرهبنه،و اتخاذ کل شیء حراما،بل بالعکس کل شیء حلال،حتی یتلی فیه نص صریح.

وَ مٰا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوٰارِحِ مُکَلِّبِینَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمّٰا عَلَّمَکُمُ اللّٰهُ فهذا إرشاد بان تعلیم الجوارح لیس فقط مباحا،بل و مستحبا أیضا،لأنه یساعد علی رفاه الإنسان.

فَکُلُوا مِمّٰا أَمْسَکْنَ عَلَیْکُمْ وَ اذْکُرُوا اسْمَ اللّٰهِ عَلَیْهِ

بأن يذكر الصياد اسم اللّه حين يبعث كلبه.

وَ اتَّقُوا اللّٰهَ إِنَّ اللّٰهَ سَرِيعُ الْحِسابِ [۵]و إذا كانت الطيبات أو بعضـها محرمه على بعض أهل الكتاب بسبب سوء أفعالهم،و ظلمهم لأنفسهم فانها قد أحلت لكم حيث انتهى السبب الداعى الى التحريم.

اَلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّباتُ و الوسـيله التجاريه التى تحصـلون بها على الطيبات محلله لكم هى الاخرى حتى و لو كانت التجاره مع غير ملتكم مثل(أهل الكتاب).

وَ طَعامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ حِلٌّ لَكُمْ وَ طَعامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ و بـالرغم من ان الطعـام يعم الحبوب و الفواكه و يشـمل الـذبيحه و المطبوخـات الجاهزه للأكل،بالرغم من ذلك فان سـياق الآيه يـدل على التبادل التجارى، و التبادل التجارى لا يكون عاده الا فى المأكولات غير الجاهزه مثل الحبوب و البهائم غير المذبوحه،اما المأكولات الجاهزه فهى قليله التداول خصوصا فى ذلك الوقت.

و المحصنات من أهل الكتاب:

وَ الْمُحْصَناتُ مِنَ الْمُؤْمِناتِ وَ الْمُحْصَناتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُـوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ اى يجـوز لكم التمتـع بهن فى عقـد دائم أو عقد مؤقت و الجنس ليس خسه أو خبثا،أو حاله بهيميه عند البشر،كلا ان الجنس لذه طيبه هيأها اللّه للإنسان.

ص:٣٠٢

و لكن يجب ان يكون التمتع بالجنس فى حدود الشرع المقدس.

فأولاد:يجب ان تكون المرأه محصنه(أى عفيفه،أحصنت فرجها،و صانت كرامتها)و من جانب ثان:أحصنها زوجها أى جعلها فى حصن اللذه المشروعه حتى لا تفتش عن لذه حرام.

ثانيا:أن يلتزم الزوج بأداء حقوقها،و بالذات مهرها الذى هو أجر حصانتها و إخلاصها للزوج،و تمكينها للزوج انى دعته إليها حاجه جنسيه.

ثالثا:الا يهدف الزوج من وراء العلاقه مع المرأه السفاح،و ضياع ماء الحياء،و التلذذ بالمقاربه الجنسيه لفتره محدوده،بل يكون هدفه بناء حصن الزوجيه الرصينه حيث يحافظ كل واحد على حقوق الثانى و حرماته.

رابعا:الا يكون الهدف من وراء العلاقه الصداقه المائعه،حيث يوفر كل واحد لصديقه الجنس مقابل توفير الثانى له ذلك من دون التزامات قانونيه محدوده -كلا-يجب ان يكون تراضى الطرفين على أساس الأحكام الشرعيه و بالتعهد على الالتزام بها.

انک قادر على تبادل الهدايا مع اصدقائك أو أقاربک لأن ذلك التبادل لا يؤدى إلى الخلاف و النزاع،و لا يضعضع علاقاتك الاجتماعيه الأخرى،و لكن لا يجوز لك أن تبادل امرأه اجنبيه الحب و الجنس كهديه متقابله لان الجنس قضيه هامه فى حياه البشر،و ركن اساسى من أركان التعاون الاجتماعى فلو سمح لنا القانون بان يكون الجنس حسب أهواء الطرفين،و من دون الضوابط القانونيه لكانت نهايته تفكيك عروه من العرى الاجتماعيه و لتزلزلت أرسخ قاعده من قواعد التماسک الاجتماعى،من هنا فرض الإسلام أحكاما فى العلاقه الجنسيه،و أمر

بان يكون ترابط الطرفين بينهما على أساس هذه الأحكام،و ليس لمجرد الصداقه و اتخاذ العلاقه كهدايا متبادله.

إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَ لاَ مُتَّخِذِى أَخْدَانٍ و اعتبر القرآن الخروج عن هـذه الانظمه بمثابه الخروج عن الدين،إذ أن الفكر ليس قولا انما هو عمل و سلوك.

الايمان قول و عمل:

وَ مَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ اى من يكفر بعـد ان كـان مؤمنا،أو مع التظاهر بالايمان فان اعماله الصالحه غير مقبوله عند اللّه بل تحبط و تقذف فى وجهه،و لا تنفعه شيئا.

وَ هُوَ فِى الْآخِرَهِ مِنَ الْخَاسِرِينَ فلا يظن أحد ان بإمكانه الجمع بين العقيده الصحيحه،و العمل الفاسد،إذ أنه سوف يؤخذ بعمله و لا يؤبه بعقيدته التى يدعى أنه يلتزم بها فكريا.

ص:۳۰۴

[سوره المائده (۵): آیه ۶]

اشاره

يَا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى اَلصَّلاٰةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَ أَيْدِيَكُمْ إِلَى اَلْمَرَافِقِ وَ اِمْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ وَ أَرْجُلَكُمْ إِلَى اَلْكَعْبَيْنِ وَ إِنْ كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا وَ إِنْ كُنْتُمْ مَرْضىٰ أَوْ عَلىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ اَلْغَائِطِ أَوْ لاٰمَسْتُمُ اَلنِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَ أَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اَللّٰهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَ لٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَ لِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (۶)

ص:۳۰۵

التطهر واجب اسلامی

بینات من الآیات:

اشاره

[۶]تـأتی آیه التطهر فی إطـار الحـدیث عن المجتمع الاسـلامی للـدلاله علی الجـانب الاجتمـاعی فی الطهـاره،و لبیان العلاقه بین طهـاره القلب و طهاره الجسـد، و قـد رأینا فی سوره النساء کیف جاءت ایه التطهر(۴۳)بعـد ایات النهی عن البخل و الریاء،و قبل ایات النهی عن تحریف الدین.

و هنا جاءت هذه الآیه فی سیاق النهی عن طائفه اخری من المنکرات بینها الزنا،فکان الحدیث عن الوضوء و الغسل مناسبا لطبیعه العلاقه بین حرمه الزنا و حرمه المیته و الـدم و.و..و تنظیم العلاقه الجنسـیه مما یرتبط بصـحه الجسم،و بین الطهاره التی تتصل هی الأـخری بالصـحه،اضـافه الی العلاقه بین طهاره الظاهر التی تجسـده واجبات الوضوء و الغسل،و طهاره الباطن التی یمثلها الابتعاد عن المحرمات.

یٰا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا إِذٰا قُمْتُمْ إِلَی الصَّلاٰهِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَکُمْ وَ أَیْدِیَکُمْ إِلَی الْمَرٰافِقِ

ص:۳۰۶

الوضوء:

ان الشرط المسبق للتحدث مع اللّه فی مراسم العباده،هو التطهر و ذلک بغسل الوجه مما یصدق علیه الوجه عرفا،و قد حدده الفقهاء بأنه من منابت الشعر الی نهایه الذقن طولا،و بما یشمل علیه الإبهام و الوسطی عرضا.

اما الید فانها تطلق عاده علی ای جزء من العضو المشهور.

و لذلک حدد القرآن مقدار المغسول منها بالمرفق علی ان یکون المرفق جزء منه.

الغسل:

و قد سکت القرآن عن بیان طریقه الغسل و ما یغسل به،و لکن بما ان القرآن یتحدث الی الناس الذین یمارسون الغسل طبیعیا،و یعرفون کیفیاته،فان ذلک یکفینا دلیلا عن کافه التفاصیل.

شرائط الغسل:

فأولا:الغسل یکون بالماء و لیس بای سائل آخر(فلا یجوز بعصیر البرتقال أو بالکحول مثلا) ثانیا:ان الغسل یکون عاده من الأعلی الی الأسفل لان الهدف منه ان یحمل الماء الوسخ فی جریانه،و بالطبع فالماء لا یجری الی الأعلی بل یجری الی الأسفل.

من هنا یجب ان نصب الماء اولا علی الجبهه و من ثم ینحدر علی الوجه،

كذلك يجب ان نصبه على المرفق و من ثم ينحدر الى الذراع و الكفين.

كيفيه الغسل:

و أتصور ان التفسير الذى يجعل كلمه(الى)فى هذه الايه بمعنى(نهايه عمليه الغسل)و يزعم ان بدايتها الكفان و ان الغسل ينبغى ان يكون من تحت الى الأعلى،أتصور انه تفسير ساذج لا يتفق مع بلاغه القرآن،كما انه يخالف العرف العام...أو ليس إذا قال الأب لابنه اغسل يدك الى الرسغ،هل يفهم من ذلك ان الغسل يبدأ من الرسغ،فلا يتصور الا بن ان والده امره بان يقلب كفيه حين يغسل؟أو ليس إذا أمرت الصبّاغ بان يصبغ غرفتك الى السقف،أو لست تضحك عليه إذا رايته يأخذ بالصبغ من أسفل الغرفه صاعدا الى السقف،بل قد تنهاه عن ذلك لأنه يسبب تشويه الغرفه،فاذا قال لك أنت امرتنى بان اصبغ الى السقف، أو ترد عليه بانى انما أردت ان يكون نهايه المقدار المصبوغ عند السقف؟!و لم أرد ان يكون أسلوب الصباغه من تحت الى فوق...إذ ان الأسلوب شأنك أنت و ليس من شأنى..و أنت تعرفه جيدا.

كذلك فى العرف يعرف كيف تغسل الأشياء،و لكن على الشريعه ان تحدد لهم فقط المقادير.

كيفيه المسح:

وَ امْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ وَ أَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ اى امسحوا بجزء من رؤوسكم فتدل الباء هنا على ضروره مسح جزء من الرأس،اما الرجل فبالرغم من أنها هى الأخرى يمسح عليها و لكن القران جعل

ص:٣٠٨

الکلمه منصوبه من ناحیه الاعراب(أرجلکم)بفتح اللام لماذا؟لأنه لو جعلها مجروره(أرجلکم)بکسر اللام إذا لکان تقدیره(بأرجلکم)و من الطبیعی ان هناک اختلافا کبیرا بین المسح بالرجل و المسح بالرأس،فالمسح بالرجل یعنی عند العرف جعل الرجل اداه للمسح کأن تقول امسح برجلک الأرض فقد قال اللّه تعالی:

اُرْکُضْ بِرِجْلِکَ هٰذٰا مُغْتَسَلٌ بٰارِدٌ وَ شَرٰابٌ بید ان الرأس لا یصبح أداه للمسح فلا یتصور ان یکون معنی امسح برأسک ای اجعل رأسک اداه للمسح بشیء أخر،بل یتبادر إلینا معنی(البعضیه)ای امسح ببعض رأسک.

من هنا کان من البلاغه ان یفتح کلمه الرّجل لیکون المعنی(و امسحوا أرجلکم)فیجعل لفظ أرجلکم معطوفا علی محل(برؤسکم)و لیس علی لفظه،أو یقدر له کلمه امسحوا بدلاله السیاق.

و لو قال القران امسحوا بأرجلکم لکنا نتساءل ای شیء نمسحه بأرجلنا، و کأن الأرجل اداه للمسح و الکعبان هما قبتا الرجل.

التّیمم:

وَ إِنْ کُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا ای اغتسلوا.

وَ إِنْ کُنْتُمْ مَرْضیٰ أَوْ عَلیٰ سَفَرٍ أَوْ جٰاءَ أَحَدٌ مِنْکُمْ مِنَ الْغٰائِطِ أَوْ لاٰمَسْتُمُ النِّسٰاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مٰاءً فَتَیَمَّمُوا صَعِیداً طَیِّباً

ص:۳۰۹

أی توجهوا الی تراب طاهرا و ارض طاهره لتتطهروا بها تیمما.

فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَ أَيْدِيكُمْ مِنْهُ بان تضربوا أيديكم على التراب،فاذا علقت به عالقه من التراب فامسحوا بها بعضا من وجوهكم،و بعضا من أيديكم،اما الوجه فهو الجبين و الجبهه الى بدايه الأنف،أما اليدان فتمسح الكفان منهما ابتداء من الرسغ حتى رؤوس الأصابع.

إن حكم التطهير ليس الهدف منه ابتلاء المؤمنين بعمل شاق،بل الهدف منه تطهيرهم من النجاسات الظاهره و الباطنه.

الحرج:

مٰا يُرِيدُ اللّٰهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ ان ای حکم شرعی يصل فی صعوبته الى درجه الحرج(و هی الصعوبه الشديده التی لا تحتمل)فانه يلغى أو يبدل بما هو أخف منه فالحج و الصوم و الصلاه و.و.إذا كانت تحتوی على صعوبات جسديه لا يحتملها و لا يطيقها الشخص فانها تخفف فيسقط بعض واجبات الحج و يبقى البعض فقط،و كذلك تصبح الصلاه عن جلوس بدل القيام،أو بالإيماء بدل الحركات،أو انها تحذف فيما إذا كان الواجب لا يتحرز..مثل الصوم،فانه يحذف مره واحده إذا كان ذا صعوبه بالغه لا يطيقها الفرد.

و قد ضرب اللّٰه مثلا لهذه القاعده الفقهيه التی تسمى بقاعده(الحرج)من واقع التيمم الذی جاء بديلا عن الوضوء و الغسل فی أوقات الحرج مثل المرض أو

البرد القارص،أو قله الوقت لعجله السفر،أو فقدان الماء،أو الخوف من عدو قاهر..

و نستطيع ان نستأنس بهذه الأمثال التى ساقها القرآن الحكيم هنا فى تفصيلات قاعده الحرج و تعميماتها على الأحكام الجزئيه الأخرى.

انهم أناس يتطهرون:

وَ لٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَ لِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ الهدف من الغسل و الوضوء أو التيمم هو طهاره الجسد،و طهاره الروح، و الجسد يطهره الماء و التراب اما الروح فانها تتمرغ فى أو حال الشهوات فتحتاج الى ان تتطهر بتجدد الايمان،و عمليات التطهير هى رمز هذا التجدد.كيف؟ الرجل ينام و يلبى بالنوم حاجه جسديه ملحه،و لكن روحه و غير راضيه عن ذلك،إن الروح تتطلع الى عمل دائب،و جهد مستمر لتحقيق مزيد من أهدافها فى فرصه العمر لذلك فحين يقوم المرء من النوم يجد روحه كسوله غير راضيه، فيذهب الى الماء و يتطهر استعدادا للصلاه بهدف تحقيق مرضاه اللّه فى العمل بواجبات الدين،و بالتالى فى تحقيق اهداف الروح،فيرفع الكسل عن روحه بذلك،و يجد أن روحه بدأت تسير فى الاتجاه الصحيح.

ان قيمه التطهر الروحيه آتيه من انه مقدمه و تمهيد للواجبات و استعداد نفسى لها.

و اللّه حين يبين حكم التطهر فانما يكمل الدين بذلك،و لا يدع الدين مرتبطا بالجوانب المعنويه فقط،بل بكل الجوانب و هذا من تمام نعمه اللّه على الإنسان،

ص:۳۱۱

و لکن هـل یشـکر البشـر ربه بهـذه النعمه التامه المتجسـده فی دین کامل أنزله الیه، و هل یعمل به حتی یسـعد فی الدارین.هـذا السؤال؟!و منک الاجابه.

[سوره المائده (۵): الآیات ۷ الی ۱۱]

اشاره

وَ اُذْكُرُوا نِعْمَةَ اَللّٰهِ عَلَيْكُمْ وَ مِيثٰاقَهُ اَلَّذِي وٰاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنٰا وَ أَطَعْنٰا وَ اِتَّقُوا اَللّٰهَ إِنَّ اَللّٰهَ عَلِيمٌ بِذٰاتِ اَلصُّدُورِ (٧) يٰا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوّٰامِينَ لِلّٰهِ شُهَدٰاءَ بِالْقِسْطِ وَ لاٰ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلىٰ أَلاّٰ تَعْدِلُوا اِعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوىٰ وَ اِتَّقُوا اَللّٰهَ إِنَّ اَللّٰهَ خَبِيرٌ بِمٰا تَعْمَلُونَ (٨) وَعَدَ اَللّٰهُ اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصّٰالِحٰاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ عَظِيمٌ (٩) وَ اَلَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآيٰاتِنٰا أُولٰئِكَ أَصْحٰابُ اَلْجَحِيمِ (١٠) يٰا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا اُذْكُرُوا نِعْمَتَ اَللّٰهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَ اِتَّقُوا اَللّٰهَ وَ عَلَى اَللّٰهِ فَلْيَتَوَكَّلِ اَلْمُؤْمِنُونَ (١١)

اللغه

٨[و لا يجرمنكم]:جرمت و أجرمت بمعنى واحد لا يجرمنكم:لا يدخلنكم فى الجرم،كما يقال آثمته اى أدخلته فى الإثم.

ص:٣١٣

الميثاق

هدى من الآيات:

بين الرب و العبد:

بين الإنسان المسلم و بين اللّه ميثاق اجتماعی علیه ان یلتزم به لأنه سبب مباشر لنعمه اللّه علیه،و نصره له،و الالتزام یجب ان یکون نابعا من القلب فلا یداخله تردد أو نفاق.

اما بنود هذا المیثاق فهو:

اولا:العمل الدائب من أجل اللّه من دون کلل أو کسل.

ثانیا:الشهاده بالقسط لا بالزور و لا من أجل مصالح خاصه.

ثالثا:اقامه العدل فی المجتمع حتی مع الأعداء.

رابعا:التقوی فی تطبیق هذه البنود و غیرها من فرائض الدین.

ص:۳۱۵

و بالالتزام بهذه البنود یمنح اللّه المؤمنین مغفره منه تمحی ذنوبهم السابقه، و تعرض عن تخلفهم و تکاسلهم فی الماضی،و تفتح لهم آفاق التقدم و الرفاه،بینما العکس یورد الجحیم.

تطبیق المیثاق:

و لکی نطبق المیثاق بدافع قوی علینا ان نتذکر أبدا أن تطبیق هذا المیثاق فی السابق هو الذی خلصنا من براثن العدو بعد ان امتدت إلینا،و فی المستقبل سیکون الوضع کذلک لو آمنا باللّه،و توکلنا علیه،و لم نخضع لأیه ضغوط جاهلیه تمنعنا عن تطبیق مناهج الدین و فی طلیعتها المیثاق المقدس.

بینات من الآیات:

الرساله:

[۷]أکبر نعم اللّه علی الإنسان نعمه الرساله،إذ أنها الاداه التی تمکن البشر من الانتفاع بسائر نعم اللّه علیه،فمن دون مناهج الدین لا ینتفع البشر من نعمه الصحه، بل یفسدها بارتکاب الموبقات و لا ینتفع بنعمه العقل،بل یدسه فی تراب الشهوات،و لا ینتفع بنعمه الحریه بل یکبلها بأغلال الشرک،و عبودیه الجبت و الطاغوت.

من هنا یذکرنا اللّه بالنعمه الکبری(نعمه الرساله)التی و فرّت لنا فرص الانتفاع بنعم الحیاه،یذکرنا بها مره بعد مره فیقول:

وَ اذْکُرُوا نِعْمَهَ اللّهِ عَلَیْکُمْ

بیـد ان هـذه النعمه بحاجه الی ما یکرسـها و هو المیثاق الـذی تعهدنا مع اللّه فی العمل به فمن دون الالتزام بالمیثاق لا نقدر علی الاستفاده من نعمه الرساله.

وَ مِیثٰاقَهُ الَّذِی وٰاثَقَکُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنٰا وَ أَطَعْنٰا لا بـد ان نتـذکر یوم المیثاق حتی لا نتصور أن نعمه الرساله و ما وراءها من نعم الحیاه سوف تبقی لنا أزلیه،کلا...انما تبقی لنا ما دمنا ملتزمین-نحن بدورنا- بالمیثاق و ذلک هو التقوی.

وَ اتَّقُوا اللّٰهَ إِنَّ اللّٰهَ عَلِیمٌ بِذٰاتِ الصُّدُورِ فأیّه نیه لنقض المیثاق ترصد من قبل اللّه،و یؤآخذ صاحبها علیه أخذا شدیدا.

بنود المیثاق:

[۸]لهذا المیثاق بنود ثلاث:

الأول:العمل النشیط من أجل اللّه،فعلینا ألا نتوانی عن تنفیذ واجباتنا الدینیه،أو مسئولیاتنا الاجتماعیه.

ان اللّه لا یحب الامه الکسوله المتخلفه التی لا تنشط فی الحیاه،کما لا یحب الأمه التی تنشط لا من أجل اللّه بل من أجل مصالحها العدوانیه.إن اللّه یرید منا ان نکون مجتمعا دائم الحرکه و الفعالیه و لکن باتجاه الأهداف السامیه،و هذا معنی أن نکون کما قال اللّه:

یٰا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا کُونُوا قَوّٰامِینَ لِلّٰهِ

أی أن نبالغ فی القیام من أجل تحقیق أهداف الرساله المتجسده فی عماره الأرض،و إشاعه الخیر فی أرجائها.

الثانی:أن تکون الأمه واعیه لذاتها،و لما یجری حولها،و تمتلک موقفا سلیما، و تعلن عن هذا الموقف بإصرار.

فالأمه التی یلفها الجهل و الغیبه عن الحیاه،و الأمه التی لا تملک المقیاس الصحیح لتقییم أحداث الحیاه،و الأمه التی لا تعلن عن مواقفها السلیمه.انها لیست الامه التی یریدها اللّه و التی یقول عنها:

شُهَدٰاءَ بِالْقِسْطِ ذلک لان الشهاده لا تکون إلا بعد العلم بالحقیقه و بعد الاستعداد لإعلان الموقف منها.

الثالث:یجب ان تکون الأمه عادله حتی مع اعدائها،و لا تنمو فیها الحساسیات العدائیه ضد هذا أو ذاک، و لا تنجر وراء هذه الحساسیات فی سلب حریه الأمم الأخری و نهب خیراتها.

وَ لاٰ یَجْرِمَنَّکُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلیٰ أَلاّٰ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْویٰ العدل هو أقرب وسیله لتحقیق مرضاه اللّٰه،و اتقاء عذابه،أما الظلم فهو أقرب طریق الی النار.

وَ اتَّقُوا اللّٰهَ إِنَّ اللّٰهَ خَبِیرٌ بِمٰا تَعْمَلُونَ

مكتسبات تنفيذ الميثاق:

[۹]و بسبب تنفيذ بنود الميثاق تجازى الامه بجائزتين.

الاولى:إصلاح ماضيها السيء،و تصفيه رواسب هذا الماضى.

الثانيه:ضمان مستقبلها الحافل بالخيرات فى الحياه الدنيا و فى الاخره.

وَعَدَ اللّٰهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ عَظِيمٌ و اللّٰه لا يخلف وعده و قد جاءت كلمه(لهم)تأكيدا على أن اللّٰه قرر هذا الجزاء لهؤلاء قرارا نهائيا لا رجعه فيه.

[۱۰]اما من خالف هذه الصفه فبدلا من الايمان الكفر،و بدلا من تطبيق مناهج الإسلام بالعمل الصالح التكذيب بهذه المناهج المنزله فى آيات القرآن و بذلك فانه من المقيمين فى الجحيم.

وَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآيٰاتِنٰا أُولٰئِكَ أَصْحٰابُ الْجَحِيمِ [۱۱]ان نعمه الايمان تستقطب سائر النعم و فى طليعتها نعمه العزه و المنعه، و لقد كانت العرب فى الجاهليه أذلاء يطمع فيهم كل دنيء و رديء فجاء الايمان و نفخ فيهم روح الشجاعه و الوحده،فانتصروا على أعدائهم.

اننا يجب أن نتذكر دائما كيف كنا قبل الايمان أذلاء و كيف أصبحنا أعزه، ذلك لان هذا التذكر يجعلنا نعرف أكثر فأكثر قيمه الايمان،و نندفع الى العمل بواجباته و فروضه،و من أبرزها العمل ببنود الميثاق الآنف الذكر.

يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ

أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكَمْ لان اللّه قذف فى قلوبهم الرعب فتولوا هاربين.

سبيل الانتصار:

وَ اتَّقُوا اللّهَ بتطبيق مناهجه،و تنفيذ الميثاق الذى بينكم و بينه.

وَ عَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ فلا يخشون القوى الاجتماعيه المناهضه ان تنحرف بهم عن العمل بمسؤولياتهم كأمه رساليه،بل يستمروا على طريق الحق برغم ضغوط الأعداء.

ان العامل الاساسى الذى سوف يحسم الصراع القائم بين الجاهليه و الإسلام هو الخوف،فاذا استرهب الجاهليون جانب المسلمين انهزموا،و هذا ما كان يحدث دائما اما إذا تمكن الخوف من قلوب المؤمنين فان العدو سيهزمهم،و تقوى اللّه(بتنفيذ برامجه)و التوكل عليه(بالشجاعه و الاقدام)هما اللذان يطردان الخوف من الامه و يقذفان به فى قلوب العدو.

ص:۳۲۰

[سوره المائده (۵): الآيات ۱۲ الى ۱۴]

اشاره

وَ لَقَدْ أَخَذَ اَللّهُ مِيثاقَ بَنِي إِسْرائِيلَ وَ بَعَثْنا مِنْهُمُ اِثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً وَ قالَ اَللّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ اَلصَّلاةَ وَ آتَيْتُمُ اَلزَّكاةَ وَ آمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَ عَزَّرْتُمُوهُمْ وَ أَقْرَضْتُمُ اَللّهَ قَرْضاً حَسَناً لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ وَ لَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا اَلْأَنْهارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَواءَ اَلسَّبِيلِ (۱۲) فَبِما نَقْضِهِمْ مِيثاقَهُمْ لَعَنّاهُمْ وَ جَعَلْنا قُلُوبَهُمْ قاسِيَةً يُحَرِّفُونَ اَلْكَلِمَ عَنْ مَواضِعِهِ وَ نَسُوا حَظًّا مِمّا ذُكِّرُوا بِهِ وَ لا تَزالُ تَطَّلِعُ عَلى خائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلاّ قَلِيلاً مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَ اِصْفَحْ إِنَّ اَللّهَ يُحِبُّ اَلْمُحْسِنِينَ (۱۳) وَ مِنَ اَلَّذِينَ قالُوا إِنّا نَصارى أَخَذْنا مِيثاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنا بَيْنَهُمُ اَلْعَداوَةَ وَ اَلْبَغْضاءَ إِلى يَوْمِ اَلْقِيامَةِ وَ سَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اَللّهُ بِما كانُوا يَصْنَعُونَ (۱۴)

اللغه

۱۲ ميثاق:اليمين المؤكده لأنها يستوثق بها من الأمر.

نقيبا:أصل النقيب فى اللغه من النقب و هو الثقب الواسع،و نقيب القوم كالكفيل و الضمين ينقب عن الأسرار،و مكنون الإضمار،و النقاب الرجل العالم بالأشياء الزكيّ القلب الكثير البحث عن الأمور.

عزرتموهم:التعزير التوقير.

ص:۳۲۱

۱۴ فأغرينا:معنى الإغراء تسـليط بعضـهم على بعض،و قيل معناه التحريش و أصـله اللصوق،و يقال غريت بالرجل غريا إذا لصقت به.

ص:۳۲۲

الامه التی نقضت میثاق ربها

هدی من الآیات:

بعد ان بین القران فی حدیثه السابق أهمیه المیثاق و ضروره الالتزام ببنوده عاد لیضرب مثلا من واقع الیهود الذین نقضوا المیثاق،و مثلا من واقع النصاری.

اما الیهود فقد أخذ اللّه منهم المیثاق،و أرسل اثنی عشر رئیسا علیهم -باعتبارهم اثنتی عشره قبیله-و فرض علیهم فی المیثاق اقامه الصلاه،و إیتاء الزکاه،و الایمان بکل الرسل و السیر وراءهم،و المبالغه فی عمل الخیر و وعدهم إنهم ان طبقوا هذه المواثیق،فسوف یغفر اللّه ذنوبهم و یدخلهم الجنه،اما من کفر فسوف تلفه الضلاله و ینحرف عن السبیل.

بید ان الیهود نقضوا المیثاق،فلعنهم اللّه،و أول ما جازاهم بنقض المیثاق کانت قسوه القلب التی کانت العله فی سائر المحرمات و منها:

اولا:تحریف ایات الکتاب و عدم الاستفاده منها عملیا.

ص:۳۲۳

ثانیا:الخیانه التی أصبحت عاده شائعه فیهم،و لذلک نصح اللّه رسوله بأن یعفو عنهم،و یحسن إلیهم لعلهم یرجعون.

هکذا لعن اللّه الیهود بنقض المیثاق.

أما النصاری:فإنهم لما نقضوا المیثاق أوقع اللّه بینهم العداوه فأخذوا یتآکلون داخلیا،و یضرب بعضهم بعضا،و سوف یظلون هکذا الی یوم القیامه حیث یأخذهم اللّه بذنوبهم أخذ عزیز مقتدر.

إن هذا کان مصیر الیهود و النصاری حین نقضوا المیثاق،و لکن دعنا نعتبر منهم و نلتزم بالمیثاق التزاما شدیدا.

بینات من الآیات:

میثاق بنی إسرائیل:

[۱۲]لکل أمه میثاقها المرتبط بظروفها الحیاتیه و بحاجاتها التشریعیه،و بنو إسرائیل اتخذ اللّه منهم میثاقا مرتبطا بظروفهم یعالج مشاکلهم،و أبرز مشاکلهم التی لازمتهم خلال تاریخهم کانت مخالفتهم لرسلهم،فاذا جاءهم رسول بما لا تهوی أنفسهم خالفوه،فقتلوه أو کذبوه.

و کان اتباع و تعزیر الرسل أهم بنود المیثاق،بالاضافه الی اقامه الصلاه و إیتاء الزکاه و التضحیه بمزید من المال فی سبیل اللّه.

هذا من جانب بنی إسرائیل.

و اما من جانب اللّه فقد وعدهم بان یکون معهم فی الدنیا،ینصرهم فی

الحرب،و ينعم عليهم فى السلم و الرخاء و أن يكفر عنهم سيئاتهم،و يدخلهم الجنه فى الآخره.

وَ لَقَدْ أَخَذَ اللّهُ مِيثاقَ بَنِى إِسْرائِيلَ وَ بَعَثْنا مِنْهُمُ اثْنَىْ عَشَرَ نَقِيباً أى جعل اللّه لكل طائفه منهم نبيا أو قائدا يدبر شؤونهم.

لنستوجب رحمه اللّه:

وَ قالَ اللّهُ إِنِّى مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاهَ وَ آتَيْتُمُ الزَّكاهَ وَ آمَنْتُمْ بِرُسُلِى وَ عَزَّرْتُمُوهُمْ وَ أَقْرَضْتُمُ اللّهَ قَرْضاً حَسَناً البند الأخير:يعنى الجهاد فى سبيل اللّه بالمال و هو يختص بالظروف الاستثنائيه(كحاله الحرب أو حاله المجاعه)حيث يجب على كل فرد ان يتنازل عن حقوقه المشروعه،و يطوع إرادته من أجل الصالح العام اما الزكاه فهى حق واجب على المؤمن ان يدفعه فى الظروف العاديه.

ان الميثاق كان يأمرهم بهذه البنود و يعدهم بأن يكون اللّه معهم فى الدنيا و ان يكون جزاؤهم فى الاخره حسنا.

لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ وَ لَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ

و جاء فى الميثاق إنذار صريح لمن لا يطبقه.

فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذٰلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوٰاءَ السَّبِيلِ و كيف حال من يضيع الطريق المستقيم و يتيه فى الصحراء؟

القلب و التحريف:

[۱۳]بيد أن أغلب بنى إسرائيل خالفوا الميثاق و لعنهم اللّه.

فَبِمٰا نَقْضِهِمْ مِيثٰاقَهُمْ لَعَنّٰاهُمْ فأبعدهم اللّه عن حظيره الايمان،و لم تعد قلوبهم تستوعب نور معرفه اللّه لعظمته،و تخشى عذابه،و ترجوا رحمته،لم تعد نفوسهم تندفع الى الخير،و ترهب عواقب الشر،فأصبحت قلوبهم جامده لا تهزها متغيرات الحياه،و لا تؤثر فيها الأحداث،و بالتالى أصبحت قلوبهم قاسيه.

وَ جَعَلْنٰا قُلُوبَهُمْ قٰاسِيَةً ان القلب يلين بالمعرفه و الموعظه و يقسوا بالجهل و الغفله..ان معرفتك باللّه تجعلك تخافه و ترجوه،و بين الخوف و الرجاء يلين قلبك و يستعد للتفكير الموضوعى و يتقبل الحق الذى يهديه اليه تفكيرك الموضوعى و يندفع للعمل الذى يستوجبه الخوف و الرجاء،القلب اللين يحب و يكره.يحب ما يسبب له السعاده و يكره ما يشقيه فالقلب اللين كأرض لينه تنبت الزرع،و تستجيب للعمران.

اما إذا جهلت الحياه،و لم تؤمن باللّه،و لم تع الاخطار التى تهددك و لم تعرف المنافع التى يمكن ان تأتيك فان قلبك يقسو و يصبح صلبا لا يتحرك لرجاء

و لا يهتز لخوف،انك تشعر و كان الكون جامد من حولك،و ان ما عندك من خير و نعمه لا يزول أبدا،و ان ما بك من نقص أو عجز لا يزول أبدا،فلما ذا الخوف إذا؟و لماذا الرجاء؟و لماذا التفكير الموضوعى؟،و بالتالى لماذا التحرك و النشاط؟ القلب القاسى يقبع فى زنزانه الذات،و لا يرى سببا لمعرفه الحياه و لا للتوافق مع سنتها و حقائقها،إذ أنه لا يخاف و لا يرجو،و من هنا فانه يستهين بالعلم و يستخف بالحق و برسالات السماء بل و يلعب بها حسبما تملى عليه أوهامه.

انه يحرف كلام اللّه لأنه لا يرى قيمه لكلام اللّه،و لا يشعر بأنه هو الذى يجلب الخير اليه و يدفع الضر عنه،ذلك لأنه أساسا لا يعقل زوال الخير عنه،و لا خطر نزول الضربه.

من هنا لعن اللّه اليهود بقسوه القلب فحرفوا كلام اللّه.

يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوٰاضِعِهِ يحرفون كل كلام عن موضعه الصحيح،و يضعفونه فى موضع آخر إما بتحريف الكلمه ذاتها مثل ما فعلوا بما يخص بشاره نبوه نبينا محمد صلى الله عليه و آله فغيروا فيها بحيث لا تتوافق و دلائل بعثته،أو بتأويل الكلمه الى غير معانيها الأصليه.

لقد قالت اليهود:ان كل ما جاء فى التوراه من ذم الربا و السحت و أكل اموال الناس بالإثم و العدوان،انها جميعا تختص بعلاقه اليهود ببعضهم و لا تشمل علاقه اليهود بغيرهم من الأميين حيث زعموا انه يحوز الاعتداء عليهم.

و بذلك حرفوا الكلم النازله حول هذه الموبقات عن مواضعها الصحيحه، و هى علاقه الناس ببعضهم(اليهود و غيرهم)الى مواضع اخرى تتوافق مع

أهدافهم الخبيثه.

و لم يكتف اليهود بتحريف الكلم،بل و حرفوا بعض بنود الرساله لأنهم حين قست قلوبهم لم يعطوا للرساله قيمه فحرفوا منها ما خالف أهواءهم.

وَ نَسُوا حَظًّا مِمّٰا ذُكِّرُوا بِهِ و لم يقل القران حذفوا قسما من الرساله بل قال:(نَسُوا حَظًّا مِمّٰا ذُكِّرُوا بِهِ).

لان الرساله باقيه لا تتغير،و لا يقدر أحد ان يحذف منها شيئا بل هم الذين نسوا و بالتالى ابتعدوا عن بعض بنود الرساله.

ثم عبر القران بكلمه(حظ)عن جانب للدلاله على ان القسم الذى نسوه من الرساله كان بالتالى فى صالحهم كسائر أقسام الرساله.

و أخيرا قال اللّٰه(مما ذكروا به)لبيان أن عقولهم كانت تتوافق مع بنود الرساله التى كانت تذكيرا لتلك العقول،بيد أنهم أداروا ظهورهم عن هدى عقولهم أيضا...فلم يحفلوا بالرساله و لا بما ذكّرت به.

و لم تنته فصول اللعنه التى أحاطت باليهود بسبب نقض الميثاق عند هذا الحد،بل سيطرت اللعنه على سلوكهم العام.

وَ لاٰ تَزٰالُ تَطَّلِعُ عَلىٰ خٰائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلاّٰ قَلِيلاً مِنْهُمْ لأنهم أصيبوا بقسوه القلب،و الاستخفاف بالرساله و تحريفها،و نسيان جانب منها،فقد توغلوا فى الأنانيه و ما الأنانيه سوى وليده الاستهانه بقيم الحق، و التمحور حول الذات.

ص:٣٢٨

و هذه الأنانيه ولدت عندهم خيانه بعضـهم البعض الآخر،لأن الامانه تأتى نتيجه الخوف و الرجاء و الالتزام بالقيم و التمحور حول الحق.

اما هؤلاء فكانت قلوبهم صخريه،و لم يجدوا حتى رائحه القيم فلما ذا الامانه؟ بيد ان خيانه هؤلاء يجب الا تدعونا الى خيانه مضاده،إنّ الأمه الإسلاميه يجب ان تحتفظ بأخلاقياتها الساميه عند تعاملها مع الأمم الفاسده خلقيا،و الا تكتسب منها سيئات خلقها و سلوكها.

لذلک نبه القرآن الى ذلک بالقول:

فَاعْفُ عَنْهُمْ وَ اصْفَحْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ العفو:هو عدم مؤاخذه المذنب بذنبه،و الصفح:هو نسيان هذا الذنب كليه، و الإحسان:هو محاوله إصلاح المذنب برفع أسباب ذنبه(كالفقر و الجهل أو الحقد).

النصارى النموذج الآخر:

[۱۴]كانت تلک قصه نقض اليهود للميثاق،اما قصه النصارى فى نقض الميثاق فهى تختلف جزئيا فى قسوه القلب فلان رساله المسيح كانت منصبه على المواعظ و الترغيب و الترهيب فان النصارى لم يصابوا بلعنه قسوه القلب.

بيد ان النصارى نسوا-مثل اليهود-جانبا من رسالتهم،و اتبعوا فى ذلک الجانب أوهامهم و شهواتهم و مصالحهم.

و لأنّ البشر حين يتبعون أوهامهم و شهواتهم و مصالحهم فإنهم يختلفون فيما

بينهم بسبب اختلاف الأوهام و الشهوات و المصالح من طائفه لأخرى بل من شخص لآخر لذلك فقد اختلف النصارى و انتهت حياتهم الى جحيم.

وَ مِنَ الَّذِينَ قالُوا إِنّا نَصارى أَخَذْنا مِيثاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنا بَيْنَهُمُ الْعَداوَةَ وَ الْبَغْضاءَ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ ان التزام الأمه كلها بالميثاق،يوحدها،و يصبح الميثاق بوتقه تطهر خلافاتها و مصالحها.

فاذا تركوا الميثاق عادوا الى الخلاف الأبدى،و ليس هناك ما يوحد الناس مثل الالتزام بميثاق واحد.

وَ سَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللّهُ بِما كانُوا يَصْنَعُونَ لان اللّه مهيمن عليهم،يحصى عليهم أعمالهم،و يسجلها ليحاسبهم بها فى يوم القيامه.

ص:۳۳۰

[سوره المائده (۵): الآیات ۱۵ الی ۱۸]

اشاره

یا أَهْلَ اَلْکِتابِ قَدْ جاءَکُمْ رَسُولُنا یُبَیِّنُ لَکُمْ کَثِیراً مِمّا کُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ اَلْکِتابِ وَ یَعْفُوا عَنْ کَثِیرٍ قَدْ جاءَکُمْ مِنَ اَللّهِ نُورٌ وَ کِتابٌ مُبِینٌ (۱۵) یَهْدِی بِهِ اَللّهُ مَنِ اِتَّبَعَ رِضْوانَهُ سُبُلَ اَلسَّلامِ وَ یُخْرِجُهُمْ مِنَ اَلظُّلُماتِ إِلَی اَلنُّورِ بِإِذْنِهِ وَ یَهْدِیهِمْ إِلی صِراطٍ مُسْتَقِیمٍ (۱۶) لَقَدْ کَفَرَ اَلَّذِینَ قالُوا إِنَّ اَللّهَ هُوَ اَلْمَسِیحُ اِبْنُ مَرْیَمَ قُلْ فَمَنْ یَمْلِکُ مِنَ اَللّهِ شَیْئاً إِنْ أَرادَ أَنْ یُهْلِکَ اَلْمَسِیحَ اِبْنَ مَرْیَمَ وَ أُمَّهُ وَ مَنْ فِی اَلْأَرْضِ جَمِیعاً وَ لِلّهِ مُلْکُ اَلسَّماواتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ ما بَیْنَهُما یَخْلُقُ ما یَشاءُ وَ اَللّهُ عَلی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ (۱۷) وَ قالَتِ اَلْیَهُودُ وَ اَلنَّصاری نَحْنُ أَبْناءُ اَللّهِ وَ أَحِبّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ یُعَذِّبُکُمْ بِذُنُوبِکُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ یَغْفِرُ لِمَنْ یَشاءُ وَ یُعَذِّبُ مَنْ یَشاءُ وَ لِلّهِ مُلْکُ اَلسَّماواتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ ما بَیْنَهُما وَ إِلَیْهِ اَلْمَصِیرُ (۱۸)

ص:۳۳۱

الإسلام بصیره هدی و منهاج صلاح

هدی من الآیات:

لقد نقضت الیهود و النصاری المیثاق،و حرّفت کتبها...فما هو العمل الآن؟ ان علیهما الالتفات حول رساله اللّه الجدیده التی لا تزال بیضاء نقیه و لم تدخلها شائبه الشرک باللّه.

إن هذه الرساله أوضحت الحقائق،التی حاول أهل الکتاب إخفاءها، و إلغاء بعض الأحکام المؤقته التی استوجبتها ظروف خاصه، و هی بالتالی نور یذکر البشر بربه و یثیر دفینه عقله،و یزکی ضمیره.

کما انها کتاب مفصل،یحمل خریطه واضحه لدروب الحیاه السالکه التی طالما تاهت البشریه فیها و کانت عاقبتها الهلاک.

لقد أصبح النصاری کفارا بسبب قولهم فی المسیح:انه هو اللّه،و أصبح الیهود مشرکین بقولهم نحن أبناء اللّه،و لم یبق للبشریه رساله نقیه سوی

ص:۳۳۳

الإسلام.

فلم يكن المسيح سوى عبد للّه،و ليس اليهود سوى بشر كسائر البشر.

اما اللّه فهو رب السموات و الأرض،و لا يعقل أن يتجسد فى شخص المسيح،كما لا يعقل أن يتخذ اليهود أبناء له سُبْحانَهُ وَ تَعالى عَمّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيراً .

بينات من الآيات:

رساله اللّه بين التجديد و التكامل:

[۱۵]جاءت الرساله الاسلاميه مجدده لرساله الأنبياء من قبل و مكمله لها، أما التجديد فلأن أهل الكتاب الذين استأمنهم اللّه على رسالته خانوا الأمانه، و أخفوا كثيرا من بنود الرساله التى خالفت مصالحهم،فجاءت الرساله لتجديد التأكيد على تلك البنود لأنها كانت ضروره اجتماعيه لسائر الأفراد.

فمثلا:أن يكون العالم الدينى المطاع،زاهدا فى الدنيا،راغبا فيما عند اللّه.

إن هذا الأمر أخفاه علماء أهل الكتاب عن الجماهير، لأنه كان يتناقض مع مصالحهم العاجله فجاء القرآن يوضح هذا الأمر و يجدد التأكيد عليه،و ان على الناس التمرد على السلطان الجائر أمر أخر أخفاه أهل الكتاب،فجاء الإسلام يظهره إظهارا.

و جاءت الرساله مكمله،حيث ألغت بعض الأمور الهامشيه،التى اقتضى تشريعها ظروف خاصه مثل تحريم أقسام من اللحم كان يعقوب قد حرمها على نفسه،فحرمها اللّه على بنى إسرائيل مرحليا،لمجرد التأسى بيعقوب أو لتأديب

بنی إسرائیل،فجاء الإسلام لیعفو عن هذا التحریم.

یٰا أَهْلَ الْکِتٰابِ قَدْ جٰاءَکُمْ رَسُولُنٰا یُبَیِّنُ لَکُمْ کَثِیراً مِمّٰا کُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْکِتٰابِ وَ یَعْفُوا عَنْ کَثِیرٍ

رساله اللّه الکنز الأعظم:

و الرساله السماویه نور و کتاب،نور لأنها توقد فی ضمیر البشر مشعل العقل فیمشی فی ظلمات الحیاه بصیرا سویا.

إن رسالات السماء تذکر الإنسان بربه،و تفتح نوافذ بصیرته علی آیات اللّه فی الکون،إنها تذکره بعقله،و تحذره من الهوی و الشهوات و الغضب و الغفله، و بالتالی من کل ما یسد علیه أبواب المعرفه،و یحجب عنه أنوار العقل.

و إذا فتح عقل الإنسان،و استثیرت بصیرته،فانه سیعرف الکثیر من خفایا الحیاه،سواء تلک التی أوضحتها الرساله السماویه و فصلتها،أم لا.

بید ان اللّه لا یکتفی بإعطاء البشر نورا،بل یکمل علیهم النعمه،بأن یرسم لهم خریطه متکامله لدروب الحیاه،و یوضح لهم المسالک المهلکه،و الصراط المستقیم،و ذلک عبر تشریعات منفصله،و واضحه یسمیها القران ب(الکتاب) و یقول:

قَدْ جٰاءَکُمْ مِنَ اللّٰهِ نُورٌ وَ کِتٰابٌ مُبِینٌ

کیف تستحق هدی اللّه

؟ [۱۶]بید أن نور اللّه و کتابه،و بالتالی رسالته،لا تنفع إلا الذین یتبعون

مناهج اللّه التی فیها رضوانه،فالذی یتولی عنها سوف لا تعطیه رساله اللّه نورا فی القلب،و لا شریعه فی الحیاه.

إن عقل الإنسان یتبع إرادته،فلو أراد الإنسان أن یفهم،لتحرک نحو أسباب الفهم و لفتح عینه و سمعه و قلبه،و لبحث عن وسائل المعرفه.

أما الذی لا یرید أن یفهم،فإن عقله یدس فی تراب الجهل،و یخبت نوره إلی الأبد.

و الذی یرید الفهم علیه ان یجهد فی سبیل ذلک،بأن یبحث عن العلم،فإذا وجده عمل به،و کلما زاد عمل الإنسان فی شیء زاد علمه فیه.

اما من علم علما فلم یأبه به،و لم یعمل بهداه،فان العلم سیرتحل عنه بلا تودیع،

و قد جاء فی الحدیث :

«العلم یهتف بالعمل،فان أجابه و الا ارتحل » لذلک فان هدی اللّه لا یعطی الا لمن عمل به، و استعد لبذل الجهد فی سبیل تطبیقه،فاذا فعل البشر ذلک،فسوف تتوضح له دروب السلامه فی مختلف حقول الحیاه،درب السلامه فی:الاجتماع،و درب السلامه فی السیاسه،و فی الاقتصاد و هکذا.

ذلک لأن لکل حقل دربا سلیما،و دروبا مهلکه،تنتهی بسالکها الی المأساه،و هذه الدروب لا یهتدی إلیها الا العاملون فقط.

یَهْدِی بِهِ اللّٰهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوٰانَهُ سُبُلَ السَّلاٰمِ إن الذین یتبعون مناهج اللّه،یهدیهم ربهم للطرق السالمه فی الحیاه بعیدا عن

الطرق المهلكه.

وَ يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمٰاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ اى إن اللّه لا يكتفى بأن يرسم للبشر خريطه للحياه توضح لهم دروب السلامه بل و يعطيهم مشعل العقل و الايمان،حتى يكتشفوهم بأنفسهم هذه الدروب،و يستوضحوا ما خفى عنهم منها.

وَ يَهْدِيهِمْ إِلىٰ صِرٰاطٍ مُسْتَقِيمٍ اى أن سبل السلام تنتهى بالتالى الى صراط واحد مستقيم لا عوج فيه و لا انحراف ينتهى بصاحبه الى الجنه.

لقد كفر الذين قالوا:

[۱۷]و أبرز معالم الصراط المستقيم الذى هدى اللّه عباده اليه،و زودهم بنور العقل للمشى فيه،انه صراط التوحيد الخالص،بينما الطرق الأخرى إنما هى سبل الشرك،و الانحراف،و قد احتاجت البشريه جميعا،و بالذات اليهود و النصارى لهدايه اللّه،و تجديد رسالته لهم لأنهم انحرفوا عن هذا الصراط المستقيم فقالوا أقوالا كافره على أنبيائهم فمثلا قالت النصارى(أو طائفه منهم):إنّ اللّه قد حل فى المسيح حلولا،فأصبح المسيح هو اللّه؟! انها كلمه كفر،و صراط أعوج.أن يكون العبد العاجز الذى لا يملك لنفسه ضرا و لا نفعا،إلها يملك السموات و الأرض؟! أيه ضلاله أكبر من هذه الضلاله!ان يتصور البشر أن واحدا مثلهم يأكل و يشرب و يمشى فى الأسواق و تعتريه أسباب الضعف و العجز هو إله يملك الشمس

و القمر و النجوم و الكواكب؟! لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَ أُمَّهُ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً هل يملك المسيح القدره على منع اللّه من إهلاكه و إهلاك أمه،و الناس الذين يقولون عنه انه إله؟!كلا...ان المسيح أعجز من ذلك،فكيف يدعي انه إله سبحان اللّه و هل يفهم الذين يزعمون ان المسيح هو اللّه،هل يفهمون ما يقولون؟ هل يعرفون مقام الألوهيه...و أن اللّه يملك السموات و الأرض و انه يخلق،و انه قادر على كل شيء؟! انهم لو تصوروا قليلا ضخامه السموات و الأرض لصغرت فى أعينهم شخصيه المسيح على عظمته،و اعادوه الى مرتبه عبوديه اللّه.

هذه الأرض الواسعه بما فيها من قفار شاسعه،و بحار عظيمه،و جبال راسيه، و أنهار و احياء مختلفه، هل يملكها المسيح(من دون اللّه)أبدا هذا غير معقول! و هذه الشمس العملاقه التى لو وضعت أرضنا فيها لضاعت كما تضيع حلقه صغيره فى صحراء واسعه!!! هذه المجرات التى تحتوى على ألف الملايين من الشموس بعضها أكبر من شمسنا بحيث لو وضعت فيها شمسنا لضاعت كما تضيع حبه الرمل فى الصحراء.

و هذه الملايين من المجرات التى تسبح فى القضاء اللامتناهى،التى تضيع فيها مجرتنا على ضخامتها.

كل هذه يملكها اللّه،أم المسيح البشر الضعيف الذى لا يكاد يملأ حيزا من

الأرض؟!و من هو الجدير بالالوهيه اللّه أم المسيح بن مريم؟! وَ لِلّهِ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما بَيْنَهُما إن أحد الأسباب الرئيسيه للكفر أو الشرك هو جهل عظمه اللّه،و عدم معرفه سلطانه الواسع،و ملكوته العظيمه،و لذلك كلما تحدث القران عن الشرك بين جانبا من قدرته لينتزع من قلب الإنسان أهم أسباب الشرك به.

يَخْلُقُ ما يَشاءُ وَ اللّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [١٨]و حين قالت النصارى:ان المسيح ابن اللّه،أو إنه هو اللّه،فإن دافعهم النفسى كان التملص من مسئوليتهم كبشر.

انهم قالوا:ان المسيح هو اللّه،و نحن اتباعه المقربون اليه،فهو لن يعذبنا،بل سوف يقف حاجزا بين رب العرش و بيننا حتى لا نعذب بذنوبنا.

و هذه هى الضلاله الكبرى التى يقع فيها البشر،فما ذا ترجو من بشر لا يرى نفسه مسئوله عن الخطيئات التى يرتكبها؟أ فترجو منه سوى الجريمه و العدوان؟ وَ قالَتِ الْيَهُودُ وَ النَّصارى نَحْنُ أَبْناءُ اللّهِ وَ أَحِبّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ انظر كيف ان اللّه فضحهم و أكذب أحدوثتهم رأسا،و بلا مقدمات،فلم يناقش مسأله أنهم أبناؤه أم لا،بل ناقش قضيه المسؤوليه مباشره فقال:

ان الهدف الذى تبغونه من وراء هذه الدعاوى هو الخلاص من مسئوليه أعمالكم..كلا..إنكم مسئولون عنها،و ابسط دليل على ذلك مسئوليتكم فى الدنيا عن أعمالكم.إن الواحد منكم يشرب الخمر فيسكر و يجرح نفسه،أو

یمرض و یموت أو لیست هذه مسئولیه مباشره لعمل شرب الخمر،و الاخر منکم یأکل المیته و هی حرام،فیموت متأثرا بالجراثیم التی کانت فیها أو لیست هذه مسئولیه لحقت به جراء عمله.إذا فأنتم مسئولون عن أعمالکم،معذبون بسیئاتکم، و هذا ابسط دلیل علی انکم کسائر البشر خلقکم اللّه.

یَغْفِرُ لِمَنْ یَشٰاءُ وَ یُعَذِّبُ مَنْ یَشٰاءُ بلا حتم علیه من قبل الناس أنفسهم.

و عاد القران و ذکرنا بقدره اللّه،و ملکوته،لعلنا نتذکر استحاله اتخاذ اللّه لبعض عباده أبناء له.

وَ لِلّٰهِ مُلْکُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مٰا بَیْنَهُمٰا ثم ذکرنا مره اخری بالمسؤولیه أمامه،تجاه أعمالنا قائلا:

وَ إِلَیْهِ الْمَصِیرُ و هناک یعذب من یشاء و یغفر لمن یشاء.

ص:۳۴۰

[سوره المائده (۵): الآیات ۱۹ الی ۲۶]

اشاره

یا أَهْلَ اَلْکِتابِ قَدْ جاءَکُمْ رَسُولُنا یُبَیِّنُ لَکُمْ عَلی فَتْرَهٍ مِنَ اَلرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا ما جاءَنا مِنْ بَشِیرٍ وَ لا نَذِیرٍ فَقَدْ جاءَکُمْ بَشِیرٌ وَ نَذِیرٌ وَ اَللّهُ عَلی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ (۱۹) وَ إِذْ قالَ مُوسی لِقَوْمِهِ یا قَوْمِ اُذْکُرُوا نِعْمَتَ اَللّهِ عَلَیْکُمْ إِذْ جَعَلَ فِیکُمْ أَنْبِیاءَ وَ جَعَلَکُمْ مُلُوکاً وَ آتاکُمْ ما لَمْ یُؤْتِ أَحَداً مِنَ اَلْعالَمِینَ (۲۰) یا قَوْمِ اُدْخُلُوا اَلْأَرْضَ اَلْمُقَدَّسَهَ اَلَّتِی کَتَبَ اَللّهُ لَکُمْ وَ لا تَرْتَدُّوا عَلی أَدْبارِکُمْ فَتَنْقَلِبُوا خاسِرِینَ (۲۱) قالُوا یا مُوسی إِنَّ فِیها قَوْماً جَبّارِینَ وَ إِنّا لَنْ نَدْخُلَها حَتّی یَخْرُجُوا مِنْها فَإِنْ یَخْرُجُوا مِنْها فَإِنّا داخِلُونَ (۲۲) قالَ رَجُلانِ مِنَ اَلَّذِینَ یَخافُونَ أَنْعَمَ اَللّهُ عَلَیْهِمَا اُدْخُلُوا عَلَیْهِمُ اَلْبابَ فَإِذا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّکُمْ غالِبُونَ وَ عَلَی اَللّهِ فَتَوَکَّلُوا إِنْ کُنْتُمْ مُؤْمِنِینَ (۲۳) قالُوا یا مُوسی إِنّا لَنْ نَدْخُلَها أَبَداً ما دامُوا فِیها فَاذْهَبْ أَنْتَ وَ رَبُّکَ فَقاتِلا إِنّا هاهُنا قاعِدُونَ (۲۴) قالَ رَبِّ إِنِّی لا أَمْلِکُ إِلاّ نَفْسِی وَ أَخِی فَافْرُقْ بَیْنَنا وَ بَیْنَ اَلْقَوْمِ اَلْفاسِقِینَ (۲۵) قالَ فَإِنَّها مُحَرَّمَهٌ عَلَیْهِمْ أَرْبَعِینَ سَنَهً یَتِیهُونَ فِی اَلْأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَی اَلْقَوْمِ اَلْفاسِقِینَ (۲۶)

ص:۳۴۱

اللغه

۲۶ يتيهون:أصل التيه التحير الذى لا يهتدى لأجله للخروج عن الطريق الى الغرض المقصود.

ص:۳۴۲

بنو إسرائيل فی التیه

هدی من الآیات:

لقد استخدم القران أسلوب الترغیب فی الدرس السابق،لتشجیع بنی إسرائیل علی اتباع رساله الإسلام.

اما فی هذا الدرس،فقد استعمل التهدید المبطن،و قال:لو لم یلتف بنو إسرائیل حول الرساله،فان أخطارا کبیره تهددهم،و سوف یندمون من دون جدوی.

و ضرب لهم مثلا من تاریخهم،کیف أصابهم السوء بسبب عصیانهم أمرا من أوامر اللّه،و ها هم الیوم یخالفون رساله بکاملها فما ذا ینتظرون؟ لقد أمرهم اللّه علی لسان موسی بن عمران بأن یتذکروا نعم اللّه علیهم، و یلتزموا بتعهداتهم تجاه هذه النعم،و یدخلوا الأرض المقدسه سلما أو حربا، و لکنهم أبوا القتال،و خافوا من بطش الذین کانوا یسکنون فیها،و طالبوا نبیهم

بان يقوم هو و ربه بالقتال نيابه عنهم،بيد أن اللّه حرم المدينه عليهم،و جعلهم يتيهون فى الصحراء أربعين سنه.

و هكذا تكون عاقبه الذين يخالفون أوامر اللّه،و هكذا تكون عاقبه من لا يؤمن برسالاته.

بينات من الآيات:

استمراريه الرسالات:

[۱۹]الرساله السماويه مستمره سواء فى شخص الرسول أو فى أوصيائه، و حمله علمه و هديه،و بالتالى فانها لا تنقطع فى أى زمان،بيد انها قد تغتر، و تتباطأ خطواتها و تقدمها فى الحياه،و حينئذ يختار اللّه من عباده رسولا جديدا يعطى دفعا لمسيره الرساله،و يزيل عنها فترتها و تباطؤها.

و قد جاء الرسول صلى الله عليه و آله وفقا لهذه السنه الإلهيه،و الهدف من بعثته توضيح المسيره للناس بعد ان طمست التحريفات معالمها.

يٰا أَهْلَ الْكِتٰابِ قَدْ جٰاءَكُمْ رَسُولُنٰا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلىٰ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ و الرساله نعمه إضافيه للإنسان،فقد زود اللّه البشر بالعقل و العلم،و عليه أن يتجنب المهالك بهما.

و لكنه مع ذلك من عليه بالرساله إتماما لنعمته،و تكميلا لفضله،لكى لا يأتى غدا و يلقى بمسؤوليه هلاكه على اللّه سبحانه و يقول مثلا:يا رب لماذا لم تبعث رسلا فقد كنا غافلين جهله و ها هو اللّه قد بعث الرسل.

ص:۳۴۴

أَنْ تَقُولُوا مٰا جٰاءَنٰا مِنْ بَشِيرٍ وَ لاٰ نَذِيرٍ فَقَدْ جٰاءَكُمْ بَشِيرٌ وَ نَذِيرٌ و إذا اشهدوا على أنفسكم أن لو هلكتم فانما بسبب عملكم و سوء اختياركم.

وَ اللّٰهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فهو قادر على ان يعذبكم متى شاء إذا خالفتم الرسل،كما هو قادر على ان يبعث عليكم رسلا بالغيب و بصوره مخالفه لطبيعه الأشياء.

دور الأنبياء و مسئوليتهم:

ما هو دور الأنبياء و ما هى مسئوليه الأمه تجاههم؟ [٢٠]دور الأنبياء هو توجيه البشر الى ما فيه خيرهم،أما مسئوليه الأمه فهى العمل بذلك التوجيه،و من دون التوجيه لا توجد فرصه امام الناس للعمل، و من دون العمل لا يكفى التوجيه وحده و هذه قصه بنى إسرائيل مع رسلهم.

وَ إِذْ قٰالَ مُوسىٰ لِقَوْمِهِ يٰا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيٰاءَ وَ جَعَلَكُمْ مُلُوكاً الأنبياء جاءوا بتوصيات اتبعها الناس،فأصبحوا بسببها ملوكا فى الأرض، فلما أصبحوا ملوكا دبت فيهم آثار الرخاء فظنوا ان وصولهم الى الملك إنما هو من أنفسهم أو من اللّه،و لكن بسبب ان اللّه فضل عنصرهم على غيرهم تفضيلا عبثا و بدون حكمه،لذلك أوصاهم موسى بتذكر نعمه النبوه و انها لو أهملت فان الملك سوف ينزاح عنهم إلى غيرهم.

وَ آتٰاكُمْ مٰا لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِنَ الْعٰالَمِينَ

ليس عبثا!بل بسبب اتباعكم للرسل الذين جعل اللّه فيكم.

[۲۱]بعد ان بيّن موسى لقومه دور الأنبياء و مسئوليه الأمه تلقاء الأنبياء، و بعد ان ذكرهم بأن فى اتباع الأنبياء يصبح بنو إسرائيل ملوكا فى الأرض، أمرهم بدخول الأرض المقدسه(فلسطين)بعد ان قادهم من مصر عبر البحر الى تلك الأرض،و كان امر موسى حازما يشبه الأوامر العسكريه إذ قال:

يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللّٰهُ لَكُمْ وَ لاَ تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ إن اللّه كتب لبنى إسرائيل آنئذ بدخول فلسطين،لأنهم كانوا يمثلون الأمه المؤمنه الوحيده و لأن حكام فلسطين كانوا قوما جبارين يفسدون فى الأرض.

ثم حذرهم موسى من ان رجوعهم يسبب لهم الخساره.

التبرير افيون الحضاره:

[۲۲]أما رد بنى إسرائيل فكان جبانا بما فيه الكفايه و فوق ذلك و على أساس ايدلوجى فهو خاطئ،و هو أن على الأنبياء ان يهيئوا غيبا كل وسائل التقدم المادى بعيدا عن جهد البشر و لذلك قال بنو إسرائيل و بلا خجل:

قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ و انما كرروا كلمه موسى استعطافا و تذكيرا بدوره الغيبى فى عبور البحر، و هلاك فرعون،و لذلك شبهوا حكام فلسطين بحاكم مصر السابق،و ان كليهما كان جبارا.

وَ إِنّٰا لَنْ نَدْخُلَهٰا حَتّٰى يَخْرُجُوا مِنْهٰا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهٰا فَإِنّٰا دٰاخِلُونَ و كأن دخولهم المدينه بعد خروج الجبارين منه منهم على اللّه،أو انها طاعه يبتغون من ورائها ثوابا منه.

و الواقع ان هذا تفكير موجود عند كثير من الناس انهم يتبعون الأنبياء فقط فيما يخدم شهواتهم العاجله،ثم يعتبرون ذلك عملا عظيما.

[۲۳]بعد جوابهم الفاتر لأمر موسى سكت عنهم،و تولى مهمه إقناعهم بعض الحواريين من أصحابه.

قٰالَ رَجُلاٰنِ مِنَ الَّذِينَ يَخٰافُونَ أَنْعَمَ اللّٰهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبٰابَ فَإِذٰا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غٰالِبُونَ إذ انكم أنتم أصحاب الحق و انكم تتبعون آنئذ خطه المبادره بالهجوم، و تملكون ناصيه الموقف بالاقدام،ثم انكم تهدفون من وراء الحرب تحرير شعب هذه المدينه من ايدى الجبارين،و بذلك تنتصرون عليهم،بتعاون الشعوب معكم ضد الجبارين.

وَ عَلَى اللّٰهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ذلك ان التوكل على اللّه يزيدكم ثقه و روحا معنويه عاليه.

القياده مشعل هدايه لا واقع تبرير:

[۲۴]لقد كان هذا الرأى موقف رجلين فقط منهم،حيث حاولا اقناع الآخرين بضروره إتباع أوامر الرسول،اما الأكثريه الساحقه فقد خالفت انطلاقا

من فکره سلبیه متخلفه،حیث زعموا ان علی الله ان یوفر لهم النصر و یقدمه إلیهم فی طبق من ذهب.

قَالُوا یَا مُوسَیٰ إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَداً مَا دَامُوا فِیهَا و استخدموا أنواعا من التأکید اللفظی فی رفض دخولهم المدینه لقتال الجبارین فیها فقالوا:(لن)الداله علی نفی الأبد،و أضافوا إلیها کلمه أبدا للدلاله علی ان کل المحاولات المبذوله لإقناعهم بضروره الجهاد،ستذهب سدی، و ان الحل الوحید هو صنع النصر و اعطاؤهم إیاه جاهزا.

فَاذْهَبْ أَنْتَ وَ رَبُّکَ فَقَاتِلاَ إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ان نظره الناس الی الدین تختلف اختلافا یکاد یکون متناقضا فبینما یؤمن البعض بالدین لیجدوا فیه برنامجا للعمل الصادق،و أسلوبا للتضحیه السخیه، و قیاده رشیده للجهاد من أجل التحرر و التطویر،نجد آخرین یؤمنون بالدین و بالقیاده الدینیه لتحمل عنهم مشاکل الحیاه و تقوم بدلا عنهم بالعمل من أجل حلها.

و إذا لم تحلّ مشاکلهم بالدّین صبوا علیه جام غضبهم،و کفروا به و بقیادته کما یفعل المسلمون الیوم الذین نبذوا الدین لأنه لم یمنحهم التقدم،بینما السبب فی تخلفهم انما هو تقاعسهم عن العمل الصادق.

النصاری الذین زعموا ان المسیح یفدیهم بنفسه و یخلصهم من شرور أنفسهم، و من سیئات أعمالهم کانوا من هذا النوع،و الیهود الذین و کلوا الله عنهم فی الحرب کانوا هکذا أیضا من أصحاب هذه الفکره.

بینما المسلمون الصادقون استجابوا للرسول عند ما ناقشهم فی الحرب(فی

بـدر)فقـال له المقـداد:نحن لا نقول لک مثل ما قالت اليهود لنبيهم(فَاذْهَبْ أَنْتَ وَ رَبُّکَ فَقٰاتِلاٰ)بل نحن نقول:لو اسـتعرضت بنا هذا البحر لخضناه معک، ما تخلف منا رجل واحد.

[۲۵]ان اتباع القياده بصدق هو هذا الاتباع لا ذاک،لذلک تبرأ موسى من قومه،و قال:

قٰالَ رَبِّ إِنِّی لاٰ أَمْلِکُ إِلاّٰ نَفْسِی وَ أَخِی فَافْرُقْ بَیْنَنٰا وَ بَیْنَ الْقَوْمِ الْفٰاسِقِینَ ان اخطر بلاء ينزل على الأمه اللامسؤوله التى تلقى بأعبائهـا على كاهـل قيادتها و تتقاعس عن العمل هو:حرمانها من تلک القياده،حيث ينفصل عنها قادتها المصـلحون بعـد التأكيد من أن لا رجاء فى إصلاحهم.

لقد تبرأ موسى من قومه و انفصل عنهم و رماهم بالفسق.

[۲۶]امـا الجزاء الثـانى:فهو البقـاء فى التخلف لاـن هـذه الامه لم ترض بـدفع ضـريبه التقـدم و هى الجهاد،لـذلک كان جزاء بنى إسـرائيل عند ما تقاعسوا عن حرب الجبارين أن بقوا فى التيه،كما أن جزاء كل أمه لا تتبع قيادتها الرساليه، هو بقاؤها فى مسـتنقع الضلاله و التخلف حتى تعرف أهميه القياده،و تعود الى رشدها.

قٰالَ فَإِنَّهٰا مُحَرَّمَةٌ عَلَیْهِمْ أَرْبَعِینَ سَنَةً یَتِیهُونَ فِی الْأَرْضِ فَلاٰ تَأْسَ عَلَی الْقَوْمِ الْفٰاسِقِینَ ان موسـى تبرأ من قومه و طلب من ربه بأن يفرق بينهم و بينه،و قد استجاب له الله و طلب منه ان ينسى هموم قومه،و لا يأسف على ما يصل إليهم.

[سوره المائده (۵): الآیات ۲۷ الی ۳۲]

اشاره

وَ اُتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ اِبْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبا قُرْباناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِما وَ لَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ اَلْآخَرِ قالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قالَ إِنَّما يَتَقَبَّلُ اَللّٰهُ مِنَ اَلْمُتَّقِينَ (۲۷) لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي ما أَنَا بِباسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخافُ اَللّٰهَ رَبَّ اَلْعالَمِينَ (۲۸) إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَ إِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحابِ اَلنّارِ وَ ذٰلِكَ جَزاءُ اَلظّالِمِينَ (۲۹) فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ اَلْخاسِرِينَ (۳۰) فَبَعَثَ اَللّٰهُ غُراباً يَبْحَثُ فِي اَلْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قالَ يا وَيْلَتىٰ أَ عَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هٰذَا اَلْغُرابِ فَأُوارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ اَلنّادِمِينَ (۳۱) مِنْ أَجْلِ ذٰلِكَ كَتَبْنا عَلىٰ بَنِي إِسْرائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسادٍ فِي اَلْأَرْضِ فَكَأَنَّما قَتَلَ اَلنّاسَ جَمِيعاً وَ مَنْ أَحْياها فَكَأَنَّما أَحْيَا اَلنّاسَ جَمِيعاً وَ لَقَدْ جاءَتْهُمْ رُسُلُنا بِالْبَيِّناتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ بَعْدَ ذٰلِكَ فِي اَلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ (۳۲)

اللغه

۲۷[قربانا]:القربان ما يقصد به القرب من رحمه الله من اعمال البر.

۲۸[بسطت]:البسط:المد و هو ضد القبض.

۲۹[تبوء]:تبوء ترجع« وَ بٰاؤُ بِغَضَبٍ مِنَ اللّٰهِ »ای رجعوا،و البوء الرجوع بالقود.

۳۰[فطوعت]:انقادت له و سولت.

۳۱[يواری]:يقال واريت كذا إذا سترته،و توارى استتر.

ص:۳۵۰

[سوءه أخى]:جيفته أو عورته.

دوافع الصراع و آثاره النفسيه

بينات من الآيات:

الاستعلاء فی قصه الاعتداء الاول:

[۲۷]قصه ابنی آدم تحتوی علی عبر حقه،فبالاضافه الی انها بـذاتها قصه واقعیه،فان الهدف منها واقعی و حق،و هو تحقیق السـلام بین أبناء أدم.

و کما لا نرضـی ان یعتدی أخ علی أخیه و کلاهما ابنا لآدم،کذلک علینا ان لا نرض اعتداء بشـر علی بشر،لأنهما من أبناء آدم و هما بالتالی أخوان.

وَ اتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبٰا قُرْبٰاناً و ضحیا بأضحیه فی سبیل الله.

فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمٰا وَ لَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قٰالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ان الـدافع الـذی بعث قابیل الی ارتکاب أول جریمه قتل فی تاریخ البشـریه هو

ص:۳۵۲

دافع الحسد،و هی غریزه الحرص علی التفوق و الاستعلاء.

إن البشریه بإمکانها ان تتقاسم بینها خیرات الأرض دون الحاجه الی الاقتتال،إذ أن الله وفر للبشریه ضرورات حیاتها فهی لا تحتاج الی الصراع مع بعضها من أجل الحصول علی هذه الضرورات.

و لکن الحروب انما کانت من ثوره غریزه الاستعلاء الشیطانیه التی یجب لجمها و تحدیدها.

ان قابیل لم یقتل أخاه من أجل الصراع علی البقاء کما یزعم المذهب الدار و ینی،و لا من أجل الحصول علی بنت أجمل کما یزعم المذهب الفرویدی، و لا-من أجل سوء التربیه و ضغوط الاجتماع،أو الصراع الطبقی أو غیرها مما تزعمها المذاهب الاجتماعیه المختلفه،کلا،و لکنه قتله لحب الاستعلاء و الحسد، و إذا سیطرت البشریه علی غریزه الاستعلاء فی ذاتها فقد وفقت للعیش بسلام مع بعضها و انتزعت من نفسها فتیل الحروب.

لقد کان موقف هابیل أمام التهدید بالاعتداء موقف المسالم.

قالَ إِنَّما یَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِینَ

عبرتان:

الاولی:ان کثیرا من الحروب تقع بدافع الخوف من الاعتداء فمثلا:تخشی دوله معینه من اعتداء جارتها علیها،فتتسلح،و حین تری جارتها عملیه التسلح تخشی هی بدورها فتتسلح هی الاخری فتخشی إحداهما من مبادره الاخری بالهجوم فتهجم،فتدافع الاخری عن ذاتها،و بالتالی تجد ان کلتا الدولتین

أقحمت فی اتون الحرب من دون اراده مسبقه لها،بل استسلاما لدافع الخوف.

من هنا توحی إلینا قصه ابنی آدم بأن الخوف من الاعتـداء،لیس سـببا معقولا للاعتـداء حیث ان هابیل(القتیل)أجاب علی التهدید بالقتل بکلام تربوی،و صرح بعدئذ(فی الایه التالیه)بأنه لن یمد یده لقتل أخیه.

الثانیه:ان الاستعلاء لیس طریقا للعلو فمن یرید الصعود الی الجبل لا یکفیه ان یقف علی السفح و یمنی نفسه بالصعود،أو یعارض من یصـعد،بـل علیه ان یحرک نفسه و یعمل علی تغییر ذاته حتی یصـعد.و الله لا یتقبل عمل أحـد، و بالتالی لا یبارکه،و لا یوفقه للنجاح إذا لم یغیر ذاته و یتق الله.

فمن یعمـل من أجـل تحصـیل العلم ثم لا یصل الیه،و یری الآخرین أصـبحوا علماء فلیس الطریق الأفضل له ان یعارض العلماء و یناصـبهم العداء،بل من الأفضل و الأنفع له أن یراجع نفسه لیجد ان فیها خللا ما منعه عن الوصول الی العلم،فیصححه و هکذا إذا یکون منطلق التقـدم هو هـذا المبـدأ(إِنَّمٰا یَتَقَبَّلُ اللّٰهُ مِنَ الْمُتَّقِینَ)إذ انهم وحـدهم الـذین یصـلحون أنفسـهم فیساعدهم اللّه علی ذلک.

[۲۸] لَئِنْ بَسَـطْتَ إِلَیَّ یَـدَکَ لِتَقْتُلَنِی مٰا أَنَا بِبٰاسِطٍ یَـدِیَ إِلَیْکَ لِأَقْتُلَکَ و بـذلک صـرح القرآن بأن التهدیـد لیس مسوغا للمبادره بـالجریمه،و إذا اسـتطاع الإنسـان ان یقاوم إغراء التهدیـد فلا یقتل الناس و لا یشن الحروب الابتـدائیه ضـد الآخرین، لأن نصـف الحروب تصبح بلا مبرر و بلا دافع إلیها.

إذا فما الذی یساعدنا علی ضـبط الشعور بالخوف من الآخرین،و بالتالی تحدید غریزه المبادره بعد التهدید؟ الجواب:هو الخوف من الله فهو خوف یقاوم الخوف من البشر،فلأنک تخشی

ص:۳۵۴

الناس تريد ان تشن الحرب عليهم و لكنك من جهه اخرى تخاف الله فتحجم عن شن الحرب على عباده،و لذلک قال هابيل:

إِنِّى أَخافُ اللّهَ رَبَّ الْعالَمِينَ و لان الله هو رب العباد فهو يحبهم،و لا يرضى لواحد ان يعتدى عليهم.

و كلمه اخيره ان هذا الموقف من هابيل لا يدل على الاستسلام للظلم فالإسلام يأمر بكل وضوح و جديه بضروره مقاومه الظالمين،و لكن بعد ان يبدؤا فعلا فى ظلمهم أو فيما يؤدى اليه بالتاكيد.

و هابيل لم يكن يصدق ان قابيل قاتله،بل ربما كان يظن ان كلامه كان مجرد تهديد أو لا أقل كان يحتمل ذلک،و قد قتل غيله.

[۲۹]ثم قال هابيل الذى لم يشأ ان يصبح المجرم.حتى و لو كان ذلک يؤدى به الى ان يصبح الضحيه:

إِنِّى أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِى وَ إِثْمِکَ حيث ان القاتل بغير حق سيتحمل أوزار القتيل يوم القيامه،بينما يغفر الله للقتيل ذنوبه رحمه به.

فَتَكُونَ مِنْ أَصْحابِ النّارِ وَ ذلِکَ جَزاءُ الظّالِمِينَ حيث يتضاعف اثمهم بسبب ظلمهم للناس.

[۳۰]النفس الاماره بالسوء تهون فى عين الإنسان الجرائم الكبيره إرضاء للشهوات العاجله،و قابيل كان يستعظم فى البدء الاعتداء على حياه أخيه،حيث

أودع الله فی فطره الإنسان احترام الحیاه و تکریم الآخرین،بید ان نفسه طوعت له،و ذللت هذه الجریمه.

فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِیهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخٰاسِرِینَ خسر فطرته النقیه،و خسر أخاه الکریم،و خسر حیاته الهادئه،و خسر مستقبله فی الآخره.

[۳۱]قتل أخاه و تورط فی الأمر،ماذا یفعل بجسد أخیه..بهذه العلامه الواضحه لجریمته؟!و هنا بعث الله غرابا،یثیر الأرض بمنقاره فانهار کبریاء قابیل الکاذب،و تهاوی صرح غروره،و عادت الیه فطرته،و قد خمدت جذوه الغضب السابقه التی کانت قد حجبت عنه عقله،و قال لنفسه:کم انا عاجز و کم کنت مغرورا بنفسی فهذا الغراب عرفنی کیف ادفن جسد اخی!!! فَبَعَثَ اللّٰهُ غُرٰاباً یَبْحَثُ فِی الْأَرْضِ لِیُرِیَهُ کَیْفَ یُوٰارِی سَوْأَهَ أَخِیهِ قٰالَ یٰا وَیْلَتیٰ أَ عَجَزْتُ أَنْ أَکُونَ مِثْلَ هٰذَا الْغُرٰابِ فَأُوٰارِیَ سَوْأَهَ أَخِی فَأَصْبَحَ مِنَ النّٰادِمِینَ [۳۲]أ رایت کیف قضی قابیل علی حیاه أخیه،و کیف ندم علی فعلته دون ان ینفعه الندم أ رأیت کم هی عظیمه و مؤلمه جریمه القتل، لذلک احترمت الشرائع السماویه حیاه الإنسان و جعلت حیاه کل فرد مساویه لحیاه الناس جمیعا.

مِنْ أَجْلِ ذٰلِکَ کَتَبْنٰا عَلیٰ بَنِی إِسْرٰائِیلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَیْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسٰادٍ فِی الْأَرْضِ حیث یجوز القتل قصاصا أو لمنع الفساد کما یبینه الدرس القادم،اما فی غیر ذلک فان قتل نفس واحده،تکون بمثابه قتل النفوس جمیعا....

فَكَأَنَّمٰا قَتَلَ النّٰاسَ جَمِيعاً وَ مَنْ أَحْيٰاهٰا فَكَأَنَّمٰا أَحْيَا النّٰاسَ جَمِيعاً ان احترام الحياه عند الشرائع السماويه،و الإسلام بالذات،لا تعود الى حياه هذا الشخص أو ذاك،بل الى الحياه كحياه أيا كانت خصائصها و ميزاتها، لا فرق بين الطفل الرضيع،و رئيس البلاد،أو بين المؤمن الصالح أو الإنسان العادى،أو بين عدوى و صديقى،المهم ان الحياه محترمه،و لو استهان المجتمع بحياه واحد منهم فان الحياه كلها فى خطر.

وَ لَقَدْ جٰاءَتْهُمْ رُسُلُنٰا بِالْبَيِّنٰاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ بَعْدَ ذٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ يتجاوزون حدودهم،حتى ينتهى ذلك بهم الى الجريمه الفاحشه.

ص:۳۵۷

[سوره المائده (۵): الآيات ۳۳ الی ۳۴]

اشاره

إِنَّمٰا جَزٰاءُ اَلَّذِينَ يُحٰارِبُونَ اَللّٰهَ وَ رَسُولَهُ وَ يَسْعَوْنَ فِي اَلْأَرْضِ فَسٰاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَ أَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلاٰفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ اَلْأَرْضِ ذٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي اَلدُّنْيٰا وَ لَهُمْ فِي اَلْآخِرَةِ عَذٰابٌ عَظِيمٌ (۳۳) إِلاَّ اَلَّذِينَ تٰابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اَللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (۳۴)

اللغه

۳۳[ينفوا]:النفی و الطرد.

[خزی]:الخزی الفضيحه.

ص:۳۵۸

جزاء المحارب

هدى من الآيات:

فی الآیات السابقه تحدث القران الحکیم عن القتل الذی یقع بسبب الفساد فی الأرض،و فی هذا الدرس یفصل الحدیث و یبین ضروره قتل هذه الفئه المفسده أو صلبهم أو إخراجهم من الأرض،الا ان الله یذکرنا بأن العقوبه لا تکفی وحدها فی ردع المجرمین،بل لا بد ان یعرف المجرم ان جزاء عمله الحقیقی هو عذاب الله فی یوم القیامه،ثم یفتح الله باب رحمته حین یلغی العقوبه لأولئک الذین یتوبون قبل ان یقدر علیهم النظام الاسلامی،و هذا بدوره طریق لردع المجرمین عن التمادی فی فسادهم.

بینات من الآیات:

الجریمه و العقاب:

[۳۳] إِنَّمٰا جَزٰاءُ الَّذِینَ یُحٰارِبُونَ اللّٰهَ وَ رَسُولَهُ وَ یَسْعَوْنَ فِی الْأَرْضِ فَسٰاداً

ما هی محاربه الله و رسوله؟ ان محاربه الله لیست بشهر السلاح ضده سبحانه،کما ان محاربه الرسول لیست دائما بشهر السلاح ضده،انما المحاربه الحقیقیه هی:مقاومه النظام الاسلامی الذی یقوده الرسول أو خلفاؤه مقاومه مسلحه،مما یسبب الفساد فی الأرض و تغییرا فی النظام الذی یصلح الأشیاء.

ان فساد المجتمع هو:تغییر نظامه القائم،و اشاعه الفوضی فیه،و تعکیر صفو الأمن،و إفساد الزراعه بتغییر نظام الری و المساقاه فیها،و عدم تطبیق واجبات الزراعه من تسمید و تشذیب،و اختیار الموسم المناسب.

و مثل الزراعه الصناعه و التجاره و غیرها من حقول الحیاه المختلفه،و جزاء من یشیع الفساد بمقاومه الانظمه الطبیعیه أو التشریعیه التی وضعها الله سبحانه هو واحد من الأمور التالیه:اما القتل بالسیف أو الصلب أو قطع الایدی و الأرجل من الیمین و الیسار،و إما إخراجهم من الأرض.

أَنْ یُقَتَّلُوا أَوْ یُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَیْدِیهِمْ وَ أَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلاٰفٍ أَوْ یُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذٰلِکَ لَهُمْ خِزْیٌ فِی الدُّنْیٰا و هؤلاء الذین یقاومون النظام الصالح بالقوه انما یطغون طمعا فی العزه،و هذه العقوبات تسبب لهم خزیا و ذله و صغارا..

وَ لَهُمْ فِی الْآخِرَهِ عَذٰابٌ عَظِیمٌ فان لم یرتدعوا بالعقوبه الدنیویه أو یزعموا انهم یفلتون من ید العداله فی الدنیا،فان الاخره قریبه،و عذاب الله العظیم ینتظرهم.

الهروب الی التوبه أسلم:

[۳۴]و یفتح الله امام المفسدین فی الأرض باب التوبه لکی یرجعوا الی رشدهم و لا یهرقوا دماء أبناء الامه،و یقول سبحانه:

إِلاَّ الَّذِينَ تابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ و أمر قبول توبه هؤلاء أو ردها انما هو الی الامام الذی یمثل القائد الأعلی للدوله،لأنه قد لا تکون التوبه الا تکتیکا مؤقتا لجمع السلاح و الأموال للعوده الی القتال،و کلمه اخیره:ان هذه الفئه تشمل قطاع الطرق و المتمردین ضد النظام الاسلامی بالسلاح،کما تشمل القوات المسلحه التی تدعم انظمه الطاغوت المستبده بمصیر الشعوب،و المفسده فی الأرض لذلک لو انتصرت الثوره الاسلامیه،سیکون لها الحق فی ملاحقه هؤلاء جمیعا بتهمه الفساد فی الأرض، و محاربه الله و رسوله،و النظام الاسلامی الصالح، و بالتالی إنزال أشد العقوبات علیهم،و مثل القوات المسلحه،کل أرکان النظام الطاغوتی مثل کبار رجال الأمن،و الاعلام،و الوزراء العاملین فی بالفساد.

ص:۳۶۱

[سوره المائده (۵): الآیات ۳۵ الی ۳۷]

اشاره

یٰا أَیُّهَا اَلَّذِینَ آمَنُوا اِتَّقُوا اَللّٰهَ وَ اِبْتَغُوا إِلَیْهِ اَلْوَسِیلَهَ وَ جٰاهِدُوا فِی سَبِیلِهِ لَعَلَّکُمْ تُفْلِحُونَ (۳۵) إِنَّ اَلَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مٰا فِی اَلْأَرْضِ جَمِیعاً وَ مِثْلَهُ مَعَهُ لِیَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذٰابِ یَوْمِ اَلْقِیٰامَهِ مٰا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَ لَهُمْ عَذٰابٌ أَلِیمٌ (۳۶) یُرِیدُونَ أَنْ یَخْرُجُوا مِنَ اَلنّٰارِ وَ مٰا هُمْ بِخٰارِجِینَ مِنْهٰا وَ لَهُمْ عَذٰابٌ مُقِیمٌ (۳۷)

اللغه

۳۵ الوسیله:الوصله و القربه.

ص:۳۶۲

الحسره الكبرى

هدى من الآيات:

ان النظام الاسلامی الذی یصلح الأرض و ما فیها بحاجه الی التعهد و الالتزام و التقوی،و بحاجه الی النشاط فی سبیل الله بهدف الوصول الی رضوانه، و الی الکمال الرفیع الذی هو فیه سبحانه،و بحاجه الی الجهاد و مقاومه العقبات البشریه و الطبیعیه التی تعترض طریق تطبیق النظام،هذه الشروط لو توفرت لأثمرت بالفلاح و الحیاه السعیده.

اما الذین لا یطبقون هذا النظام الصالح،و یکفرون به،فان عذاب الله ینتظرهم و لا مناص لهم حتی لو دفعوا کل أموالهم فدیه لیتخلصوا منه،انهم یحاولون عبثا بصوره مستمره التخلص منه،و لکن عذاب الله مقیم دائم.

بینات من الآیات:

حقیقه النظام الاسلامی:

[۳۵]النظام الاسلامی الذی یعبر عن وحی الفطره و سنن الحیاه،لا یمکن

تطبيقه بالقوه،بل بالالتزام الذاتی(و هو التقوی)فبالحذر من عذاب الله یتجنب الفرد المزالق التی تؤدی به الی الهلاک.

الکمال المنشود:

یٰا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّٰهَ و التقوی یجب الا تکون طریقا الی الجمود و السکون،بل وسیله للتحرک المستمر للوصول الی الکمال الأرفع،الذی هو عند الله سبحانه،فلله الأسماء الحسنی،و الکون کله یسعی من أجل الکمال الذی لا یبلغه الا عند ربه،و لذلک نجد موکب الوجود متصاعدا الی ذلک الرفیق الأعلی،و الإنسان لا یشذ عن هذه الحرکه لو سلمت فطرته الاولیه، فهو بفطرته یسعی من أجل العلم و القدره و المحبه و الجمال و سائر الأسماء الحسنی التی هی لله وحده.

و علی البشر الا یترک طریقه یمکن ان تصل به الی تلک الأسماء الا اتبعها و سار فیها دون ای توان أو کسل،لان ذلک هو الهدف الأسمی له فی الحیاه،ان النشاط المکثف و الحرکه الدائمه فی طریق الله و بلوغ أسمائه الحسنی هو الکفیل بتکامل البشر و تصاعده،لذلک قال ربنا:

وَ ابْتَغُوا إِلَیْهِ الْوَسِیلَهَ

الوسیله الی الله:

ترک السیاق کلمه الوسیله عامه مطلقه تشمل کل الوسائل الحقیقیه التی تؤدی بناء الی الله،و الی أسمائه الحسنی من العلم و القدره و المحبه و الجمال.

ص:۳۶۴

و غيرها،فالصلاه و الصيام و الحج و الزكاه و الصدقه و الفداء وسيله،و التأليف و الخطابه و التوجيه الى الله وسيله،و هكذا.

و كما تتنوع الوسائل الى الله تختلف مواهب الإنسان التى يجب على كل شخص ان يفجرها جميعا و الا يدخر منها شيئا...فان الموهبه التى تدخرها تبلى و تفنى،و الطاقه التى لا تصرفها اليوم لا تستطيع ان تصرفها غدا لأنها فنيت، لذلك يجب الجهاد و مقاومه كل العقبات النفسيه التى تعترض طريق الإنسان الصاعد الى الله...الى الرفيق الأعلى.

وَ جٰاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ

لا للفداء:

[۳۶]ان هذه الطاقات و الامكانات التى نملكها اليوم،انما هى وقود مسيرتنا المتصاعده الى ربنا العزيز،فلو بخلنا بها فلنعلم انها لا تخلد لنا و لا تبقى،و نبقى نحن و ذنوبنا التى نود غدا-فى يوم البعث-ان ينقذنا منها الله،حتى و لو كان ذلك بإعطاء كل ما نملك،و لكن هل نملك فى ذلك اليوم شيئا؟! إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مٰا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَ مِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذٰابِ يَوْمِ الْقِيٰامَةِ مٰا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَ لَهُمْ عَذٰابٌ أَلِيمٌ اذن دعنا نستخدم ما خوله الله لنا من طاقات و امكانات فى سبيل الوصول الى الله،و نجعلها وسيله التصاعد،و لا نجعلها-كما يفعل الكفار-حجابا بيننا و بين ربنا العزيز.

[۳۷]من شده الألم فى عذاب يوم القيامه،لا ينفك الكفار المعذبون هناك

من محاولاتهم اليائسه للخلاص من العـذاب،و تلك المحاولات التی لو بـذلوا شـيئا بسـيطا منها فی الدنيا،لأنقذهم الله بها فی هذا اليوم.

يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النّارِ وَ ما هُمْ بِخارِجِينَ مِنْها وَ لَهُمْ عَذابٌ مُقِيمٌ مستمر و غير منقوص.

ص:۳۶۶

[سوره المائده (۵): الآيات ۳۸ الى ۴۰]

اشاره

وَ اَلسّارِقُ وَ اَلسّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُما جَزاءً بِما كَسَبا نَكالاً مِنَ اَللّهِ وَ اَللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (۳۸) فَمَنْ تابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَ أَصْلَحَ فَإِنَّ اَللّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اَللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (۳۹) أَ لَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اَللّهَ لَهُ مُلْكُ اَلسَّماواتِ وَ اَلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ وَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ وَ اَللّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (۴۰)

ص:۳۶۷

کيف نحقق الأمن الاجتماعی

هدی من الآيات:

فی سياق ذكر الجرائم و عقوبتها،التی بـدأها القرآن فی الدروس السابقه، يبين القرآن جريمه السـرقه التی هی اعتداء غير مسـلح علی أمن المجتمع،فيحكم بضروره قطع اليد جزاء لما ارتكبت من جريمه،نكالا من اللّه.

و لكن لا يعنی إنزال هذه العقوبه الشديده علی السارق الغاء شـخصه من قائمه المجتمع،بل إذا تاب و أصلح ماضيه فان اللّه غفور رحيم،و كذلك ليست العقوبات فی الإسلام تشفيا و انتقاما.

و مغفره اللّه تتناسب مع مقـدرته و ملكوته،و ان له ما فی السـموات و الأرض لـذلك يعـذب من يشاء و يغفر لمن يشاء و لذلك يجب ان لا يبخل البشر فی كرم ربه الواسع.

بينات من الآيات:

اشاره

[۳۸]حين تمتد يد خائنه الی ملك الآخرين فانها تمتد الی الأمن فی البلد

ص:۳۶۸

و تجعل كل فرد قلقا على مصير جهوده التى حصل بها على هذا المال،بالضبط كما ان قتل نفس واحده بمثابه قتل الناس جميعا،لأنه يهدد امن المجتمع كله،و حين ينعدم الأمن فى البلد لا يجد الناس ذلك الدافع القوى نحو بناء وطنهم،و تفجير طاقاتهم،و تخزين ثروتهم للمستقبل-من هنا كان جزاء السارق شديدا فى الإسلام-بالرغم من انه لا يبلغ قساوه العقوبات التى فرضتها بعض الانظمه بقتل السارق،انما يوجب قطع يد السارق لتكون جزاء و عبره.

وَ السّارِقُ وَ السّارِقَهُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُما جَزاءً بِما كَسَبا نَكالاً مِنَ اللّهِ وَ اللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

حد القطع:

و يقول الفقهاء انه تقطع أصابع اليد اليمنى فيما لو كانت السرقه من حرز، و يبدو لى ان العقوبه يجب ان تقتصر على أقل قدر ممكن،و أقل ما فى اليد الأصابع كما ان السرقه من غير حرز قد لا تعتبر سرقه فى مفهوم العرف.

و الدوله الاسلاميه مظهر لعزه اللّه و قوته و قدرته و حاكميته،كما هى مظهر لحكمه اللّه و هداه و صلاح نظامه و تشريعه.

الهروب إلى التوبه أسلم:

[٣٩]فى كل جريمه،الهدف الاساسى للإسلام تزكيه المجتمع منها و من آثارها،و ليس الهدف الانتقام من الفاعلين من هنا يفتح اللّه امام المجرمين باب التوبه،و لكن يشترط عليهم الا تكون توبتهم لفظيه،بل توبه نصوحا تتجلى فى

إصلاح الفساد الذى عملوه بجريمتهم.

فَمَنْ تابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَ أَصْلَحَ فَإِنَّ اللّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ

حقيقه التوبه:

اما من ترك السرقه و لم يدفع الأموال المسروقه الى أصحابها،أو ترك السرقه لصعوبتها و اشتغل بالاحتيال و الرشوه و الفسق فان توبته ليست حقيقيه،و لا تسعه رحمه اللّه التى وسعت كل شىء و اللّه غفور يطهر قلب الإنسان و وجدان المجتمع،و صحيفه الأعمال،يطهر كل ذلك من اثار الذنب الذى ارتكبه الفرد حتى كأنه لم يرتكب ذنبا،و اللّه رحيم يتفضل على التائب الذى تستقيم سيرته بالنعم و الرخاء و السعاده التى زعم انه يجدها فى ارتكاب المعصيه.

[۴۰]و اللّه لا يخشى الناس،و لذلك لا يتعامل معهم بظلم أو بقسوه،و الدوله الاسلاميه يجب ان تكون كذلك لا تندفع نحو الإرهاب خشيه الناس،و خوفا من قيامهم ضدها.كلا.بل يجب عليها ان تتوب عليهم إذا أصلحوا،و تعتمد على قدره اللّه الواسعه.

أَ لَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ وَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ وَ اللّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ و لان قدره اللّه واسعه و ملكه عظيم،فعلى الإنسان ان يرهب جانبه و يتقيه و لا يستهين بأوامره و تعاليمه سبحانه،كما ان عليه ان يتوكل على اللّه فى اكتساب المعاش دون خوف من فشل أو انتكاس.

و بكلمه،ان معرفه أسماء اللّه الحسنى و من أبرزها..رحمته و قدرته،تنعكس

على السلوك البشرى فى صوره صفات مثلى.لذلك يذكرنا القرآن بها قبل و بعد بيان الأحكام،و علينا ان نتذكرها كلما أردنا تربيه أنفسنا أو مجتمعنا على السلوك الحسن.

[سوره المائده (۵): الآیات ۴۱ الی ۴۳]

اشاره

یٰا أَیُّهَا اَلرَّسُولُ لاٰ یَحْزُنْکَ اَلَّذِینَ یُسٰارِعُونَ فِی اَلْکُفْرِ مِنَ اَلَّذِینَ قٰالُوا آمَنّٰا بِأَفْوٰاهِهِمْ وَ لَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَ مِنَ اَلَّذِینَ هٰادُوا سَمّٰاعُونَ لِلْکَذِبِ سَمّٰاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِینَ لَمْ یَأْتُوکَ یُحَرِّفُونَ اَلْکَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوٰاضِعِهِ یَقُولُونَ إِنْ أُوتِیتُمْ هٰذٰا فَخُذُوهُ وَ إِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَ مَنْ یُرِدِ اَللّٰهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِکَ لَهُ مِنَ اَللّٰهِ شَیْئاً أُولٰئِکَ اَلَّذِینَ لَمْ یُرِدِ اَللّٰهُ أَنْ یُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِی اَلدُّنْیٰا خِزْیٌ وَ لَهُمْ فِی اَلْآخِرَهِ عَذٰابٌ عَظِیمٌ (۴۱) سَمّٰاعُونَ لِلْکَذِبِ أَکّٰالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جٰاؤُکَ فَاحْکُمْ بَیْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَ إِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ یَضُرُّوکَ شَیْئاً وَ إِنْ حَکَمْتَ فَاحْکُمْ بَیْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اَللّٰهَ یُحِبُّ اَلْمُقْسِطِینَ (۴۲) وَ کَیْفَ یُحَکِّمُونَکَ وَ عِنْدَهُمُ اَلتَّوْرٰاهُ فِیهٰا حُکْمُ اَللّٰهِ ثُمَّ یَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذٰلِکَ وَ مٰا أُولٰئِکَ بِالْمُؤْمِنِینَ (۴۳)

اللغه

۴۳ سَمّٰاعُونَ لِلْکَذِبِ :قابلون له یقال لا تستمع من فلان قوله ای لا تقبل و منه سمع اللّٰه لمن حمده ای تقبل اللّٰه منه.

ص:۳۷۲

للسحت:أصل السحت الاستنصال يقال سحته و أسحته اى استأصله و يقال للعالق أسحت اى استؤصل

ص:۳۷۳

حواجز تطبيق الشريعه

هدى من الآيات:

فى سياق الحديث عن الأحكام الاسلاميه يبيّن القرآن الحكيم طائفه من الحواجز النفسيه و الاجتماعيه التى تقف فى طريق تنفيذ هذه الأحكام و هى كالتالى:

أولا:النفاق و انعدام الإيمان الحقيقى الذى يجعل صاحبه يسارع فى خرق القوانين،و العمل بأنظمه الكفر.

ثانيا:الكفر الذى يبديه بعض أهل الكتاب مثل اليهود الذين يسمعون أبدا الكذب،و يستلهمون أفكارهم من الأجانب.الذين يحرفون الكلم بعد ان وضعت مواضعها الصحيحه يخططون لهؤلاء و يأمرونهم باتباع أفكار معينه.

و هؤلاء أراد اللّه فتنتهم و إضلالهم لأنهم سلفا اختاروا ذلك،فلا ينفع معهم

ص:۳۷۴

الکلام،و السبب أن قلوبهم مریضه غیر نظیفه،و لهؤلاء خزی و ذله فی الدنیا، و عذاب مؤلم فی الاخره.

ثالثا:و من صفات هذه الفئه أنهم یرتاحون للکذب و یأکلون السحت، و علی الرسول الا یهادنهم فأما یحکم بینهم بالحق أو یعرض عنهم دون ان یرهب جانبهم،و اللّه یحب المقسطین الذین یحکمون بالعدل.

و من الواضح ان مجیء هؤلاء الی الرسول لیس قربه الی اللّه،بل لکی یجدوا مهربا من الأحکام الموجوده فی التوراه.

بینات من الآیات:

لاٰ یَحْزُنْکَ الَّذِینَ یُسٰارِعُونَ فِی الْکُفْرِ :

[۴۱]حین یکون الإسلام مجرد لقلقه لسان نجد الکثیرین یدّعون الإسلام، و لکن إذا حانت مرحله العمل تجد الکثیرین منهم یسارعون فی الکفر،و یخالفون تعالیم السماء،و یتبعون الأنظمه الطاغوتیه الفاسده،و علی القیاده الا تشعر بوهن بسبب مسارعه هؤلاء فی الکفر لان ذلک لا یدل علی ان جهتها قد ضعفت الآن، بل علی انها کانت هکذا بسبب وجود هذه الفئه المنافقه فیها.

یٰا أَیُّهَا الرَّسُولُ لاٰ یَحْزُنْکَ الَّذِینَ یُسٰارِعُونَ فِی الْکُفْرِ مِنَ الَّذِینَ قٰالُوا آمَنّٰا بِأَفْوٰاهِهِمْ وَ لَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ و الکفر فی هذه الایه هو الکفر فی الآیه ۴۴ حسبما یدل علیه السیاق، و الذین یسارعون فی الکفر قد یکونون من المنافقین،أو من الذین هادوا(الطابور الخامس فی المجتمع الاسلامی)و هؤلاء یستلهمون افکارهم و مناهجهم من

الأجانب غير الحاضرين فى الساحه.

اليهود و صناعه الأفكار:

وَ مِنَ الَّذِينَ هادُوا سَمّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ كلمه(السماع)تدل على حاله نفسيه تدفعهم الى البحث عن الكذب لتقبله،و ذلك بسبب انحرافهم النفسى من الحقيقه،و وراء هذه الفئه مجموعه اخرى هم كبارهم و اسيادهم و أولئك يضعون لهؤلاء ثقافه منحرفه، و يأمرونهم بان يتخذوها مقياسا لهم.فان كانت الأفكار التى يسمعونها من الرسول صلى الله عليه و آله تتفق و إياها،فليأخذوها و الا فليرفضوها.

يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَواضِعِهِ اى بعد ان استقرت الكلمه فى مستقرها.مثل ان تكون الكلمه قد توضح معناها،ثم يحرفونها أو تكون الكلمه قد حرف مصاديقها الواضحه،ثم ابتدعوا لها مصاديق اخرى غير صحيحه.

يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هذا فَخُذُوهُ وَ إِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا و يبقى سؤال لماذا لم يستفد هؤلاء شيئا من الرساله الجديده،أ ليست الرساله هدى و نور؟! لأن قلوب هؤلاء مملوءه بثقافات غريبه و بعيده عن الحقيقه قد اختاروها لأنفسهم و لتحقيق اطماعهم و شهواتهم،لذلك اختار اللّه لهم الضلاله،و من اختار اللّه تضليله فان الناس لا يمكنهم هدايته.

وَ مَنْ يُرِدِ اللّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللّهِ شَيْئاً أُولئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللّهُ أَنْ

يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيٰا خِزْيٌ وَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذٰابٌ عَظِيمٌ و توحى هذه الآيه بأن تطهير القلب شرط مسبق لهدايه اللّه.

[۴۲]و الفئه الضاله التى تفسد آراء الناس،هم كبار الأحبار الفساق، و رجال البلاط و كبار الاقطاعيين و من أشبه.و هم بؤره الفساد التى تتجمع فيها ضلالات الأولين و الآخرين،لأنهم يبحثون عنها ليجعلوا منها حجابا بينهم و بين الرساله فهم:

سَمّٰاعُونَ لِلْكَذِبِ لأنهم يعرفون ان الرساله تحمل هدى و نورا و بالتالى تعطى الناس ثقافه غنيه سليمه،و الناس لا يمكنهم ان يعيشوا فى الفراغ،و لذلك لا بد من خلق ثقافه باطله أو استيراد ثقافه باطله لتملأ فراغ الناس الفكرى،و ليزعم الناس:انهم و صاحب الرساله سواء فى الفكر و العمل،حتى لا يستهوى علم صاحب الرساله و هداه جماهيرهم،و حين يريد الطاغوت صناعه ثقافه باطله ليجعل أمام كل حق رسالى باطلا من نفسه،فانه يبحث عن الكذابين و الدجالين فى كل مكان حتى يستخدمهم فى هذه المهمه القذره.من هنا يصبح سماعا للكذب.

و انما يهدف من وراء ذلك الوصول الى اهدافه الرخيصه فى بعض المتاع الذى يسميه القرآن بالسحت فيقول:

أَكّٰالُونَ لِلسُّحْتِ السحت لغويا:القشره العفنه المنفصله عن الجسد،المليئه بالجراثيم الفاسده، و ما يأكله هؤلاء من أموال المستضعفين.هو ذلك السحت الذى يفرزه الوضع

الفاسد،و الذی لا یزید صاحبه الا تبارا.

واجب الرسول:

و یأتی هؤلاء الی الرسول لا لکی یستفیدوا بل لیجدوا عنده ما یبرر لهم ترک دینهم،و رفض احکامه السلیمه.

فَإِنْ جٰاؤُکَ فَاحْکُمْ بَیْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَ إِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ یَضُرُّوکَ شَیْئاً وَ إِنْ حَکَمْتَ فَاحْکُمْ بَیْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللّٰهَ یُحِبُّ الْمُقْسِطِینَ و امام هؤلاء یتخذ الرسول صلی الله علیه و آله و القیاده الاسلامیه موقفا حازما،فاما یعرض عنهم دون خوف من هجره لهم و استهانته بهم،أو یحکم بینهم بالقسط الذی هو محض العداله.

[۴۳]و دلیل کذب هؤلاء و ریائهم حین یجیئون الرسول صلی الله علیه و آله دلیل ذلک انهم یترکون کتابهم المقدس(التوراه)التی فیها حکم اللّه و التی لم تکن قد حرفت ذلک الیوم،و لکنهم یرفضون الاحتکام إلیها و یأتون لینافقوا مع الرسول صلی الله علیه و آله .

وَ کَیْفَ یُحَکِّمُونَکَ وَ عِنْدَهُمُ التَّوْرٰاهُ فِیهٰا حُکْمُ اللّٰهِ ثُمَّ یَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذٰلِکَ وَ مٰا أُولٰئِکَ بِالْمُؤْمِنِینَ لأنهم لا یطبقون کتابهم المقدس حین یخالف آراءهم و أهواءهم.

ص:۳۷۸

[سوره المائده (۵): الآيات ۴۴ الی ۴۷]

اشاره

إِنّا أَنْزَلْنَا اَلتَّوْراةَ فِيها هُدىً وَ نُورٌ يَحْكُمُ بِهَا اَلنَّبِيُّونَ اَلَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هادُوا وَ اَلرَّبّانِيُّونَ وَ اَلْأَحْبارُ بِمَا اُسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتابِ اَللّهِ وَ كانُوا عَلَيْهِ شُهَداءَ فَلاٰ تَخْشَوُا اَلنّاسَ وَ اِخْشَوْنِ وَ لاٰ تَشْتَرُوا بِآياتِی ثَمَناً قَلِيلاً وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اَللّهُ فَأُولٰئِكَ هُمُ اَلْكافِرُونَ (۴۴) وَ كَتَبْنا عَلَيْهِمْ فِيها أَنَّ اَلنَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَ اَلْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَ اَلْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَ اَلْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَ اَلسِّنَّ بِالسِّنِّ وَ اَلْجُرُوحَ قِصاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفّارَةٌ لَهُ وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اَللّهُ فَأُولٰئِكَ هُمُ اَلظّالِمُونَ (۴۵) وَ قَفَّيْنا عَلی آثارِهِمْ بِعِيسَى اِبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ اَلتَّوْراةِ وَ آتَيْناهُ اَلْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدىً وَ نُورٌ وَ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ اَلتَّوْراةِ وَ هُدىً وَ مَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ (۴۶) وَ لْيَحْكُمْ أَهْلُ اَلْإِنْجِيلِ بِما أَنْزَلَ اَللّهُ فِيهِ وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اَللّهُ فَأُولٰئِكَ هُمُ اَلْفاسِقُونَ (۴۷)

اللغه

۴۴[الأحبار]:الأحبار جمع حبر و هو العالم،مشتقه من التحبير و هو التحسين، فالعالم يحسّن الحسن و يقبّح القبيح.

۴۶[و قفينا]:القفو اتباع الأثر،و انما سميت قافيه الشعر قافيه لأنها تتبع الوزن

ص:۳۸۰

هدی من الآیات:

فی سیاق الحدیث التوجیهی الذی بدأه الدرس السابق حول أهمیه الالتزام بأحکام الشریعه،یذکرنا اللّه بکتاب التوراه،الذی أنزله اللّه هدی الی الصراط المستقیم،و نورا یطهر القلوب و یجلی البصائر و بالتالی قیما یحکم وفقها النبیون علیهم السلام الذین أسلموا للّه و خضعوا کلیا لرسالاته،و جعلت احکام اللّه امانه فی أعناقهم یراقبون تطبیقها و لا یخشون أحدا و هم یطبقونها و لا یساومون علیها أبدا.

و فی مقابل هؤلاء هناک فئه لا تحکم بما انزل اللّه، بل تخضع للقوی أو للضغوط أو للاغراء.

و من بین ابرز الأحکام الموجوده فی التوراه القصاص: أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ،

ص:۳۸۱

وَ الْعَيْنَ بِالْعَيْنِ،وَ الْأَنْفَ بِالْأَنْفِ،وَ الْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَ السِّنَّ بِالسِّنِّ،وَ الْجُرُوحَ قِصٰاصٌ .دون اى علاقه بانتماءات الشخص و طبيعته و عنصره و قومه.بلى يمكن ان يتصدق صاحب الحق على الجانى و هذه الصدقه تعتبر كفاره لذنوبه،اما أولئك الذين يخالفون حكم القصاص،و لا يقاصون من الاشراف للضعفاء فإنهم ظالمون،و جاء بعد موسى عليه السلام عيسى بن مريم يصدق ما سبقه من التوراه و يحمل معه الإنجيل الذى كان هدى و نورا،و كان على خط التوراه تماما فيه هدى و مواعظ للمتقين،بيد ان فريقا من الناس لم يطبقوا الإنجيل،و هم الفاسقون.

بينات من الآيات:

التوراه نور و هدى:

[۴۴]لماذا انزل اللّه التوراه و ماذا كان فيها؟و من الذى حمل امانتها بصدق؟ اولا:لقد انزل ربنا التوراه للهدايه الى الصراط القويم،و للتزود برؤى و بصائر و مناهج و توجيهات يتمكن الإنسان إذا استوعبها ان يرى الحقائق بنفسه،لا ان يهتدى إليها فقط و هكذا كانت التوراه هدى و نورا.

إِنّٰا أَنْزَلْنَا التَّوْرٰاةَ فِيهٰا هُدىً وَ نُورٌ و لذلك يجب احترام التوراه و احترام من يعمل بها حقيقه.

ثانيا:كان النبيون عليهم صلوات اللّه يحكمون بالتوراه،و يشرعون الأحكام الدائمه و التوجيهات اليوميه انطلاقا من قيم التوراه،و انما أوتى النبيون الحكومه و القياده لأنهم أسلموا للّه و كانوا معصومين عن الخطأ و الزلل.

ص:٣٨٢

ثالثا:الذین کانوا یخضعون للتوراه هم الذین هادوا،و الحکم انما کان لمصلحه هده الفئه و لیس فی ضررهم.

رابعا:بعد النبیین کان الأولیاء و العلماء یحکمون الناس وفق التوراه.

الائمه و العلماء:

یَحْکُمُ بِهَا النَّبِیُّونَ الَّذِینَ أَسْلَمُوا لِلَّذِینَ هٰادُوا وَ الرَّبّٰانِیُّونَ وَ الْأَحْبٰارُ و الربانیون-حسبما یبدو لی-هم أولیاء اللّه الذین ینسبون الی الرب، لأنهم کانوا فی منتهی الإخلاص و التضحیه،و کانوا یجسدون روح الرساله کأمثال الائمه علیهم السلام،و الحواریین فی التاریخ،و الصفه الظاهره لهؤلاء هی قیامهم للّه،و تمحضهم فی ذات اللّه،بالرغم من انهم کانوا علماء بالدین أیضا، و قد جاء فی حدیث مأثور عن الامام جعفر بن محمد الصادق علیه السلام فی تفسیر هذه الآیه الکریمه:

(ان مما استحق به الامامه التطهیر و الطهاره من الذنوب و المعاصی الموبقه.

التی توجب النار،ثم العلم المنور(و فی نسخه المکنون)بجمیع ما تحتاج الیه الامه من حلالها و حرامها و العلم بکتابها خاصه و عامه،و المحکم و المتشابه،و دقائق علمه،و غرائب تأویله،و ناسخه و منسوخه).

(یقول راوی الحدیث)قلت:و ما الحجه بان الامام لا یکون الا عالما بهذه الأشیاء التی ذکرت؟قال:

قول اللّه فیمن اذن اللّه لهم فی الحکومه و جعلهم أهلها:

إِنّٰا أَنْزَلْنَا التَّوْرٰاةَ فِيهٰا هُدىً وَ نُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هٰادُوا وَ الرَّبّٰانِيُّونَ وَ الْأَحْبٰارُ فهذه الأئمه دون الأنبياء الذين يربون الناس بعلمهم،و اما الأحبار فهم العلماء دون الربانيين،اما الأحبار فهم الفقهاء العدول الذين كانوا دون الربانيين درجه لكن وجب على الناس اتباعهم فى غياب من الربانيين.

صفات العلماء:

و قد كانت قياده هذه الفئه للناس على أساس وجود صفات الفقه و العداله و التصدى فيهم اما الفقه و العداله فتدل عليهما كلمه:

بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتٰابِ اللّٰهِ اى بسبب انهم كانوا أمناء على كتاب اللّه،و أيضا بقدر حفظهم لكتاب اللّه دراسه و تطبيقا فكلما كان الشخص أوسع فقها و أشد تقوى كانت قيادته أكبر و أوسع مدى،و اما التصدى للقياده فيدل عليها قوله سبحانه:

وَ كٰانُوا عَلَيْهِ شُهَدٰاءَ اى شهداء على تطبيقه و رقباء على الناس فى مدى تنفيذهم له،و لكن لا يمكن ان يبلغ العلماء هذا المستوى الأرفع الا إذا تجاوزوا عقبتين الاولى:خشيه الناس و الثانيه:اغراءات الدنيا.

فَلاٰ تَخْشَوُا النّٰاسَ وَ اخْشَوْنِ وَ لاٰ تَشْتَرُوا بِآيٰاتِي ثَمَناً قَلِيلاً

ص:384

شیئا عالیا جدا.

وَ مَنْ لَمْ یَحْکُمْ بِمٰا أَنْزَلَ اللّٰهُ فَأُولٰئِکَ هُمُ الْکٰافِرُونَ ای أولئک العلماء الذین یستسلمون لاغراءات الدنیا،أو خشیه الناس فلا یحکمون بما أنزل اللّه،فهم الکافرون،لأنهم یهلکون و یهلکون الناس.

التشریعات التوراتیه:

[۴۵]ما هی احکام اللّه التی أنزلها فی التوراه هل هی مجرد الصلاه و الصیام-کلا-انها شرائع،و انظمه للحیاه مثل القصاص الذی تتجلی فی تطبیقه سائر الأحکام الاجتماعیه مثل المساواه و العداله،ذلک لان المجتمع الطبقی لا یقتص للفقیر من الغنی،و المجتمع العنصری لا یقتص للدنی من الشریف و للأسود من الأبیض،و المجتمع الحزبی لا یقتص للفرد من الکادر و هکذا،اما إذا أجری المجتمع حکم القصاص فهو دلیل علی ایمانه بالعداله،و ترفعه عن سلبیات التمایز بای نوع کان.

و لذلک فان بنی إسرائیل فسدوا لیس بسبب عدم صلاتهم أو صیامهم،بل بسبب عدم تطبیقهم الکامل لحکم القصاص،حتی إذا قتل الشریف وضیعا لم یقتصوا منه (۱)لذلک جاء فی الآیه الکریمه:

ص:۳۸۵

۱- ۱) :جاء فی الحدیث المأثور عن الامام الباقر علیه السلام ان امرأه من خیبر ذات شرف بینهم زنت مع رجل من اشرافهم،و هما محصنان فکرهوا رحمهما.فأرسلوا الی یهود المدینه و کتبوا إلیهم ان یسألوا النبی عن ذلک طمعا فی ان یأتی لهم برخصه فانطلق قوم منهم.کعب بن الأشرف،و کعب بن أسید،و شعبه بن عمرو، و مالک بن صیف،و کنانه بن أبی الحقیق و غیرهم فقالوا:یا محمد أخبرنا عن الزانی و الزانیه إذا احصنا ما حدهما؟فقال:و هل ترضون بقضائی فی ذلک قالوا:نعم فنزل جبرائیل بالرجم فأخبرهم بذلک فأبوا ان یأخذوا به».

وَ كَتَبْنا عَلَيْهِمْ فِيها أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ دون ان يؤخذ فى الاعتبار الطبقه أو شرفها أو علمها أو ما أشبه.

وَ الْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَ الْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَ الْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَ السِّنَّ بِالسِّنِّ وَ الْجُرُوحَ قِصاصٌ فكل جرح يمكن تقديره يجب القصاص له.

و القصاص حق من حقوق المجنى عليهم،و يجوز لهم العفو عنه تقربا الى اللّه و تصديقا بوعده و لمن عفا عن أخيه مغفره و كفاره لذنوبه.

فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفّارَةٌ لَهُ وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ

حقيقه التبديل:

يبدو لى ان تبديل حكم مثل القصاص فى المجتمع يعتبر ظلما اجتماعيا، لأنه يقضى على العداله و المساواه فى المجتمع،و لكن هذا التبديل إذا كان فى مستوى التشريع و قام به العلماء و الأمراء فهو كفر كما سبق فى الآيه السابقه، بينما إذا كان تبديل حكم مثل الصدق و الوفاء و الامانه و سائر المواعظ الموجوده فى الإنجيل،فهو فسق كما ياتى فى الآيات التاليه.

الإنجيل صنو التوراه

[۴۶]و أرسل اللّه عيسى بن مريم عليه السلام بتبع آثار النبيين السابقين فى خط الهى واحد لا ينحرف و صدق عيسى برسالات الأنبياء،و جاء بالمزيد منها،

فمثلا فی الإنجیل الذی کان فیه-کما فی التوراه-هدی یهدی الناس الی سبل السلام کما کان فیه نور یثیر دفینه العقل،و یستجلی غبار الضمیر،و یبلور قیم الفطره،حتی یری الناس بأنفسهم السبل التی هداهم إلیها اللّه برسالاته.

وَ قَفَّیْنا عَلیٰ آثارِهِمْ بِعِیسَی ابْنِ مَرْیَمَ ای جعلناه یقفو و یتبع أثر الأنبیاء..

مُصَدِّقاً لِما بَیْنَ یَدَیْهِ مِنَ التَّوْراهِ وَ آتَیْناهُ الْإِنْجِیلَ فِیهِ هُدیً وَ نُورٌ و هذا یدل علی وحده الرساله الالهیه،و تکاملها مع الأنبیاء و ضروره احترام أهل الکتاب و کان الإنجیل یحمل بین دفتیه تصدیقا بما تقدمه من کتب و فیما بینها التوراه،و یضرب الأمثال الواقعیه لیتذکر الناس و لیتعظوا و لیعتبروا.

وَ مُصَدِّقاً لِما بَیْنَ یَدَیْهِ مِنَ التَّوْراهِ وَ هُدیً وَ مَوْعِظَهً لِلْمُتَّقِینَ إذا اتقی الفرد أو لا-أقل أراد ان یکون بعیدا عن الشر استمع الی الموعظه و استفاد منها،اما الشقی فانه یصم عن المواعظ.

[۴۷]و إذا کانت رسالات السماء واحده مع اختلاف بسیط فی التفاصیل التی بالرغم من اهمیتها من الناحیه التشریعیه،إلا أن الأحکام اللاحقه تنسخ الأحکام السابقه لأنها اولی بالظروف المتجدده و هی بالرغم من ذلک غیر هامه، إذا لا حظنا محتوی الرسالات و روحها التوحیدیه،و اهدافها السامیه من الاطارات و الطقوس،و کذلک إذا لا حظنا هذه الحقیقه و هی ان خضوع البشر لرسالات السماء یجعله یقترب شیئا فشیئا الی الایمان بها جمیعا،فمن امن واقعا

بروح رساله اللّه الهابطه على موسى و عيسى عليهما السلام لا يمكنه الكفر برساله محمد صلى اللّه عليه و اله،لأنهما تصدران من منطلق واحد و تشعان من مشكاه واحده،لذلك امر اللّه أهل الكتاب باتباع رسالاتهم.

وَ لْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمٰا أَنْزَلَ اللّٰهُ فِيهِ وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمٰا أَنْزَلَ اللّٰهُ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْفٰاسِقُونَ

[سوره المائده (۵): الآيات ۴۸ الی ۵۰]

اشاره

وَ أَنْزَلْنٰا إِلَيْكَ اَلْكِتٰابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمٰا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ اَلْكِتٰابِ وَ مُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمٰا أَنْزَلَ اَللّٰهُ وَ لاٰ تَتَّبِعْ أَهْوٰاءَهُمْ عَمّٰا جٰاءَكَ مِنَ اَلْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنٰا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهٰاجاً وَ لَوْ شٰاءَ اَللّٰهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وٰاحِدَةً وَ لٰكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مٰا آتٰاكُمْ فَاسْتَبِقُوا اَلْخَيْرٰاتِ إِلَى اَللّٰهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمٰا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (۴۸) وَ أَنِ اُحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمٰا أَنْزَلَ اَللّٰهُ وَ لاٰ تَتَّبِعْ أَهْوٰاءَهُمْ وَ اِحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مٰا أَنْزَلَ اَللّٰهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمٰا يُرِيدُ اَللّٰهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَ إِنَّ كَثِيراً مِنَ اَلنّٰاسِ لَفٰاسِقُونَ (۴۹) أَ فَحُكْمَ اَلْجٰاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اَللّٰهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (۵۰)

اللغه

۴۸[مهيمنا]:الهيمنه السيطره [شرعه]:الشرعه ابتداء الطريق.

[منهاجا]:المنهاج الطريق المستقيم.

ص:۳۸۹

فاستبقوا الخيرات

هدى من الآيات:

أنزل اللّه القرآن ليبين ذات الرساله الالهيه الواحده التى هبطت على موسى و عيسى و النبيين عليهم السلام،و ليكشف الحق القائم فى واقع الحياه،و فى ذات الوقت الذى يصدق القرآن بالكتب السابقه فهو يكملها و يهيمن عليها و يحمل من القيم و الشرائع أكثر و أفضل منها و لذلك يجب إتباعه و رفض أهواء الناس التى تخالف الحق.

و لقد جعل اللّه لكل امه شريعه و منهاجا و طريقا يصلون عبره الى الحق، و كان من الممكن ان يجعل الناس فى صوره امه واحده،و لكن لاختلاف إنما هو من أجل ابتلاء الناس و بهذا الاختلاف الذى لو استغل حسب سنه اللّه،لأصبح وسيله للتنافس البناء،و تسارع الجميع نحو الخيرات،و غدا عند اللّه يعرف كل فرد هل كان على حق أو باطل.

ص:٣٩١

و علينا جميعا إتباع أحكام اللّه دون أهواء هذا أو ذاک من الذين يحاولون تضليل البشر،أما أولئک الذين يتولون عن الرساله،فان سبب ذلک ذنوبهم التى رانت على قلوبهم،حتى حجبتها عن الحقيقه،و أنهم فاسقون.

إنهم يريـدون تطبيق أحكـام الجـاهليه التى هى انعكاس عن التخلف و الرجعيه و الظلم،و يتركون أحكام اللّه تعتمـد على العلم و الايمان و بالتالى اليقين.

بينات من الآيات:

الكتاب الحق:

[۴۸]كما أنزل اللّه التوراه و الإنجيل و لنفس الأهـداف،أنزل الكتاب (القرآن)الـذى يتصل بالحق اتصالا عضويا،فهو حق يتطابق و سنن الحياه و أنظمه الكون و فطره الإنسان،و وسيلته الحق و هو العمل الصالح و الايمان و الفداء،و هدفه الحق و هو فلاح البشر و سعادته،و ربما كانت لفظه(الباء)داله على هذا التفاعل بل الوحده التامه بين الكتاب و الحق،لأنه حق أصلا و وسيله و هدفا.

وَ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ و الكتاب يصـدق ما أنزل فى الكتب السابقه،مما يـدل على وحـدتها سـلفا،و لكنه يهيمن عليها،و يكمل ما سبق منها و يسيطر عليها.

مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتابِ وَ مُهَيْمِناً عَلَيْهِ فاذا كان الإنجيل غامضا فيما يتصل بمنهج ما،فان تفصيله فى القرآن.

ص:۳۹۲

لما ذا الاختلاف؟!

و يبدو لی:أن القرآن الکریم أخذ یعالج مسأله الخلافات البشریه بصفه عامه هنا،بمناسبه الاختلاف القائم بین کتب السماء،و أتباع الدیانات السماویه،و أجاب علی هذا السؤال لماذا یختلف الناس فی ممارساتهم؟! بإجابه واضحه نفصلها فی عده نقاط:

ألف:إنّ کل أمه تتمیز بممارسات حیاتیه مادیه و معنویه خاصه،فاقتصاد کل امه و اجتماعیاتها و سلوکیاتها الفردیه(و سائر ما تسمی بالشرعه)تختلف عن غیرها،کما أن لغتها و ثقافتها و تطلعاتها(و سائر ما یسمی بالمنهاج)تختلف عن غیرها.

باء:إنّ هذا الاختلاف فطری نابع من خلقه البشر،و طبیعه اختلاف الحیاه،و انعکاس هذا الاختلاف علی کیان البشر،و الا فان اللّه قادر علی أن یجعل البشر-کما الطیور و الأسماک و ما أشبه-أمه واحده دون اختلاف یذکر فیما بینهم.

جیم:و الاختلاف نافع للحیاه البشریه لأنه یدعو الی التنافس و التسارع الی الخیرات،إذ کلّ طائفه تسعی من أجل معرفه أفضل بأنظمه الحیاه،و وسائل أفضل لتسخیر إمکاناتها بهدف تحقیق التقدم علی الطوائف الاخری،و لذلک نجد الحضارات الکبری فی التاریخ إنما نشأت بسبب تصارع الطوائف مع بعضها،تصارعا خفیا لا یدعو الی التدمیر داخل الامه الواحده.

دال:إن هذا الاختلاف ینبغی ألا یجعل عدوا رئیسیا یستهدف کلّ فریق

القضاء علیه بالقضاء علی صاحبه أو بالجدلیات الکلامیه کلا.بل ینبغی ان یترک الحکم علی عاقبه الاختلاف و نهایه الصراع أن یکون لهذا أو لذلک یترک ذلک الی اللّه و الیوم الاخر حتی لا توجه هذه الطاقه البنّاءه (طاقه الصراع و التنافس)الی الدمار و الهلاک،فیصبح هدف کل فریق القضاء علی مکاسب الفریق الآخر کلا.بل لیکن هم کلّ فریق الحصول علی مکاسب أکبر من صاحبه فی میدان الحیاه الرحیب الذی یسع الجمیع دون تضایق.

إنّ حکمه اللّه فی إیجاد الناس مختلفین هی اختیارهم فی مدی القوی الذاتیه،و الامکانات الطبیعیه التی وفرها لهم لکی یعلم أیّ الفریقین أکثر معرفه و علما بالحیاه،و أفضل تسخیرا لها و بالتالی أکثر إیمانا،و أفضل عملا صالحا.

فَاحْکُمْ بَیْنَهُمْ بِمٰا أَنْزَلَ اللّٰهُ وَ لاٰ تَتَّبِعْ أَهْوٰاءَهُمْ عَمّٰا جٰاءَکَ مِنَ الْحَقِّ و یجعل العلم فی القرآن فی مقابل الهوی لأن الأهواء هی الحجب الکثیفه التی تمنع الإنسان من الوصول الی الحق.

لِکُلٍّ جَعَلْنٰا مِنْکُمْ شِرْعَهً وَ مِنْهٰاجاً بالرغم من ان الشرعه و المنهاج بمعنی واحد و هو الطریقه حتی قالوا:بأنهما مترادفان بالرغم من ذلک فان المنهاج هو:الطریق المستقیم،بینما الشریعه هی:

الطریق العریض الواضح،فیتبادر ان المراد بالمنهاج هو ما یخص الأمور المعنویه (و التی نسمیها بالثقافه)باعتبارها لحاظ الاستقامه فی الحکمه،بینما المراد من الشریعه هو الأمور المادیه و اللّه اعلم.

الأهداف البعیده للاختلاف:

وَ لَوْ شٰاءَ اللّٰهُ لَجَعَلَکُمْ أُمَّهً وٰاحِدَهً وَ لٰکِنْ لِیَبْلُوَکُمْ فِی مٰا آتٰاکُمْ

ليخرج طاقاتكم و طبائعكم الكامنه،و مدى استقامتكم.

فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرٰاتِ و هذا هو هدف الاختلاف البعيد و هو:التنافس البناء من أجل الوصول الى الخيرات،اما الخلافات فلان:

إِلَى اللّٰهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمٰا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ لـذلك دعوها جانبا،و لا تتعبوا أنفسكم فى محاوله إنهائها أو إثبات كلّ فريق بأنه أحق من غيره.

[۴۹]و لا يعنى السلام مع سائر الأمم وفق هذه الرؤيه الرساليه البناءه، التنازل لاهوائهم و انحرافهم أو الخضوع لضغوطهم بل يعنى المزيد من الالتزام بالاحكام و التطبيق العملى لاستباق الخيرات و التنافس البناء.

وَ أَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمٰا أَنْزَلَ اللّٰهُ وَ لاٰ تَتَّبِعْ أَهْوٰاءَهُمْ وَ احْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مٰا أَنْزَلَ اللّٰهُ إِلَيْكَ

تسريب الثقافه الباطله:

إن المنافسين و الأعداء يسعون من أجل تسريب أفكارهم و ثقافاتهم الى الامه الاسلاميه فى حالات السلم القائمه بينهم و بين المسلمين،لذلك فان القرآن يوصى بضروره اتخاذ جانب الحذر حتى لا يتأثر المسلمون بتلك الأفكار.

و على المسلمين ألاّ ينبهروا بالحياه الآمنه التى يظهر وجودها عند الكفار أو الأمم الاخرى، لان هذه الحياه سوف تتحول الى جحيم بسبب ذنوبهم،و لذلك

يجب التحصن ضد التأثر بهم،و تقليد أفكارهم أو عاداتهم.

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمٰا يُرِيدُ اللّٰهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَ إِنَّ كَثِيراً مِنَ النّٰاسِ لَفٰاسِقُونَ

تصدير الإسلام:

[۵۰]إنّ الامه الاسلاميه تسعى من أجل تصدير برنامجها و رسالتها بالنموذج المتكامل الذى تصنعه حياتها الخاصه،و لذلك فهى لا تحتاج دائما الى شنّ الحروب ضد الأمم الاخرى و لكن هذا التصدير غير ممكن من دون تحصن أبناء الامه عن تسرب أفكار و برامج الآخرين الجاهليه إليها،و ذلك بان تعرف الامه ان حكم أولئك حكم جاهلى عفن قد أكل الدهر عليه و شرب و انه لا يمكن ان يستمع اليه المسلمون.

أَ فَحُكْمَ الْجٰاهِلِيَّهِ يَبْغُونَ يريدون الجاهليه،و الجاهليه هى الحكم الذى لا يستمد أصوله من العلم.

و العلم بدوره نابع من أحد المصدرين العقل أو الوحى.

وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّٰهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ اىّ لأولئك الذين يبلغ بهم العلم درجه اليقين،و هذا أرقى درجات العلم بالحقيقه،فقد يكون هناك علم من دون يقين كأن تطمئن نفسك الى الحق بعيدا عن دواعى الشهوه و الغضب.

و الحكم المثالى فى رؤيه الإسلام هو:الحكم الذى تكون برامجه نابعه من العلم

ص:۳۹۶

(الآتی بـدوره من العقل أو الوحی)بشـرط أن یکون تطبیق هـذه البرامج من قبل الناس معتمدا علی الالتزام الذاتی و الواعی الذی یوفره الیقین،لـذلک أکدت الایه علی أن أحسن أنواع الحکومه هو حکم اللّه بشـرط أن یطبقه أهل الوعی و الیقین لا أن یفرض علی الناس فرضا...أو یتبعه الناس تقلیدا أعمی.

ص:۳۹۷

[سوره المائده (۵): الآیات ۵۱ الی ۵۳]

اشاره

یٰا أَیُّهَا اَلَّذِینَ آمَنُوا لاٰ تَتَّخِذُوا اَلْیَهُودَ وَ اَلنَّصٰاریٰ أَوْلِیٰاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِیٰاءُ بَعْضٍ وَ مَنْ یَتَوَلَّهُمْ مِنْکُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اَللّٰهَ لاٰ یَهْدِی اَلْقَوْمَ اَلظّٰالِمِینَ (۵۱) فَتَرَی اَلَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ یُسٰارِعُونَ فِیهِمْ یَقُولُونَ نَخْشیٰ أَنْ تُصِیبَنٰا دٰائِرَهٌ فَعَسَی اَللّٰهُ أَنْ یَأْتِیَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَیُصْبِحُوا عَلیٰ مٰا أَسَرُّوا فِی أَنْفُسِهِمْ نٰادِمِینَ (۵۲) وَ یَقُولُ اَلَّذِینَ آمَنُوا أَ هٰؤُلاٰءِ اَلَّذِینَ أَقْسَمُوا بِاللّٰهِ جَهْدَ أَیْمٰانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَکُمْ حَبِطَتْ أَعْمٰالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خٰاسِرِینَ (۵۳)

اللغه

۵۲[دائره]:الدائره هاهنا الدوله التی تتحول الی من کانت له عمّن فی یده.

ص:۳۹۸

الكفار بعضهم أولياء بعض

هدى من الآيات:

بالرغم من ضروره إقامه السلام،بين الفئات المؤمنه باللّه،على اختلاف مناهجهم و شرائعهم-كما أكده الدرس السابق-فان ذلك لا يعنى الخضوع لهم، و اتخاذهم أولياء،و هم لا يهتدون السبيل الأقوم لأنهم ظالمون لأنفسهم.

و أولئك الذين يسارعون الى اتخاذهم أولياء،مبتلون بمرض قلبى،و هو الخوف منهم لكى لا تصيبهم دائره بسبب مخالفتهم لأولئك،و السؤال هو:إذا جاء اللّه بالفتح و نصر المسلمين على أولئك أ فليس يندم هؤلاء على ما كتموه؟ و قد يمكن أن يغلب أولئك فيخونوا بأتباعهم لأنهم لا يعتبرونهم منهم، و الذين آمنوا يشمتون بالمنافقين.كيف انهم و صلوا الى الطريق المسدود؟فهؤلاء الكفار دارت عليهم الدائره و حبطت أعمالهم و أصبحوا خاسرين،خسروا الصراع كما خسروا أولياءهم.

ص:۳۹۹

بينات من الآيات:

الولاء المنحرف:

[۵۱]يزعم بعض ضعفاء الايمان من المسلمين انه يمكن ان يحتموا بقوه اجنبيه لمقاومه قوه اجنبيه اخرى.مثلاـ يعتمدون على النصارى لمقاومه اليهود،و هذا زعم خاطئ لسببين:

الاول:أن الاجنبى أقرب الى الاجنبى فى الواقع منک،و ان اليهود و النصارى سوف يتحالفان ضدک،کما يتحالف الشرق مع الغرب ضد مصالح المستضعفين،و بالنسبه إليک کمسلم تملک شريعه مختلفه عنهما و منهاجا متضادا معهما فانه يتساوى اليهود و النصارى،أو الشرق و الغرب فهما معا بعيدان عنک، و عن مجتمعک...مخالفان لک.

الثانى:إنک حين تتحالف مع هؤلاء أو أولئک تصبح جزءا من مجتمعهم، و امتدادا لوجودهم و هذا يفصلک عن مجتمعک المسلم،لان أهم ما يحدد هويه الشخص هو ولاؤه فلا يجتمع ولاءان لفرد واحد لذلک قال ربنا:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَ النَّصَارىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ و ربما يزعم مثل هذا الرجل انه يتمکن من ربح الجهتين معا فهو فى الظاهر من المسلمين،و فى الباطن يوالى الاجنبى،و لکنه خاطئ لأنه يظلم بفعله هذا مجتمعه،و لذلک لا يهديه اللّه لان القلب الملیء بالنفاق و الغش و الغلّ لا يشع فيه نور العقل.

إِنَّ اللّٰهَ لاٰ يَهْدِى الْقَوْمَ الظّٰالِمِينَ

ص:۴۰۰

[۵۲]من الـذى يوالى الاجنبى؟ إنه الفرد أو الطبقه المنهزمه نفسيا أمامه،و التى تخشى قوه الاجنبى،و سيطرته فى المستقبل على أوضاع البلد فتتعاون معه.

فَتَرَى الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسارِعُونَ فِيهِمْ،يَقُولُونَ نَخْشى أَنْ تُصِيبَنا دائِرَةٌ أى مكروه،أو سلطه العدو.

انتظار الفرج:

و لكن ربنا يقول:ان هناك احتمالا وجيها آخر هو الانتصار الكاسح للمسلمين عليهم أ فلا يخشون المسلمين إذا! فَعَسَى اللّهُ أَنْ يَأْتِىَ بِالْفَتْحِ بأن ينصر المسلمين على أعدائهم.

أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ كعذاب شديد يصيب الكفار ليس على أيدى المؤمنين،بل عن طريق زلزال أو خسف أو مرض.

فَيُصْبِحُوا عَلى ما أَسَرُّوا فِى أَنْفُسِهِمْ نادِمِينَ لأنهم اعتمدوا على قوه ضعيفه،و تركوا ولاءهم المقدس لسراب خادع.

[۵۳]و آنئذ حين ينصر اللّه المسلمين أو يهلك الكفار بأمره.يشمت المسلمون بالمنافقين و يقولون لهم:أ كان هؤلاء الكفار هم القوه التى تخالفتم معها بقوه،

ص:۴۰۱

فهذه مکاسبهم قد ضاعت فی سراب الشرک،و بقی رأسمالهم الوحید الخساره و الندم! وَ یَقُولُ الَّذِینَ آمَنُوا أَ هٰؤُلاٰءِ الَّذِینَ أَقْسَمُوا بِاللّٰهِ جَهْدَ أَیْمٰانِهِمْ أی بکل ایمانهم،و بأشد أنواع الحلف و کان محتوی حلفهم.

إِنَّهُمْ لَمَعَکُمْ حَبِطَتْ أَعْمٰالُهُمْ جمیعا لأنهم کانوا مشرکین.

فَأَصْبَحُوا خٰاسِرِینَ

ص:۴۰۲

[سوره المائده (۵): الآیات ۵۴ الی ۵۶]

اشاره

یا أَیُّهَا اَلَّذِینَ آمَنُوا مَنْ یَرْتَدَّ مِنْکُمْ عَنْ دِینِهِ فَسَوْفَ یَأْتِی اَللّهُ بِقَوْمٍ یُحِبُّهُمْ وَ یُحِبُّونَهُ أَذِلَّهٍ عَلَی اَلْمُؤْمِنِینَ أَعِزَّهٍ عَلَی اَلْکافِرِینَ یُجاهِدُونَ فِی سَبِیلِ اَللّهِ وَ لا یَخافُونَ لَوْمَهَ لائِمٍ ذلِکَ فَضْلُ اَللّهِ یُؤْتِیهِ مَنْ یَشاءُ وَ اَللّهُ واسِعٌ عَلِیمٌ (۵۴) إِنَّما وَلِیُّکُمُ اَللّهُ وَ رَسُولُهُ وَ اَلَّذِینَ آمَنُوا اَلَّذِینَ یُقِیمُونَ اَلصَّلاهَ وَ یُؤْتُونَ اَلزَّکاهَ وَ هُمْ راکِعُونَ (۵۵) وَ مَنْ یَتَوَلَّ اَللّهَ وَ رَسُولَهُ وَ اَلَّذِینَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اَللّهِ هُمُ اَلْغالِبُونَ (۵۶)

ص:۴۰۳

حزب اللّه

هدى من الآيات:

وجود عناصر منافقه توالی الیهود و النصاری فی الأمه،لا یعنی ان الامه الاسلامیه قد انتهت بل ان ربنا سبحانه سوف یهدی جماعه یتمیزون بصفات الأعضاء الواقعیین لحزب اللّه،و للمجتمع المسلم.أولها: ان اللّه یحبهم و هم یحبون اللّه،و اللّه یتفضل علیهم،و هم یضحون فی سبیله،و انسجامهم مع بعضهم یبلغ درجه التواضع و الإیثار،فهم اذله علی المؤمنین،و لکنهم یشعرون بالقوه و المنعه أمام الاجنبی الکافر فهم أعزه علی الکافرین،و جهادهم فی سبیل اللّه دائم و نابع من ایمانهم الصادق بربهم و لیس من تیار اجتماعی،و لذلک فهم لا یخافون لومه لائم،و هذه الصفات کلها من اللّه.من الایمان به و التوکل علیه،و بالتالی من نعمته علی البشر التی یتفضل بها علی من یشاء من عباده،و اللّه واسع النعمه علیم بمن یستحقها.

و هؤلاء هم الذین یستحقون الولایه فی المجتمع الاسلامی،لان الولایه

ص:۴۰۴

الاساسیه هی للّه و ثم لرسوله و ثم للذین آمنوا الذین یقیمون الصلاه و یؤتون الزکاه و هم راکعون و من یتخذ هذه الولایه حقا فانه من حزب اللّه،و ان حزب اللّه هم الغالبون.

أما الکفار فحرام علی المسلمین ان یتخذوهم أولیاء لأنهم لیس فقط لا یصلون،بل یستهزئون بالصلاه،و لا بد ان یلتزم المسلم بعهده مع اللّه و یتقیه و لا یتولی الکفار أو أهل الکتاب.

و إنما یستهزئ هؤلاء بالصلاه لأنهم لا یعقلون واقع الصلاه و علاقتها بتزکیه الإنسان،و تربیه المجتمع الفاضل.

بینات من الآیات:

صفات المجتمع الفاضل:

[۵۴]لا تزعم انک لو والیت الأجانب فان المجتمع الاسلامی سوف ینطبع بطابعک،أو سوف یصبح أقرب الی الاجنبی،کلا...بل انک سوف ترتد عن دینک،و تنفصل عن واقع المجتمع المسلم حتی و لو کنت ذا سمه بارزه فیه و ذا منصب کبیر،إذ ان اللّه سوف یأتی بقوم یجسدون ذلک المجتمع الفاضل الذی یتسم بالصفات التالیه..

اولا:ان اللّه یحبهم،و لا یحب اللّه الشخص لذاته بل لتکامل الصفات الحسنه فیه،من الایمان و العمل الصالح،و حین یحب اللّه أحدا تحبه ملائکته و أولیاؤه،و یسخر له ما فی السماء و الأرض لأنها مطیعه للّه.

ثانیا:و هم یحبون اللّه،و یشعرون بان اللّه متفضل علیهم،و ان علیهم شکر ربهم بالعطاء و بالصلاه و الزکاه و الجهاد،و حین یصلون أو یزکون و یجاهدون فان عطاءهم هذا لیس جبرا علیهم و إکراها بل طوعا و اختیارا لأنه نابع من حبهم للّه.

ثالثا:و لان علاقتهم باللّه هی علاقه حب و هی أرفع درجات الانسجام و التوافق فإنهم یحبون بعضهم و یتساهلون فی علاقاتهم.حتی یزعم الناظر إلیهم من بعید ان الواحد منهم عبد للآخرین فی علاقه التواضع و الإیثار و الابتعاد عن الذاتیات،فهم أذله علی المؤمنین.

رابعا:أما علاقتهم مع الکفار فهی علاقه المنعه و التحدی،فهم أعزه علیهم صامدون أمامهم غیر متأثرین بأفکارهم،و غیر خائفین منهم.

خامسا:و نشاط المجتمع المسلم مکثف،و یتحدی الصعوبات الداخلیه و الخارجیه،فهم أبدا یجاهدون فی سبیل اللّه ضد سلبیاتهم الداخلیه و ضد الأعداء الخارجیین.

سادسا:ان سلوکهم لا یتأثر بما یقوله الآخرون،بل بما تملیه علیهم افکارهم السلیمه و بصائرهم النافذه لذلک فان الاشاعات لا تنال من جهادهم.

یٰا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا مَنْ یَرْتَدَّ مِنْکُمْ عَنْ دِینِهِ فانه یخسر انتماءه الی المجتمع المسلم،بینما المجتمع المسلم موجود لیس به و بأمثاله بل بمن یأتی به اللّه.

فَسَوْفَ یَأْتِی اللّٰهُ بِقَوْمٍ

ص:۴۰۶

عن طريق هدايته لهم.

يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ لاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لاَئِمٍ لان انتماءهم الى المجتمع المسلم يغنيهم عن الارتباط بسائر الناس غير المسلمين،فلذلك لا تؤثر فيهم الشائعات و الدعايات و ما يبثه المغرضون حول اهدافهم المقدسه.

و هذا النموذج المتكامل يصنعه الايمان الصادق باللّه،و تطبيق مناهج الرساله التربويه.

ذٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشٰاءُ وَ اللَّهُ وٰاسِعٌ عَلِيمٌ و لأنه واسع فان نعمه كبيره لا تحصى،و لأنه عليم فهو يعلم من الذى يستحق بأعماله و بنيته الطيبه...فضل اللّه سبحانه.

ولايه اللّه أهم مظاهر حزب اللّه:

[۵۵]تلك كانت الصفات الظاهره للمجتمع المسلم أو بالأحرى-الطليعه المسلمه-أما واقع هذه الطليعه فهو قبول ولايه اللّه فى السماء و الأرض...فى الغيب و الشهود...فى أمور الاخره و الدين،كما فى شؤون الدنيا و الحياه،و ولايه اللّه تعنى:

اولا:إخلاص العبوديه له.

ثانيا:إتباع مناهجه.

ص:۴۰۷

ثالثا:أن يكون حب الفرد و بغضه للّه و فی اللّه.

و ولایه اللّه فی الدنیا تتجسد فی قیاده الرسول و خلفائه الائمه،و الربانیین، و الإجبار الصالحین.

إِنَّمٰا وَلِيُّكُمُ اللّٰهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاٰةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكٰاةَ وَ هُمْ رٰاكِعُونَ

فَإِنَّ حِزْبَ اللّٰهِ هُمُ الْغٰالِبُونَ :

[۵۶]و الـذین آمنوا،هم المجتمع الرسالی الأمثل الـذی لا یتجاوز انتماء الفرد عن حـدودهم،بل یقتصـر علیهم لکی تتشـکل هـذه الولایه بالاضافه الی تلک القیاده-الحزب الإلهی-.

وَ مَنْ يَتَوَلَّ اللّٰهَ وَ رَسُولَهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللّٰهِ هُمُ الْغٰالِبُونَ و السؤال:لماذا یغلب حزب اللّه سائر التجمعات؟ اولا:لأن إراده اللّه العلیا تشاء ذلک بان ینتصـر حزبه علی سائر الأحزاب، و فی صـراع المجتمعات الاسـلامیه و الجاهلیه شواهد علی ان ما نسمیه بالصـدق(أو بالأـحری القـدر الاـلهی)یلعب دورا أساسـیا فی انتصـار الرساله،و ما هی سوی اراده اللّه العلیا التی عبّر سـبحانه عنها بقوله:

إِنْ تَنْصُرُوا اللّٰهَ يَنْصُرْكُمْ وَ يُثَبِّتْ أَقْدٰامَكُمْ ثانیا:إنّ حزب اللّه یعتمد علی أساس القیم الحیاتیه التی تربی الفرد علی الیقین و العمل الصالح و الانضباط،و هذه القیم قادره علی صنع الحضاره..

ص:۴۰۸

ثالثا:أساس التنافس داخل المجتمع الاسلامی لیس بالشخصیات و لا ـ الغنی و لا ـ العنصر،و انما العلم و العمل،اللذان یعتبران القیمتان الاساسیتان فی هذا المجتمع،بینما أساس التنافس فی سائر المجتمعات هی واحده من تلک القیم الزائقه،و من الطبیعی ان یرتقی ذلک المجتمع الذی یتنافس أصحابه علی العلم و العمل.

رابعا:أبرز ما یعطی المجتمعات التقدم و الاستمرار هو قدرتها علی تجاوز التحدیات التی تتعرض لها من قبل الآخرین،و المجتمع الاسلامی یتکئ علی الجهاد و الشهاده فی مقاومه التحدیات و تجاوز الصراعات،فیکون أقدر علی الاستمرار و التقدم.

من هنا کان حزب اللّه-بالرغم من قله أبنائه و ضآله موارده فی البدایه أقوی من حزب الشیطان علی کثره عدده و عدته و هو الغالب علیهم.

ص:۴۰۹

[سوره المائده (۵): الآیات ۵۷ الی ۶۰]

اشاره

یٰا أَیُّهَا اَلَّذِینَ آمَنُوا لاٰ تَتَّخِذُوا اَلَّذِینَ اِتَّخَذُوا دِینَکُمْ هُزُواً وَ لَعِباً مِنَ اَلَّذِینَ أُوتُوا اَلْکِتٰابَ مِنْ قَبْلِکُمْ وَ اَلْکُفّٰارَ أَوْلِیٰاءَ وَ اِتَّقُوا اَللّٰهَ إِنْ کُنْتُمْ مُؤْمِنِینَ (۵۷) وَ إِذٰا نٰادَیْتُمْ إِلَی اَلصَّلاٰةِ اِتَّخَذُوهٰا هُزُواً وَ لَعِباً ذٰلِکَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاٰ یَعْقِلُونَ (۵۸) قُلْ یٰا أَهْلَ اَلْکِتٰابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنّٰا إِلاّٰ أَنْ آمَنّٰا بِاللّٰهِ وَ مٰا أُنْزِلَ إِلَیْنٰا وَ مٰا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَ أَنَّ أَکْثَرَکُمْ فٰاسِقُونَ (۵۹) قُلْ هَلْ أُنَبِّئُکُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذٰلِکَ مَثُوبَةً عِنْدَ اَللّٰهِ مَنْ لَعَنَهُ اَللّٰهُ وَ غَضِبَ عَلَیْهِ وَ جَعَلَ مِنْهُمُ اَلْقِرَدَةَ وَ اَلْخَنٰازِیرَ وَ عَبَدَ اَلطّٰاغُوتَ أُولٰئِکَ شَرٌّ مَکٰاناً وَ أَضَلُّ عَنْ سَوٰاءِ اَلسَّبِیلِ (۶۰)

ص:۴۱۰

هدى من الآيات:

لكى يصنع الإسلام سدا منيعا بين المجتمع الاسلامى،و المجتمعات الجاهليه،حتى لا يبتلى المجتمع بازدواجيه الولاء.يحرم اتخاذ غيرهم أولياء من أولئك الذين يتخذون الدين الاسلامى هزوا و لعبا،سواء كانوا كفارا مشركين أو كانوا من أهل الكتاب،و يأمرهم بالتقوى و الخوف من اللّه،و الحذر من عقابه.

و يذكرهم القرآن بان أولئك يتخذون الصلاه هزوا و لعبا و بسبب عدم انتفاعهم بعقولهم لم يعرفوا مدى اهميه الصلاه،و هم ينكرون على المسلمين ايمانهم باللّه و بما أنزله اللّه من كتاب،بينما أولئك أكثرهم فاسقون.

و عند التقييم العادل يطرح هذا السؤال:من الذى شر مكانا؟المسلمون أم اليهود الذين لعنهم اللّه،و غضب عليهم،و هم يعبدون الطاغوت،؟ من الطبيعى ان هؤلاء اليهود هم شر مكانا و موقفا فى الحياه الدنيا،و ابعد عن

طريق الحق،و ابعد عن الهدى.

بينات من الآيات:

لا توال هؤلاء

! [۵۷]حين يكون مقياس الإنسان فی تقييم الأشخاص و المجتمعات هو مبدؤه و دينه و رسالته،يكون ولاؤه للناس بقدر ولائهم لذلك المبدأ و الدين أو تلك الرساله،اما إذا كان المقياس مصالحه العاجله فانه قد يوالی من يخالف دينه و رسالته،أو حتی يستهزئ بها أو يحاول الانتقاص منها،و الاستهزاء هو أسوأ أنواع الانتقاص من فكره أو شخص،حيث يزعم المستهزئ ان سخافه الفكره أو رذاله الشخص قد بلغت حدّا لا يحتاج الی دليل لردها،بل الی كلمات ساخره ينتبه الفرد بعدها الی واقعه و واقع فكرته غير الصالحين.

و القرآن الحكيم ينهی المؤمنين من تكوين علاقات ولائيه بينهم و بين من لا يحترم دينهم و يقول:

يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاٰ تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُواً وَ لَعِباً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتٰابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ الْكُفّٰارَ أَوْلِيٰاءَ الهزء:السخريه الظاهره،بالكلام و اللعب،و اتخاذ الشیء ماده للتلهيه عمليا كتقليد حركات الصلاه استهزاء،أو أداء الصلاه نفاقا(كما قال بعض المفسرين)و من المعلوم ان جميع اليهود و النصاری أو أهل الكتاب ليسوا كذلك بل إن بعضهم هو الذی يستهزئ بالدين.

وَ اتَّقُوا اللّٰهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ

ص:۴۱۲

فلاـ تـدفعكم المصالـح العاجله الى الارتباط بمثل هـذه الفئات،فان كرامه الإنسان و اسـتقلاله أعز شـيء عنـده و لا يجوز التنازل عنهمـا لاـ سـباب مصـلحيه مؤقته كما تفعل بعض الانظمه فى بلاد المسـلمين حيث يرتبطون بالغرب و الشـرق أو بـدوله إسـرائيل الغاصـبه، و يعقـدون معهم احلاف الولاء لبعض المصالـح العاجله،فى الوقت الذى لا تنى مؤسـسات الغرب الثقافيه و الاعلاميه و أحزاب الشرق العميله و ابواق إسرائيل عن النيل من الإسلام و اهله.

و السؤال الـذى يفرض علينـا عبر التاريـخ و دروس الحضـارات البائـده و المجتمعـات المتخلفه هو:كيف يحترم العالم مجتمعا لا يحـترم نفسه،و كم يفى العـالم لمثـل هـذا المجتمـع الناقـد لكرامته و اسـتقلاله،و كم يفى له بـالعهود،و الى مـتى تسـتمر له هـذه المصالح العاجله،و أساسا هل تعنى المصالح شـيئا لمجتمع فقد كرامته؟! [۵۸]و حين ينادى المؤذن بالصلاه ترى هؤلاء يستهزئون بها و يتغامزون بينهم و يقولون لبعضهم:انظروا الى المسلمين يتركون أعمالهم لأداء شيء غير نافع،و هذا مثل ظاهر لما ذكرت فى الايه السابقه.

وَ إِذا نادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاهِ اتَّخَذُوها هُزُواً وَ لَعِباً ذلِکَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ انهم لا ينتفعون بما وهب اللّه لهم من نعمه العقل التى تدعوهم الى التفكر فى فوائد الصلاه،و مدى ارتباط سعاده البشر و فلاحه بها.

[۵۹]بل ان هزء هؤلاء و إنكارهم على المسـلمين و تناقضـهم معهم ليس من أجل المصالح المتضاده و لا من أجل الاختلاف فى الدم و اللغه كما يزعمون بل من أجل الاختلاف فى القيم و المبادئ،و ان المسلمين امنوا باللّه و بالرسالات.

ص:۴۱۳

بينما ظل أولئک کافرين عمليا بها.حيث انهم مع تظاهرهم بالايمان بالرساله فهم لا ينفذون تعاليم الرساله الا فسقا و تهاونا.

قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنّا إِلاّ أَنْ آمَنّا بِاللّهِ وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْنا وَ ما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَ أَنَّ أَكْثَرَكُمْ فاسِقُونَ

سوء العاقبه:

[۶۰]و الواقع ان العاقبه للمؤمنين المتقين،اما الفساق فان نهايتهم سيئه، و مثوبتهم و جزاءهم شر عليهم لأنهم ملعونون عند اللّه بعيدون عن رحمته،و لان اللّه غضب عليهم و انزل عليهم العذاب الظاهر حيث جعل منهم القرده و الخنازير،و جعل منهم عبده الطاغوت،اى ابتلاهم بسبب فقدان كرامتهم و استقلالهم بالطاغوت و بالسلطات الديكتاتوريه الظالمه.

قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللّهِ اى جزاء عند اللّه و عاقبه.

مَنْ لَعَنَهُ اللّهُ وَ غَضِبَ عَلَيْهِ اللعنه-حسبما يبدو لی-الابتعاد عن رحمه اللّه بينما الغضب:إنزال العذاب،و قد تمثل فی الدنيا بأمرين:

وَ جَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَ الْخَنازِيرَ وَ عَبَدَ الطّاغُوتَ أُولئِكَ شَرٌّ مَكاناً من الناحيه الماديه.

وَ أَضَلُّ عَنْ سَواءِ السَّبِيلِ

ص:۴۱۴

ای ابعد عن الجاده...من الناحیه المعنویه.

ص:۴۱۵

[سوره المائده (۵): الآیات ۶۱ الی ۶۶]

اشاره

وَ إِذٰا جٰاؤُکُمْ قٰالُوا آمَنّٰا وَ قَدْ دَخَلُوا بِالْکُفْرِ وَ هُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَ اَللّٰهُ أَعْلَمُ بِمٰا کٰانُوا یَکْتُمُونَ (۶۱) وَ تَریٰ کَثِیراً مِنْهُمْ یُسٰارِعُونَ فِی اَلْإِثْمِ وَ اَلْعُدْوٰانِ وَ أَکْلِهِمُ اَلسُّحْتَ لَبِئْسَ مٰا کٰانُوا یَعْمَلُونَ (۶۲) لَوْ لاٰ یَنْهٰاهُمُ اَلرَّبّٰانِیُّونَ وَ اَلْأَحْبٰارُ عَنْ قَوْلِهِمُ اَلْإِثْمَ وَ أَکْلِهِمُ اَلسُّحْتَ لَبِئْسَ مٰا کٰانُوا یَصْنَعُونَ (۶۳) وَ قٰالَتِ اَلْیَهُودُ یَدُ اَللّٰهِ مَغْلُولَهٌ غُلَّتْ أَیْدِیهِمْ وَ لُعِنُوا بِمٰا قٰالُوا بَلْ یَدٰاهُ مَبْسُوطَتٰانِ یُنْفِقُ کَیْفَ یَشٰاءُ وَ لَیَزِیدَنَّ کَثِیراً مِنْهُمْ مٰا أُنْزِلَ إِلَیْکَ مِنْ رَبِّکَ طُغْیٰاناً وَ کُفْراً وَ أَلْقَیْنٰا بَیْنَهُمُ اَلْعَدٰاوَهَ وَ اَلْبَغْضٰاءَ إِلیٰ یَوْمِ اَلْقِیٰامَهِ کُلَّمٰا أَوْقَدُوا نٰاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اَللّٰهُ وَ یَسْعَوْنَ فِی اَلْأَرْضِ فَسٰاداً وَ اَللّٰهُ لاٰ یُحِبُّ اَلْمُفْسِدِینَ (۶۴) وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ اَلْکِتٰابِ آمَنُوا وَ اِتَّقَوْا لَکَفَّرْنٰا عَنْهُمْ سَیِّئٰاتِهِمْ وَ لَأَدْخَلْنٰاهُمْ جَنّٰاتِ اَلنَّعِیمِ (۶۵) وَ لَوْ أَنَّهُمْ أَقٰامُوا اَلتَّوْرٰاهَ وَ اَلْإِنْجِیلَ وَ مٰا أُنْزِلَ إِلَیْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَکَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّهٌ مُقْتَصِدَهٌ وَ کَثِیرٌ مِنْهُمْ سٰاءَ مٰا یَعْمَلُونَ (۶۶)

اللغه

۶۲[الإثم و العدوان]:الفرق بینهما:ان الإثم هو الجرم کائنا ما کان.

و العدوان هو الظلم.

ص:۴۱۶

۶۵ لكفرنا:أصل التكفير التغطيه.

ص:۴۱۷

اليهود:غلت أيديهم

هدى من الآيات:

فی مقابل المجتمع الاسلامی نجد المجتمع الفاسد،الذی یمثله الیهود، و یتمیزون بعده صفات سلبیه:

الاولی:النفاق،حیث یتظاهرون بالایمان،و لکن دخولهم فی محضر الرسول صلی الله علیه و آله یتم بالکفر،کما ان خروجهم یتم بالکفر أیضا،و اللّه یعلم انهم یکتمون الکفر.

الثانیه:انهم یتسابقون الی قول الإثم و الی الاعتداء علی حرمه الناس و علی أکل أخبث الحرام.

الثالثه:ان رجال العلم و الدین قد فسدوا و لم یتناهوا عن الإثم و أکل السحت.

الرابعه:انهم قدریون آیسون من رحمه اللّه،و یزعمون ان ید اللّه مغلوله.

ص:۴۱۸

الخامسه:ان رساله اللّه تزیدهم طغیانا و کفرا.

السادسه:انهم مختلفون بعضهم یعادی بعضا.

السابعه:ان طبیعتهم تنزع الی الحرب و الفساد.

ان هذه الصـفات هی التی تدمر الکفار لأنه إذا آمن أهل الکتاب ایمانا حقیقیا و اتقوا لکفّر اللّه عنهم سیئاتهم و لا دخلهم جنات النعیم فی الاخره،اما فی الدنیا فلو انهم طبقوا الرساله،و نفذوا أوامر اللّه فی التوراه و الإنجیل إذا،لعاشوا فی الرفاه بحیث یأکلون من فوقهم و من تحت أرجلهم،و لکن منهم امه مقتصده تطبق تعالیم السماء،و کثیر منهم فاسقون و یعملون عملا سیئا لذلک ابتلوا بهذه الصفات السیئه.

بینات من الآیات:

تارک الرساله..صفات و تقییم:

[۶۱]لکی لا یتخذ المؤمنون الأجانب أولیاء یعدد اللّه صفات طائفه من الیهود التی تنطبق أیضا علی کل امه ترکت رسالات اللّه،و نافقت فی ایمانها کالانظمه المسیحیه فی العالم الغربی،أو ادعیاء الإسلام فی عالمنا،و ابرز تلک الصفات السیئه التی تنشأ منها سائر الصفات الرذیله النفاق.

وَ إِذٰا جٰاؤُکُمْ قٰالُوا آمَنّٰا وَ قَدْ دَخَلُوا بِالْکُفْرِ وَ هُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ فالکفر کان یصاحبهم قبل و بعد دخولهم علی الرسول أو فی الإسلام ظاهرا.

وَ اللّٰهُ أَعْلَمُ بِمٰا کٰانُوا یَکْتُمُونَ

من النفاق و الدجل.

و اللّه لا يرى ظاهر الناس فقط،بل يرى واقعهم الكامن أيضا.

[۶۲]و الايمان يردع الفرد عن التهمه و الغيبه و قول الزور و كل الأفكار المفسده للضمير و الداعيه الى الكسل و الجبن و العداء...اما المنافقون فلأنهم لا يتمتعون برادع الايمان لذلك تجدهم يسارعون فى الإثم.

وَ تَرىٰ كَثِيراً مِنْهُمْ يُسٰارِعُونَ فِي الْإِثْمِ اى لا يترددون من قول الإثم و الباطل.

كما ان الايمان وازع نفسى عن الاعتداء على حرمه الآخرين بشن الحروب الاستعماريه،أو اشاعه جو الإرهاب بالقتل و الاعتقال أو التهجير كما تصنعه الانظمه الطاغوتيه،اما من لا يملك هذا الوازع فهو يسارع فى التجاوز.

وَ الْعُدْوٰانِ و ما يستهدفه هؤلاء من قول الإثم و العدوان هو أكل اموال الناس الذى يشبه قطعه الجلد التى تتكون بعد الجرح و القرح و المليئه بالجراثيم و هذا يسمى ب(السحت).

وَ أَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ [۶۳]و الفساد فى هذا المجتمع قد تسرب الى الجهاز الأعلى فيه الى رجال العلم و الدين الذين من المفروض ان يكونوا جهازا اصلاحيا فى المجتمع و لكنهم يسكتون عن الفساد.

لَوْ لاٰ يَنْهٰاهُمُ الرَّبّٰانِيُّونَ وَ الْأَحْبٰارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَ أَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مٰا كٰانُوا يَصْنَعُونَ

بل يداه مبسوطتان:

[۶۴]من الأفكار الخرافيه الفاسده التی شاعت فی مثل هذا المجتمع كما عند اليهود انهم يقولون:يد اللّه مغلوله و انه خلق الخلق ثم تركه دون قدره علی تغيير أو تطوير،و بهذه الفكره ألغوا دور الدين فی الحياه، و دور الايمان باللّه و التوكل عليه فی بناء الحضارات.

وَ قٰالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّٰهِ مَغْلُولَةٌ و لان اليهود زعموا بان قدره اللّه محدوده فإنهم جمدوا و تخلفوا،لان الايمان بقدره اللّه الواسعه تنعكس علی البشر انطلاقا و تقدما،لأنه يستتبع الايمان بلا محدوديه الامكانات عند البشر المؤمن المتصل ببحر قدره اللّه التی لا تحد و لذلک قال ربنا:

غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ فالذی يتصور الحياه بصوره جامده لا تتطور الی الأفضل،و الذی لا يؤمن بقدره اللّه علی إنقاذه من ويلاته هو مغلول اليدين،و الذی لا يتوكل علی اللّه هو الاخر مغلول اليدين يعيش أبدا فی أو حال الرجعيه و التخلف.

و أكثر من هذا فان اليهود ملعونون مطرودون من رحمه اللّه و غير قادرين علی الانتفاع بالامكانات الحاضره لديهم،لذلک قال ربنا:

وَ لُعِنُوا بِمٰا قٰالُوا

اى لعنوا و ابعدوا من بركات اللّه بسبب قولهم الفاسد،اما ربنا سبحانه فان قدرته لا محدوده،و هو ينفق من هذه القدره حسبما تقتضيه حكمته البالغه.

بَلْ يَدٰاهُ مَبْسُوطَتٰانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشٰاءُ ان رؤيه اليهود الجامده الى الرساله الجديده و الى كل جديد،و كفرهم بامكانيه التجديد أصبح حجابا بينهم و بين نور الرساله لذلك كلما تليت عليهم ايات الرساله ازدادوا طغيانا.

وَ لَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ مٰا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيٰاناً وَ كُفْراً لأنهم كانوا يزعمون أنّ كل جديد بدعه يجب محاربته،فلذلك كانوا يتوغلون أكثر فأكثر فى خرافاتهم القديمه.

و ربما بسبب الرؤيه الجامده و الثابته الى الحياه،و اعتقادهم الراسخ بان اللّه لا يطور الحياه ارتبطوا بألفاظ و قوالب معينه جمدوا عليها و اختلفوا فيها،و استمرت الخلافات هذه بينهم الى يوم القيامه،و لم يدفعهم تطور الحياه الى العوده الى جوهر رسالتهم و ترك القوالب الجامده التى تشبث كل فريق بجانب منها و تعصب لها، لذلك أعقب القرآن الحكيم على السلبيات السابقه سلبيه الخلافات الداخليه و قال:

وَ أَلْقَيْنٰا بَيْنَهُمُ الْعَدٰاوَةَ وَ الْبَغْضٰاءَ إِلىٰ يَوْمِ الْقِيٰامَةِ كُلَّمٰا أَوْقَدُوا نٰاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللّٰهُ و إطفاء اللّه لنيران الحرب التى أوقدوها دليل على التدبير المباشر لربنا لشؤون الحياه،كما ان كل خطه محكمه تفشل بما يسمى بالصدفه،و كل رأى سديد ينقض بسبب ما يقال:بأنه الدهر و الليل و النهار،و كل تقدم و انتصار يتحقق

ص:۴۲۲

ينسب الى الحظ،کل ذلک دلیل علی التدبیر المباشر لربنا فی الحیاه و لذلک جاء

فی حدیث الامام علی علیه السلام :

«عرفت اللّه بفسخ العزائم و نقض الهمم » وَ یَسْعَوْنَ فِی الْأَرْضِ فَساداً وَ اللّهُ لا یُحِبُّ الْمُفْسِدِینَ و فسادهم فی الأرض نتیجه واضحه لرؤیتهم الباطله و الجامده تجاه الحیاه،فهم لا یؤمنون بضروره العمل لمستقبل أفضل حتی یصلحوا الحیاه،کما لا یؤمنون بان فسادهم سوف یتسبب فی دمار الحیاه و تحول عیشهم الی جحیم لا یطاق حتی یرتدعوا عن الفساد.

و الواقع ان فکرتهم باطله،ذلک لان اللّه لا یحب المفسدین،فهو یجازیهم شرا بفسادهم.

[۶۵]ان کل تلک السلبیات التی تواترت علی الیهود لم تکن بسبب رسالات اللّه الهابطه علیهم فی الکتب،بل بسبب عدم عملهم بتلک الرسالات.

وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْکِتابِ آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَکَفَّرْنا عَنْهُمْ سَیِّئاتِهِمْ وَ لَأَدْخَلْناهُمْ جَنّاتِ النَّعِیمِ و ذلک فی الاخره،و التقوی هو الالتزام بما یوجبه الایمان من العمل الصالح و السلوک الحسن.

[۶۶]کما ان تطبیق تعالیم السماء سوف ینشر علیهم الرفاه و الرخاء.

وَ لَوْ أَنَّهُمْ أَقامُوا التَّوْراهَ وَ الْإِنْجِیلَ وَ ما أُنْزِلَ إِلَیْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ

كالقرآن الحكيم،حتى لا يكون تطبيقهم للتوراه و الإنجيل تعصبا بل لأنه نازل من ربهم.

لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ حيث تنزل السماء بركات عليهم،و تنبت الأرض خيراتها،و سلطاتهم ستكون عادله،و كبار القوم يرحمون صغارهم،و الصغار يوقرون كبارهم و لم تكن تشيع بينهم الطبقيه المقيته،و لا ينمو فى مجتمعهم الطغيان بيد ان أهل الكتاب لم يطبق كلهم كتاب اللّه بل.

مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ معتدلون فى تنفيذ الأوامر غير سباقين فيها و لا مقصرين.

وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ سٰاءَ مٰا يَعْمَلُونَ فلا ينفذون واجبات ربهم،و عاقبتهم هى تلك التى أشار إليها ربنا فى الآيات السابقه.

[سوره المائده (۵): الآيات ۶۷ الى ۷۱]

اشاره

يَا أَيُّهَا اَلرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَ اَللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ اَلنَّاسِ إِنَّ اَللَّهَ لاَ يَهْدِي اَلْقَوْمَ اَلْكَافِرِينَ (۶۷) قُلْ يَا أَهْلَ اَلْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا اَلتَّوْرَاةَ وَ اَلْإِنْجِيلَ وَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَ لَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَاناً وَ كُفْراً فَلاَ تَأْسَ عَلَى اَلْقَوْمِ اَلْكَافِرِينَ (۶۸) إِنَّ اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ اَلَّذِينَ هَادُوا وَ اَلصَّابِئُونَ وَ اَلنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ اَلْيَوْمِ اَلْآخِرِ وَ عَمِلَ صَالِحاً فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لاَ هُمْ يَحْزَنُونَ (۶۹) لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقاً كَذَّبُوا وَ فَرِيقاً يَقْتُلُونَ (۷۰) وَ حَسِبُوا أَلاَّ تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَ صَمُّوا ثُمَّ تَابَ اَللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَ صَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَ اَللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (۷۱)

اللغه

۶۸[فلا تأس]:فلا تحزن

ص:۴۲۵

الولایه ذروه الأیمان

هدی من الآیات:

بعد ان امر القرآن الحکیم المسلمین بالولایه التامه للمجتمع الاسلامی، و نهاهم بشده عن قبول ولایه الکفار و المشرکین،و بین سبب ذلک فی الدرس السابق،جاء فی هذا الدرس یؤکد للرسول،و عموما لکل من تحمل تبلیغ رسالات اللّه،کالربانیین و الأحبار بالاّ یهادنوا أحدا،و لا یساوموا أحدا فی تبلیغ الرساله عموما،و من الطبیعی ان یکون سیاق الحدیث فی هذا الموضوع الولایه أو القیاده لأنها هی التی قد یخشی الرسول من تبلیغها خوف ارتداد الناس،ذلک ان القیاده أهم ما تطمح إلیها القوی الاجتماعیه.

و أکد ربنا سبحانه علی ان التقصیر فی هذا الجانب یکون بمعنی عدم تبلیغ الرساله رأسا،و وعد المبلغین لرسالات اللّه،و حفظهم من شر الناس،و انه لا یهدی القوم الکافرین.

ثم حذر أهل الکتاب من انکم لستم علی شیء حتی تقیموا التوراه و الإنجیل و القرآن،ثم بین ان الرساله الجدیده سوف تزید الکفار طغیانا و کفرا فلا تحزن علیهم.

ص:۴۲۷

و لكن ذلك كله لا يعنى ان اليهود و النصارى أو الصابئين يدخلون النار، لأنهم أصحاب كتب.كلا.بل انهم لو آمنوا باللّه و اليوم الآخر و عملوا عملا صالحا فانه لا خوف عليهم و لا هم يحزنون.

بينات من الآيات:

و هل الدين الا الولايه

؟ [۶۷]السياسه فى اى نظام اجتماعى هى القمه،و القياده فى السياسه هى سنام القمه و من دون سياسه صالحه فان سائر الانظمه الاجتماعيه لا تعنى أكثر من حبر على ورق،كما انه من دون القياده الصالحه فان السياسه لا تعنى شيئا لذلك فان اللّه سبحانه يذكر نبيه-هنا-بان اى تقصير فى امر تبليغ اى بند من بنود الرساله يعتبر و كأنه لم يبلغ الرساله أساسا.يقول ربنا:

يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مٰا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمٰا بَلَّغْتَ رِسٰالَتَهُ و هنا يطرح سؤالان:الاول:لما ذا جاء هذا التحذير فى هذا السياق؟ الثانى:لما ذا ارتبط تبليغ رساله جزء مما انزل بسائر الاجزاء..؟ للاجابه على السؤال الأخير لا بد ان نعرف:ان تقصير الرسول أو اى مبلغ لرسالات اللّه انما يكون بدافع اجتماعى.مثل الخوف من ذوى البطش و مراكز القوى أو الطمع فى جذب الناس و عموما لا يكون ذلك الا فى القضايا الحساسه مثل القياده أو مخالفه عادات راسخه أو ما أشبه،و إذا لم يبلغ الرسول رساله ربه فى مثل هذه القضايا فان الرساله لن تحقق هدفها إذ ان هدف الرساله هو مقاومه السلبيات الاساسيه فى المجتمع،اما القضايا البسيطه فان إصلاحها لا يغير من

واقع المجتمع شيئا.

ثم ان الرساله التی تعجز عن مقاومه سلبیات المجتمع،أو معالجه القضایا الاساسیه فیه لا تنفع شیئا لان کل ظاهره تخالفها الرساله قد تصبح فی یوم من الأیام ذات حساسیه فی المجتمع و لا تستطیع الرساله انئذ من مخالفتها...حتی الصلاه قد تصبح ذات یوم قضیه تستتبع الخوف و الاستهزاء فعلی الرساله التنازل عنها؟! و من هنا نعرف الاجابه علی السؤال الاول،إذ ان السیاق القرآنی یحدثنا عن الولایه،و الولایه قضیه حساسه بل هی أهم قضیه حساسه لذلک أکد القرآن علی هذا الحکم فی هذا السیاق بالذات...لذلک جاء

فی الحدیث المروی عن الامام الباقر علیه السلام .

(ان اللّه اوحی إلی نبیه صلی الله علیه و آله ان یستخلف علیا علیه السلام فکان یخاف ان یشق ذلک علی جماعه من أصحابه،فانزل اللّه تعالی هذه الآیه تشجیعا له علی القیام بما امره اللّه بأدائه) و المعنی:ان ترکت تبلیغ ما انزل إلیک و کتمته کنت کأنک لم تبلغ شیئا من رسالات ربک فی استحقاق العقوبه.

وَ اللّٰهُ یَعْصِمُکَ مِنَ النّٰاسِ إِنَّ اللّٰهَ لاٰ یَهْدِی الْقَوْمَ الْکٰافِرِینَ

موقف أهل الکتاب من الولایه:

[۶۸]و القضیه لا تخص المسلمین فقط،إذ ان علی جمیع أهل الکتب

السماويه ان يطبقوا كل تعاليم الرسالات السماويه و الا فان مثلهم مثل الذى لا يملك رساله أبدا و لا فرق بينهم و بين الكفار.

قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ لَسْتُمْ عَلى شَيْءٍ حَتّى تُقِيمُوا التَّوْراةَ وَ الْإِنْجِيلَ وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ بينما أهل الكتاب أصبحوا يتخذون موقفا معاديا من رسالات ربهم لذلك فهم يزدادون بها طغيانا و كفرا.

وَ لَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْياناً وَ كُفْراً فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكافِرِينَ اى لا تحزن عليهم.

[٦٩]و إذا طبق أهل الكتاب كل ما انزل عليهم من ربهم فان رحمه اللّه واسعه...و فضله عظيم فهو يدخلهم جناته كالمسلمين.

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ الَّذِينَ هادُوا وَ الصّابِئُونَ وَ النَّصارى مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ عَمِلَ صالِحاً فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ [٧٠]لقد أمر بنو إسرائيل،و كل أهل الكتاب ان يؤمنوا بالحق أنّى كان، و اين كان،و من دون تجزئته،و لكنهم لم يطبقوا ذلك و خانوا عهدهم.

فأخذوا يبعضون ايمانهم بالرسل حسب أهوائهم المصلحيه،أو حسب تصنيفاتهم العنصريه فاذا جاءهم رسول يخالف مصالحهم،أو من غير عنصرهم، كفروا به مما يدل على أنّهم لم يؤمنوا أساسا بالحق،بل آمنوا بالأهواء و العنصريه.

لَقَدْ أَخَذْنا مِيثاقَ بَنِي إِسْرائِيلَ وَ أَرْسَلْنا إِلَيْهِمْ رُسُلاً كُلَّما جاءَهُمْ رَسُولٌ بِما لا تَهْوى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقاً كَذَّبُوا وَ فَرِيقاً يَقْتُلُونَ عمليه التكذيب للرسول هى قتل له لان أهم شىء عنده هى رسالته فلو أنها كذبت فكأنه قد قتل قتلا.

[71]و كان يزعم هؤلاء:أنّ قتل الأنبياء أو تكذيبهم سوف لا يخلف اثارا سلبيه عليهم، فاندفعوا الى ذلك دون ان يبصروا الحقائق بأنفسهم أو يسمعوها من ذوى النصيحه.

وَ حَسِبُوا أَلاّ تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَ صَمُّوا ثُمَّ تابَ اللّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَ صَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَ اللّهُ بَصِيرٌ بِما يَعْمَلُونَ ان الدعاه و المصلحين هم عيون الامه فاذا قتلوهم،فكأنهم أعموا أعينهم، و أذا أعمى الإنسان عينه،فهل يعنى ذلك ان الحقائق تزول،أو تتغير لمجرد أنه لا يراها.كلا-بل يعنى انه سوف يتناقض معها و يدفع الثمن غالبا أمامك صخره تراها عينك و تخبرك بذلك و لكنك بدل ان تصدق عينك و تنحرف عن الصخره تغرز بمسمار فى عينك فتعميها جزاء نصيحتها لك بما لا يرضاه غرورك و تكبرك و طغيانك ثم ماذا،هل تنتهى المشكله-كلا بل بالعكس بعد لحظات تجد نفسك و قد ارتطمت بالصخره و تكسرت ساقك و تحطم رأسك،كذلك فعل أهل الكتاب بأنبياء اللّه الذين أسروا إليهم النصح فقتلوا الناصحين،و زعموا انّ ذلك يخلصهم،مما يحذرهم الناصحون منه،فاذا بهم يجدونها امامهم،هنالك تاب فريق منهم،و لكن توبه أكثرهم كانت وقتيه،إذ أنهم ما لبثوا أن عادوا الى عنادهم مره اخرى.

ان هذا بعض اثار الكفر بالحق،الذى مارسه اليهود،و علينا الا نتولى اليهود لهذا السبب.

ص:431

[سوره المائده (۵): الآيات ۷۲ الى ۷۷]

اشاره

لَقَدْ كَفَرَ اَلَّذِينَ قالُوا إِنَّ اَللّهَ هُوَ اَلْمَسِيحُ اِبْنُ مَرْيَمَ وَ قالَ اَلْمَسِيحُ يا بَنِي إِسْرائِيلَ اُعْبُدُوا اَللّهَ رَبِّي وَ رَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اَللّهُ عَلَيْهِ اَلْجَنَّةَ وَ مَأْواهُ اَلنّارُ وَ ما لِلظّالِمِينَ مِنْ أَنْصارٍ (۷۲) لَقَدْ كَفَرَ اَلَّذِينَ قالُوا إِنَّ اَللّهَ ثالِثُ ثَلاثَةٍ وَ ما مِنْ إِلهٍ إِلاّ إِلهٌ واحِدٌ وَ إِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ اَلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ (۷۳) أَ فَلا يَتُوبُونَ إِلَى اَللّهِ وَ يَسْتَغْفِرُونَهُ وَ اَللّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (۷۴) مَا اَلْمَسِيحُ اِبْنُ مَرْيَمَ إِلاّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ اَلرُّسُلُ وَ أُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كانا يَأْكُلانِ اَلطَّعامَ اُنْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ اَلْآياتِ ثُمَّ اُنْظُرْ أَنّى يُؤْفَكُونَ (۷۵) قُلْ أَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اَللّهِ ما لا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَ لا نَفْعاً وَ اَللّهُ هُوَ اَلسَّمِيعُ اَلْعَلِيمُ (۷۶) قُلْ يا أَهْلَ اَلْكِتابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ اَلْحَقِّ وَ لا تَتَّبِعُوا أَهْواءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَ أَضَلُّوا كَثِيراً وَ ضَلُّوا عَنْ سَواءِ اَلسَّبِيلِ (۷۷)

اللغه

۷۵[صديقه]:الصديقه المبالغه فى الصدق كما يقال رجل سكبت أى مبالغ فى سكوته.

[يؤفكون]:يقال أفكه يأفكه إفكا إذا صرفه،و الافك الكذب لأنه صرف عن الحق.و كل مصروف عن شيء مأفوك عنه.و قد افكت الأرض إذا صرف عنها المطر.

ص:۴۳۳

انحرافات النصاری شرک و غلو

هدی من الآیات:

الأمه الاسلامیه طلیعیه المتمثله فی حزب الله هی امه طلیعه مستقیمه علی الحق و علیها ان تبقی کذلک،و تتجنب المزالق،و لا تتولی الیهود أو النصاری، الذین انحرفوا عن الحق،کل باتجاه،و لکن ما دمت منحرفا عن الطریق فلا فرق أن تکون یمینا أو یسارا.

لقد رأینا فی الدرس السابق کیف أن الیهود أصیبوا بالجمود باسم المحافظه علی التقالید،و تحدوا الحق الجدید و طغوا علیه و کفروا به.

و ها هم النصاری نراهم فی هذا الدرس یخالفون الحق بصوره أخری،حیث أنهم یؤمنون بالأساطیر و یمیعون الحق،فهم یشرکون باللّه،و یرفعون مستوی المسیح الی مستوی الربوبیه،تقلیدا للکفار الذین ضلوا الطریق من قبلهم انهم انفتاحیون و لکن دون مقیاس صحیح و اصیل.

و القرآن یندد بهذه الفکره و یقول بأنها شرک تسبب حرمان الجنه،ثم أنها

ص:۴۳۴

تؤدی الی الکفر بـاللّه رأسا.و لماذا نشـرک باللّه،هل لکی نجـد من یخلصـنا من عـذاب اللّه؟أو لیس من الأفضل ان نعود الی اللّه لنجد عنده المغفره الواسـعه، اما المسـیح فلن یغنی شـیئا عن اللّه.انه بشـر مثلنا یأکل الطعام،و هو لا یضـر و لا ینفع من دون اللّه،و الواقع ان تألیه المسیح جاء نتیجه تقلید الأساطیر الکافره:

و هو غلو مرفوض فی الدین.

بینات من الآیات:

دوافع الشرک باللّه لدی النصاری:

[۷۲]لماذا انحرف النصاری عن المسـیحیه الصحیحه،و لماذا قالوا:ان اللّه هو المسیح،هل لأنهم لم یفهموا حقیقه الایمان بالغیب؟و لم یرتفعوا الی مسـتوی هـذا الایمان فحسـبوا ان اللّه هو المسـیح؟،أو لأنهم أرادوا ان یتمسـکوا بالـدین تمسـکا شدیـدا فغالوا فیه فضـلوا فلکی یرفعوا منزله المسـیح اشـرکوه باللّه سـبحانه؟أو لأنهم انفتحوا علی الثقافات المشـرکه-خصوصا-الثقافه الیونانیه،التی عشـعشت فی الاسـکندریه،و تسـربت منها الی المسـیحیه؟أو لأنهم تصوروا عظمه اللّه،و شده بأسه و صرامه احکامه فلکی یجدوا لأنفسـهم مخلصا یسمحوا لأنفسهم به فعل الذنوب قالوا:ان اللّه أکثر من واحد،و انه إذا أراد أحدهم عقابنا فسوف یخلصنا الثانی؟ کل هذه الدوافع قد تکون وراء الشـرک عموما،و شـرک النصاری خصوصا، و قد لا یکون الشـرک نوعا واحدا،إذ ان الضلاله و الانحراف قد تکون عبر آلاف الطرق،اما صراط الحق فلن یکون سوی صراط واحد.

و فی الآیات التالیه إشارات إلی کل هذه الدوافع التحریفیه التی علینا ان

نتحذر منها عند ما نريد ان نبنى أمتنا.

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَ قَالَ الْمَسِيحُ يا بَنِى إِسْرائِيلَ اعْبُدُوا اللّهَ رَبِّى وَ رَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَ مَأْواهُ النّارُ وَ ما لِلظّالِمِينَ مِنْ أَنْصارٍ كيف ينهى اللّه عن عباده نفسه؟فاذا كان المسيح هو اللّه فكيف أمرنا بعباده غيره؟ كلا.انه داعيه اليه قالها بكل صراحه:(اَللّهَ رَبِّى وَ رَبَّكُمْ)ثم حذر من الشرك باللّه،و بين جزاء المشرك،و أكد بأنه لا هو و لا غيره قادرين على مقاومه إرادته اللّه فى نصره الظالم،و إنقاذه من النار.

ما مِنْ إِلهٍ إِلاَّ اللّهُ :

[۷۳]إن المسيحيه المنحرفه،انقسمت على نفسها فى أن اللّه هو المسيح أو أنه شريك للمسيح،و ذلك انطلاقا من اختلاف الأفكار الجاهليه القديمه،التى قالت حينا بوحده الوجود،و حينا بتعدد الوجود،و سواء كان قولهم الأول أو الثانى فهو كفر.

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللّهَ ثالِثُ ثَلاثَهٍ إذ ان اللّه يعنى الأحديه المطلقه التى لو أنكرها الفرد فقد أنكر الالوهيه ذاتها.

وَ ما مِنْ إِلهٍ إِلاّ إِلهٌ واحِدٌ

ص:۴۳۶

لـذلك فمن أنكر التوحيد،فقد أنكر اللّه،إذ ليس هذا الذى يتقبل الشـريك إلها.أ إله هذا الذى لا يقدر على شـريكه؟!أم إله هذا الذى يعجز عن بعض الأعمال من دون شريكه؟! و إذا ما الفرق بينه و بين خلقه؟!و إذا لماذا أساسا نؤمن بالإله؟!.

إننا حين نرى عجز الخلق عن بعض الأفعال،نعرف أن هناك إلها لا يدخل فى طبيعته العجز،و لا تحد قدرته حدود.

و إذا رأينا الإله عاجزا أيضا،فلا يبقى مبرر للايمان به.

وَ إِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمّٰا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذٰابٌ أَلِيمٌ تخصـص العذاب بالكفار منهم بالرغم من ان هذه الفكره تنسب الكفر لكل من يتقبلها و لكن تخصـص العذاب ببعضهم.لان من يقول بهذا الكلام دون وعى كاف قد لا يحكم عليه بالكفر،مثل بعض المتصوفه من المسـلمين،الـذين يغـالون فى أوليائهم حتى مرتبه الألوهيه من دون شـعور منهم بحقيقه ما يقولون،و إنه لكفر باللّه العظيم.

عيسى ليس باله:

[۷۴]يزعم بعض النصارى أنهم يحتمون بعيسى(ابن اللّه)عن عذاب أبيه، لأنه ارحم منه بنا و يفند اللّه سبحانه هذا الزعم بطريقتين:

الاولى:جذريه،حيث يقول:

أَ فَلاٰ يَتُوبُونَ إِلَى اللّٰهِ وَ يَسْتَغْفِرُونَهُ وَ اللّٰهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ

ان لا- يجد من هو أرحم به من اللّه و أكثر غفرانا.فلما ذا يتصور ان هناك من يخلصه من اللّه ما دام اللّه لم يسد عليه أبواب رحمته...فليعد الى ربه ليجد فى رحابه كل خير.

[۷۵]الثانى:ان المسيح ليس سوى بشر،و هل البشر قادر على أن ينقذ الناس من غضب اللّه.

ان المسيح كان قد ولد من أم و هذا أول و أبرز أدله عجزه و محدوديته، و بالتالى فهو مخلوق،ثم انه كان يأكل الطعام و من دون الطعام كان سيموت مما يدل أيضا على انه لم يكن سوى بشر،و هل يقدر من يحتاج إلى الطعام،أن يقاوم إراده اللّه،خالق الطعام،و الشراب،و مالكهما.

مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاّٰ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ لذلك لا تصبح معاجزه أو علومه دليلا على أنه إله،لأن كل الرسل أيضا مثله يملكون معاجز و يعلمون بعض الغيب.

وَ أُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كٰانٰا يَأْكُلاٰنِ الطَّعٰامَ فليس هو أو أمه من نوع الآلهه الذين لا بد ان يكونوا بغنى عن الطعام.

اُنْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيٰاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنّٰى يُؤْفَكُونَ [۷۶]ثم ماذا يغنى عنكم المسيح،ما دام لا- يغنى عن نفسه غائله الجوع، إلا بالجهد و بوسيله ماديه اى بالطعام.

قُلْ أَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ مٰا لاٰ يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَ لاٰ نَفْعاً وَ اللّٰهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

و هل بامكانكم ان تحتموا به عن اللّه الذی یسمع ما تقولونه ظاهرا و یعلم ما فی قلوبکم

الغلو محراب الشرک:

[۷۷]ان أهم الـدوافع وراء تألیه المسـیح عیسـی بن مریم،کان الغلو فی الـدین، و بقـدر ما تکون اللامبالاه بالـدین خطرا فان الغلو خطر بقدره،لأن هذا و ذاک مخالفان للحق و الحق هو محور الکون و یجب أن یکون محور حیاه الإنسان أیضا.

قُـلْ یٰا أَهْلَ الْکِتٰابِ لاٰ تَغْلُوا فِی دِینِکُمْ غَیْرَ الْحَقِّ و حین أراد قاده الکنیسه دعم المبادئ الـدینیه توجهوا إلی الغلو فی الـدین سـعیا وراء ترسـیخ مبادئه فی النفوس،و لکن الغلو بحاجه الی إیـدیولوجیه تـدعمه لذلک اتجهوا إلی الثقافات الجاهلیه،و طعموا دینهم بهـا،التی لم تکن سوی خرافـات،أملتهـا أهواء أهـل الضـلاله کمثل خرافات الیونانیین عن تعـدد الآلهه، و وجود قـدره غیبیه لکل شیء هی وراء ما نری فی الطبیعه من تناقضات،أو تفاعلات إن هـذه الخرافات،هی التی تسـربت الی المسـیحیه،فحولتها إلی دین المغالین.

و اللّه نهی عن ذلک بشده قائلا:

وَ لاٰ تَتَّبِعُوا أَهْوٰاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَ أَضَلُّوا کَثِیراً وَ ضَلُّوا عَنْ سَوٰاءِ السَّبِیلِ

ص:۴۳۹

[سوره المائده (۵): الآیات ۷۸ الی ۸۱]

اشاره

لُعِنَ اَلَّذِینَ کَفَرُوا مِنْ بَنِی إِسْرائِیلَ عَلی لِسانِ داوُدَ وَ عِیسَی اِبْنِ مَرْیَمَ ذلِکَ بِما عَصَوْا وَ کانُوا یَعْتَدُونَ (۷۸) کانُوا لا یَتَناهَوْنَ عَنْ مُنکَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ ما کانُوا یَفْعَلُونَ (۷۹) تَری کَثِیراً مِنْهُمْ یَتَوَلَّوْنَ اَلَّذِینَ کَفَرُوا لَبِئْسَ ما قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اَللّهُ عَلَیْهِمْ وَ فِی اَلْعَذابِ هُمْ خالِدُونَ (۸۰) وَ لَوْ کانُوا یُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَ اَلنَّبِیِّ وَ ما أُنْزِلَ إِلَیْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِیاءَ وَ لکِنَّ کَثِیراً مِنْهُمْ فاسِقُونَ (۸۱)

ص:۴۴۰

تأثير الولاء على قيم الرسالات

هدى من الآيات:

اشاره

جـدد القرآن الكريم فی نهايه هذه السلسـله من الدروس تنديده بتوّلی الكفار،محذرا ان من يتولی الكفار سـيكون مثلهم،حتی و لو كان منحدرا من سلسله مؤمنه كبنی إسرائيل.

فهذا داود-النبی الملك،و هذا عيسـی الزاهد،كلاهما يلعنان طائفه من بنی إسـرائيل.علما بأن داود و عيسـی كانا من بنی إسرائيل أيضا،و لكن اللعنه علی بنی إسرائيل انما كانت بسبب عصيانهم و اعتدائهم...

لقد ماتت فی مجتمعهم،قيم الرساله فلم يعد أحد يهتم بها أو يدافع عنها، و لذلك ضاعت وحدتهم الفكريه و تشرذم مجتمعهم.

فأصبح فريق منهم يتولی الكفار بكل صراحه،و يجر الی نفسه سخط اللّه العظيم.

و إذا كانت قيم الرساله حيه فى قلوبهم،إذا لم يزدوج ولاؤهم،و لم يكونوا يخونوا مجتمعهم و لكن نفوسهم خوت من الايمان و عملوا بالفسوق و العصيان.

لقد جاء هذا الدرس منسجما مع الدروس السابقه التى كانت تؤكد على اهميه الولاء للمجتمع المسلم و الحزب اللّه الواحد.

بينات من الآيات:

لعنه بنى إسرائيل:

[۷۸]اللعنه لا ـ تلحق البشر بسبب طينته،كما ان الرحمه لا تصيبه بهذا السبب،بل كل ما يصيب الإنسان فهو بسبب عمله...و بنو إسرائيل كان فيهم مسلمون،و كان فيهم كفار-طردهم أنبياء بنى إسرائيل-و يمثل القرآن بمثلين من أنبياء بنى إسرائيل داود عليه السلام و هو ملك و حاكم-و المفروض أن يأخذ الملك رعاياه بالسياسه و اللين،خصوصا و ان داود كان صاحب الزبور،و يدعو أبدا الى الرحمه و الصلاح-و بعد داود لعنهم عيسى عليه السلام،بالرغم من أن دعوته كانت الى السلام و الرحمه،و كان سبب طردهما الكفار بنى إسرائيل هو:ان الكفار منهم كانوا يعصون اللّه و يعتدون على الناس.

لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِى إِسْرَائِيلَ عَلىٰ لِسَانِ دَاوُدَ وَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَ كَانُوا يَعْتَدُونَ .

عوامل انهيار المجتمع:

[۷۹]و انهيار المجتمع،يبدأ بعدم التزام كل فرد بواجبه،و بالتالى عصيان

اللّه فيما يخص نفسه(ترک الصلاه-الکذب)ثم يتطور الى الاعتداء على حقوق الآخرين،ثم يتطور الى اللامبالاه بالقيم،و ينتهى بتشرذم المجتمع و تعدد الولاءات فيه.خصوصا الولاءات الأجنبيه.

كَانُوا لاٰ يَتَنٰاهَوْنَ عَنْ مُنكَرٍ فَعَلُوهُ كان لا ينهى بعضهم بعضا عن المنكر،مما يدل على انهم لم يعودوا يحترمون القيم حتى على صعيد الحياه الاجتماعيه.

لَبِئْسَ مٰا كٰانُوا يَفْعَلُونَ ان ترک النهى عن المنكر يعجل فى انهيار الامه.

[۸۰]و أدى عدم الاهتمام بالقيم الى اهتمام كل فرد بمصالحه و شهواته التى وجدها عند غير قومه،فباع نفسه لهم،و خان قومه..لعدم وجود رادع من ضمير أو قيمه من دين،و كان يجد فى أفكار الأجانب ما يملأ بها فراغه الفكرى،لذلک كان ينتمى إليهم.

تَرىٰ كَثِيراً مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مٰا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ وَ فِی الْعَذٰابِ هُمْ خٰالِدُونَ [۸۱]ان كل ذلک الانهيار الذى حصل فى مجتمع بنى إسرائيل كان بسبب عدم الايمان إذ أن الايمان هو المحور السليم لربط الناس ببعضهم.

وَ لَوْ كٰانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَ النَّبِيِّ وَ مٰا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيٰاءَ وَ لٰكِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ فٰاسِقُونَ أى غير مؤمنين حقا،و لذلک تشرذم مجتمعهم و أصبح مجتمعا ذيليا...

[سوره المائده (۵): الآیات ۸۲ الی ۸۶]

اشاره

لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ اَلنّاسِ عَداوَةً لِلَّذِینَ آمَنُوا اَلْیَهُودَ وَ اَلَّذِینَ أَشْرَکُوا وَ لَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِینَ آمَنُوا اَلَّذِینَ قالُوا إِنّا نَصاری ذلِکَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّیسِینَ وَ رُهْباناً وَ أَنَّهُمْ لا یَسْتَکْبِرُونَ (۸۲) وَ إِذا سَمِعُوا ما أُنْزِلَ إِلَی اَلرَّسُولِ تَری أَعْیُنَهُمْ تَفِیضُ مِنَ اَلدَّمْعِ مِمّا عَرَفُوا مِنَ اَلْحَقِّ یَقُولُونَ رَبَّنا آمَنّا فَاکْتُبْنا مَعَ اَلشّاهِدِینَ (۸۳) وَ ما لَنا لا نُؤْمِنُ بِاللّهِ وَ ما جاءَنا مِنَ اَلْحَقِّ وَ نَطْمَعُ أَنْ یُدْخِلَنا رَبُّنا مَعَ اَلْقَوْمِ اَلصّالِحِینَ (۸۴) فَأَثابَهُمُ اَللّهُ بِما قالُوا جَنّاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا اَلْأَنْهارُ خالِدِینَ فِیها وَ ذلِکَ جَزاءُ اَلْمُحْسِنِینَ (۸۵) وَ اَلَّذِینَ کَفَرُوا وَ کَذَّبُوا بِآیاتِنا أُولئِکَ أَصْحابُ اَلْجَحِیمِ (۸۶)

ص:۴۴۴

المسلمون بين

اشاره

عداوه اليهود و موده النصارى

هدى من الآيات:

اليهود تطرفوا فى المحافظه على أفكارهم و تقاليدهم،فاستكبروا عن الحق، و عاندوا صاحب الرساله،و لم تزدهم الرساله الجديده الا جحودا و إنكارا.اما النصارى:فقد انحرفوا عن الحق بطريقه مغايره حيث انهم فقدوا مقياس الحق و الباطل فآمنوا بكل الأفكار التى وجدوا عليها صبغه دينيه،و بالرغم من أن هذا الانفتاح الواسع الذى جرهم الى الضلاله،فأنه من الممكن ان يصبح وسيله للهدايه الى الحق..حيث انهم يستقبلون الأفكار الجديده بصدر رحب، و يستعدون للايمان بها فور سماعها.

من هنا نجد عند النصارى استقبالا يكاد يوازى فى المقدار عناد اليهود، و لذلك فاليهود هم أشد الناس عداوه للذين امنوا،بينما النصارى أقربهم موده، اما المشركون فهم كاليهود فى استكبارهم و عنادهم،و بالتالى عداوتهم للرساليين الجدد.

ص:۴۴۵

و الانفتاح عند النصارى-و بالذات عند علمائهم الأبرار-و لعدم الاستكبار عن الحق..تراهم إذا سمعوا ايات اللّه الجديده فاضت أعينهم بالدموع للتأثير الكبير الذى تخلفه آيات القرآن فى أنفسهم.

ان بعض قساوه النصارى لا يستهدفون(كاحبار اليهود)الذهب و الفضه، بل ان منتهى تطلعهم تزكيه الذات و إصلاح النفس،لذلك حين يجدون وسيله الى ذلك يتسارعون اليه.

بينات من الآيات:

أشد الناس عداوه و أقربهم موده:

[۸۲] لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النّاسِ عَداوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا اما اليهود فلأنهم تركوا الحق جانبا،و تمحوروا حول ذواتهم،فألهوا عنصر بنى إسرائيل و اعتبروه عنصرا مقدسا يدور معه الحق أنى دار،و ليس العكس، و لذلك فهم لا يقيمون أنفسهم بمقياس الحق،بل يقيمون الأفكار بمقياس ذواتهم، لذلك فهم لا يمكن إلا ان يعادوا الذين آمنوا بالحق.

و أما المشركون،فهم بدورهم تركوا الحق،و اتبعوا الهوى فعبدوا الثروه، و السلطه،و كل ما يرمز الى الثروه أو السلطه.

هؤلاء أيضا انحرفوا عن الحق،عن سابق تصميم و بإصرار،فهم أيضا يعادون المؤمنين.

وَ لَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قالُوا إِنّا نَصارى ذلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ

قِسِّيسِينَ وَ رُهْبَاناً وَ أَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ هؤلاء كانوا يفتشون عن الحق و لكنهم لا يجدونه...لذلك تجدهم لا يستكبرون على الحق إذا سمعوه و توفرت لديهم فرصه الهدايه.

[٨٣] وَ إِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ،تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ،مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ان تأثير الحق فى النفوس الطيبه شديد بحيث يحرك كل المشاعر الخيره فيها، فتلتهب النفس إيمانا و شوقا،و أملا،و خشيه،و تتفجر العيون دموعا و بريقا، و روعه و جمالا،اما الألسن فهى الاخرى لا تستطيع ان تخفى المشاعر الجياشه.

يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ انهم يخشون ان يفوتهم قطار المؤمنين لذلك يسارعون إلى الايمان،و يدعون اللّه بان يحسبهم من المؤمنين.

[٨٤]و السبب الذى يدعوهم الى الأيمان انهم كانوا يبحثون سلفا عن الحق و الصلاح.و ان هدفهم فى الحياه لم يكن تأليه ذواتهم،و البحث عن العلو فى الأرض،و الفساد،(كما كان اليهود)كما لم يكن هدفهم الوصول الى شهواتهم العاجله بالثروه و السلطه،إنما كان هدفهم إصلاح أنفسهم و إرضاء ربهم، فنياتهم كانت طيبه و قلوبهم نظيفه.

وَ مَا لَنَا لاَ نُؤْمِنُ بِاللّهِ وَ مَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَ نَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ انهم يهدفون الصلاح و يعرفون أن الوسيله الى ذلك هو الايمان باللّه و بالحق لذلك فهم يسارعون الى الوسيله التى تحقق هدفهم.

[۸۵]و وفی اللّه بما وعدهم فجزاهم بایمانهم الذی عبروا عنه بالقول الصادق جنات یخلدون فیها.

فَأَثٰابَهُمُ اللّٰهُ بِمٰا قٰالُوا جَنّٰاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰارُ،خٰالِدِینَ فِیهٰا،وَ ذٰلِکَ جَزٰاءُ الْمُحْسِنِینَ [۸۶]اما أولئك الیهود،و المشـرکون فأنهم کفروا بسبب عباده ذواتهم، و اتباع شهواتهم ثم کذبوا بالحق نتیجه لکفرهم،لذلک کان جزاؤهم جهنم.

وَ الَّذِینَ کَفَرُوا وَ کَذَّبُوا بِآیٰاتِنٰا أُولٰئِکَ أَصْحٰابُ الْجَحِیمِ .

[سوره المائده (۵): الآيات ۸۷ الى ۸۹]

اشاره

يا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اَللّهُ لَكُمْ وَ لا تَعْتَدُوا إِنَّ اَللّهَ لا يُحِبُّ اَلْمُعْتَدِينَ (۸۷) وَ كُلُوا مِمّا رَزَقَكُمُ اَللّهُ حَلالاً طَيِّباً وَ اِتَّقُوا اَللّهَ اَلَّذِى أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ (۸۸) لا يُؤاخِذُكُمُ اَللّهُ بِاللَّغْوِ فِى أَيْمانِكُمْ وَ لكِنْ يُؤاخِذُكُمْ بِما عَقَّدْتُمُ اَلْأَيْمانَ فَكَفّارَتُهُ إِطْعامُ عَشَرَهِ مَساكِينَ مِنْ أَوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَهٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيامُ ثَلاثَهِ أَيّامٍ ذلِكَ كَفّارَهُ أَيْمانِكُمْ إِذا حَلَفْتُمْ وَ احْفَظُوا أَيْمانَكُمْ كَذلِكَ يُبَيِّنُ اَللّهُ لَكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (۸۹)

اللغه

۸۹[باللغو فى ايمانكم]:لغو اليمين هو الحلف على وجه الغلط من غير قصد مثل قول القائل لا و اللّه.

[عقدتم]:وثّقتم بالقصد و النيه.

ص:۴۴۹

هدی من الآیات:

فی هذه المجموعه من الآیات نری تبیانا لأحکام الإسلام فی السلوک الشخصی و مدی علاقته بالسلوک الاجتماعی.

فالخمر-مثلا-لیس شرابا یتناوله الشخص باختیاره،بل هی-فی الواقع-ممارسه اجتماعیه إذ تسبب الإضرار بالمجتمع،و اعتداء الناس علی بعضهم،و کذلک المیسر.ان هذه العلاقه الوثیقه بین السلوک الشخصی و المجتمع تفرض علی الإنسان مزیدا من الانضباط فیما یتعلق بحیاته الشخصیه،بید أنّ المحرمات لیست هی الأصل فی سلوک الإنسان کما تزعم الشعوب المتخلفه التی تحسب کل شیء حراما الا بعض ما یتلی علیهم،و ینص علی حلیته،بل بالعکس،یرغب الإسلام فی ممارسه الحیاه بحریه و انطلاق،حتی یثبت بالدلیل القاطع ان اللّه حرم هذا الشیء المعین.

و هذه الفکره فکره الحلیه العامه حتی یثبت العکس-هی مجمل ما توحی

ص:۴۵۰

اليه هذه الدروس التى سوف نشير إليها.

بينات من الآيات:

تحريم الطيبات

[٨٧]

جاء فى حديث ان الله يحب ان يؤخذ برخصه كما يؤخذ بعزائمه انّ هذا الحديث المأثور ليدل دلاله حاسمه على ان المبالغه فى تحريم الطيبات التى ولع بها بعض المنتسبين الى الدين انما هى من عمل الشيطان إذ انها تسبب:

اولا:فى التشريع الحرام عند اللّه:و هو نسبه حكم الى الشريعه،ما انزل اللّه بها من سلطان! ثانيا:تسبب فى ابتعاد فريق من الناس عن الدين،لأنهم يرون تناقضا بينه و بين فطرتهم،التى تدعوهم الى التنعم،بما وفره اللّه للإنسان من طيبات.

و قد كانت المسيحيه المنحرفه هى السبب فى نشوء التيار المناهض للدين فى أوروبا مع بدايه التقدم العلمى،لأن المسيحيه المنحرفه كانت تحرم طلب العلم و تنسب ذلك الى الدين،و طائفه من علماء الدين المسلمين ساعدوا من حيث يعلمون أو لا يعلمون هذا التيار الغربى على النفوذ فى البلاد الاسلاميه،لهذا السبب بالذات.

من هنا حرم القرآن و بكل إصرار تحريم ما أحل اللّه.سواء كان التحريم

قوليا أو عمليا و قال:

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّباتِ ما أَحَلَّ اللّهُ لَكُمْ بيد ان الاستفاده من الطيبات ينبغى ان تكون فى حدود الحقوق الواجبه.

فهناك حقوق للجسد يجب الوقوف عندها و عدم تجاوزها فى الاستفاده من الطيبات،مثلا الإسراف فى الاكل نوع من الاعتداء على حق الجسد فى ان يبقى سالما.

كما أنّ هناك حقوقا للناس،تجب رعايتها عند ما يستفيد المرء من الطيبات، من هنا أكد القرآن على الحقوق فى سياق حديثه عن الطيبات و قال:

وَ لا تَعْتَدُوا إِنَّ اللّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ [٨٨]و الاستفاده من الطيبات.كل الطيبات يجب الا يتحدد الا بحدود الشريعه التى جاءت لمصلحه الإنسان كفرد و كمجتمع،و هذا هو التقوى.

وَ كُلُوا مِمّا رَزَقَكُمُ اللّهُ حَلالاً طَيِّباً وَ اتَّقُوا اللّهَ الَّذِى أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ

كفاره العهد و اليمين:

[٨٩]و هناك حد آخر للاستفاده من الطيبات،هو حد الالتزام الشخصى بعدم الاستفاده من واحده من الطيبات لسبب أواخر،و هذا يسمى باليمين.

فلك ان تحلف ألاـ تستفيد مثلاـ من نعمه الفواكه،و ذلك لمصلحه الفقراء و المساكين و لكن لاـ يعنى ذلك ان تحرم على نفسك كل شيء...و لمجرد التقشف و التزهد و من دون مصلحه أو رجحان أو سبب معقول،آنئذ يحرم عليك شرعا ان

تعود الی ذلک الشیء.لأنه یعنی التنازل عن عهدک،و التنازل بالتالی عن أرادتک و عن نفسک بذاتک.

بید ان هناک مشکله هی ان بعض الناس،یستعجلون الحلف باللّٰه،و هم لا یقصدون الالتزام الحقیقی و الاراده الثابته.

من هنا بدأ القرآن حدیثه عن حل هذه المشکله ثم أوجب الالتزام بالیمین و قال:

لاٰ یُؤٰاخِذُکُمُ اللّٰهُ بِاللَّغْوِ فِی أَیْمٰانِکُمْ،وَ لٰکِنْ یُؤٰاخِذُکُمْ بِمٰا عَقَّدْتُمُ الْأَیْمٰانَ فَکَفّٰارَتُهُ إِطْعٰامُ عَشَرَهِ مَسٰاکِینَ مِنْ أَوْسَطِ مٰا تُطْعِمُونَ أَهْلِیکُمْ أَوْ کِسْوَتُهُمْ،أَوْ تَحْرِیرُ رَقَبَهٍ فَمَنْ لَمْ یَجِدْ فَصِیٰامُ ثَلاٰثَهِ أَیّٰامٍ ذٰلِکَ کَفّٰارَهُ أَیْمٰانِکُمْ إِذٰا حَلَفْتُمْ وَ احْفَظُوا أَیْمٰانَکُمْ کَذٰلِکَ یُبَیِّنُ اللّٰهُ لَکُمْ آیٰاتِهِ لَعَلَّکُمْ تَشْکُرُونَ تشکرون اللّٰه علی هدایته لکم،و تبیانه طریقه الاستفاده من الطیبات.

ص:۴۵۳

[سوره المائده (۵): الآیات ۹۰ الی ۹۳]

اشاره

یا أَیُّهَا اَلَّذِینَ آمَنُوا إِنَّمَا اَلْخَمْرُ وَ اَلْمَیْسِرُ وَ اَلْأَنْصابُ وَ اَلْأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ اَلشَّیْطانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّکُمْ تُفْلِحُونَ (۹۰) إِنَّما یُرِیدُ اَلشَّیْطانُ أَنْ یُوقِعَ بَیْنَکُمُ اَلْعَداوَةَ وَ اَلْبَغْضاءَ فِی اَلْخَمْرِ وَ اَلْمَیْسِرِ وَ یَصُدَّکُمْ عَنْ ذِکْرِ اَللّهِ وَ عَنِ اَلصَّلاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ (۹۱) وَ أَطِیعُوا اَللّهَ وَ أَطِیعُوا اَلرَّسُولَ وَ احْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّیْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّما عَلی رَسُولِنَا اَلْبَلاغُ اَلْمُبِینُ (۹۲) لَیْسَ عَلَی اَلَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصّالِحاتِ جُناحٌ فِیما طَعِمُوا إِذا مَا اتَّقَوْا وَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصّالِحاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَ آمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَ أَحْسَنُوا وَ اَللّهُ یُحِبُّ اَلْمُحْسِنِینَ (۹۳)

اللغه

۹۰[الأنصاب]:الأصنام و سمیت بذلک لأنها کانت تنصب للعباده، و الانتصاب القیام.

[رجس]:الرجس فی اللغه اسم لکل ما استقذر من عمل،و یقال رجس یرجس إذا کان عملا قبیحا.

ص:۴۵۴

بينات من الآيات:

البشر عقل و اراده:

[۹٠]فى البشر عقل و اراده تقابلها الشهوات و الجهل،و على الإنسان ان يحكم عقله على شهواته بقدره الإراده،و قد جاءت رسالات السماء بهدف تنميه قدره الإراده فى البشر و تنميه قدره العقل حتى يتمكن من ضبط شهواته،و توجيه حياته حسب هدى عقله.

و قد حرمت رسالات السماء كلما يضر بالعقل و بالإراده ضررا بالغا.لأنه يتسبب بالطبع فى سيطره الشهوات على حياه الإنسان.

و فى طليعه ما حرمته الشرائع السماويه الخمر و الميسر لأنهما يهبطان بإراده الإنسان و عقله إلى أدنى مستوى،و هما بالتالى رجس و حرام لأنهما من عمل الشيطان الذى يثير الشهوات و ينقص العقل و يضعف الإراده.

يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَ الْمَيْسِرُ وَ الْأَنْصٰابُ وَ الْأَزْلاٰمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ

ص:۴۵۵

الشَّيْطانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكَمْ تُفْلِحُونَ ان الفلاح الذی هو الهدف الأسمی لکل ابن أنثی فی الحیاه لا یتحقق إلا بالسیطره علی شهوات الذات بقوه الاراده.

اما اللهو فانه یضعف هذه الاراده و یثیر المشاکل للبشر و اللهو هو ذلک الرجس الذی یدعمه الشیطان.

الخمر و المیسر من جنود إبلیس:

[۹۱]و الخمر و المیسر یسببان الفرقه بین الناس،بینما الإسلام یأمر بالوحده و یدعم هذه الوحده بتحریم کل أسباب الفرقه.

إِنَّما یُرِیدُ الشَّیْطانُ أَنْ یُوقِعَ بَیْنَکُمُ الْعَداوَهَ وَ الْبَغْضاءَ فِی الْخَمْرِ وَ الْمَیْسِرِ العداوه تأتی بسبب سیطره الشهوات علی الإنسان،فیحاول کل واحد ان یعتدی علی حقوق الآخرین لیحقق هو شهواته،بینما یجب أن یقف غریمه فی موقف الدفاع،فان لم یستطع دفع الظلم عن نفسه انقلب ظالما لمن هو أضعف منه.

و هکذا یتحول المجتمع الی سلسله من الظالمین و المظلومین،و العداوه تتحول إلی بغضاء إذ سرعان ما یبحث کل طرف عن تبریر نفسی لظلمه،فینشر الحقد فی کل قلب فکل من یصبح مظلوما یحقد علی ظالمه.

و لکن المشکله:ان هذا الحقد قد یتحول الی غیر الظالم،بل إلی کل أبناء المجتمع فیبحث له عن متنفس یصب حقده فیه فاذا به یظلم الناس بلا سبب،

و بلا مصلحه ذاتیه بل متشفیا لنفسه الحاقده و یبقی سؤال:کیف تتسبب الخمره فی العداوه؟ الجواب:ان الخمره تذهب بالعقل،و تضعف الاراده،فیفقد الإنسان السیطره علی شهواته فتصبح شهواته هی المسیطره علیه،تسوقه الی حیث الاعتداء و الظلم.

اما المیسر فانه یعتمد علی محاوله کل فریق التغلب علی الآخرین،لیس بالعمل الصالح و انما بالصدفه أو بالمکر و الشطاره.

و معلوم کیف تنتهی حاله مجتمع تسود علاقاته:المغالبه و المنافسه الماکره؟! و سبب أخر لحرمه الخمر و المیسر هو:الإلهاء عن ذکر اللّه،و ذکر اللّه هو طریق فلاح الإنسان.

ان الشیطان الذی یجسد قوی الشر فی الطبیعه و یثیر قوی الشر فی النفس،لا یرید توحید کلمه البشر،بل یحاول تقویه شهوات البشر،و دعم أهوائه الذاتیه،و لیس هدف الشیطان الذی یدعو الناس الی اللهو و اللعب و الی معاقره الخمر و نسیان المسؤولیات،و یدعوهم إلی لعب القمار و الابتعاد عن العمل الصالح،و کذلک فهو لا یهدف أبدا الی إسعاد البشر.

و اللّه یرید من الإنسان ان یکون واعیا لمسؤولیاته،عالما بان هناک رقابه مشدده علیه من اللّه حتی یطبق واجباته متذکرا أبدا تلک الرقابه.

اما الشیطان فیرید تناسی اللّه و الابتعاد عن ذکر اللّه بالخمر و المیسر.

و من هنا قال اللّه عن هدف الشیطان من الخمر و المیسر:

وَ يَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللّهِ وَ عَنِ الصَّلاٰةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ هل أنتم منتهون عن السير فی خط اللاوعی و التناسی و الغفله ان اثمن ما فی البشر هو ذكر اللّه،و تذكر المسؤوليه و التعهد بأدائها.

و الشيطان يدفع بالبشر فی الخط المعاكس.أ فلا نتوب الی اللّه و نطرد الشيطان و نهجر كأس الغفله،و أدوات العداوه؟!

طريق العوده:

[۹۲]و نعود الی حظيره الطاعه و الالتزام بالمسؤوليه.

وَ أَطِيعُوا اللّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ و بدلا من الغفله و التناسی نلتزم بالحذر و نتسلح بالتقوی.

إذا كنت فی غايه كثيفه الظلمات كثيره السباع فهل من الصحيح ان تنام و تتناسی واقعک،و الاخطار المحدقه بک فالشيطان يدفع البشر باتجاه الغفله،و خط اللّه يدعوا الی الحذر.

وَ احْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمٰا عَلىٰ رَسُولِنَا الْبَلاٰغُ الْمُبِينُ نحن لسنا مسئولين عنكم،و لا رسولنا مسئول عنكم،انما أنتم المسؤولون عن أنفسكم،و انما علی رسولنا:مسئوليه ابلاغكم فقط بما يجری ثم تتحملون أنتم المسؤوليه.

كل شیء حلال:

[۹۳]و لا يعنی تحريم الخمره أن اللّه يريد للإنسان ان يعيش فی ضنک

العیش،لان اللّه لم یحرم الطیبات علی الإنسان.

لَیْسَ عَلَی الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ جُناحٌ فِیما طَعِمُوا انما یعنی ذلک التحریم ان یبقی الإنسان فی حذر دائم من ارتکاب الجرائم،و فی وعی دائم،و تحمل للمسئولیه و الحذر،لذلک قال اللّه:

إِذا مَا اتَّقَوْا وَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ ان الهدف من التقوی هو العمل الصالح،و لکن العمل الصالح لا بد ان یسبقه الایمان،و الایمان یأتی قبل و بعد العمل الصالح اما قبله فلکی یدفع بالبشر الی اختیار العمل الصالح،اما بعده فلان العمل الصالح یدعم الایمان و یقویه فی القلب مما یمهد لمرحله متقدمه جدیده من العمل الصالح.من هنا جاء الایمان هدفا للتقوی عند ما قال ربنا:

ثُمَّ اتَّقَوْا وَ آمَنُوا ان التقوی(ای التحسس بالمسؤولیه)تدعو الی العمل الصالح و تدعو فی ذات الوقت الی مستوی جدید و مرتفع من مستویات الایمان.

ذلک المستوی هو الإحسان الی الناس لذلک جاء الإحسان نتیجه للتقوی فی هذه الآیه:

ثُمَّ اتَّقَوْا وَ أَحْسَنُوا وَ اللّهُ یُحِبُّ الْمُحْسِنِینَ و هکذا یتدرج المؤمن عبر المراحل التالیه:

/۱التقوی بهدف العمل الصالح.

التقوی بهدف تقویه الایمان.

۳/التقوی بهدف الإحسان الی الناس.

و عموما.الطعام هو وقود الإنسان المادی للقیام بهذه المراحل،بینما التقوی هی وقوده المعنوی.

و فرق کبیر بین الطعام فی المفهوم التوحیدی حیث یکون تحت سیطره التقوی، و بهدف تحمل المسؤولیه و الإحسان.

و الطعام فی المفهوم الشیطانی حیث یکون ضد التقوی و ضد تحمل المسؤولیه.

[سوره المائده (۵): الآیات ۹۴ الی ۹۶]

اشاره

یا أَیُّهَا اَلَّذِینَ آمَنُوا لَیَبْلُوَنَّکُمُ اَللّٰهُ بِشَیْءٍ مِنَ اَلصَّیْدِ تَنٰالُهُ أَیْدِیکُمْ وَ رِمٰاحُکُمْ لِیَعْلَمَ اَللّٰهُ مَنْ یَخٰافُهُ بِالْغَیْبِ فَمَنِ اِعْتَدیٰ بَعْدَ ذٰلِکَ فَلَهُ عَذٰابٌ أَلِیمٌ (۹۴) یٰا أَیُّهَا اَلَّذِینَ آمَنُوا لاٰ تَقْتُلُوا اَلصَّیْدَ وَ أَنْتُمْ حُرُمٌ وَ مَنْ قَتَلَهُ مِنْکُمْ مُتَعَمِّداً فَجَزٰاءٌ مِثْلُ مٰا قَتَلَ مِنَ اَلنَّعَمِ یَحْکُمُ بِهِ ذَوٰا عَدْلٍ مِنْکُمْ هَدْیاً بٰالِغَ اَلْکَعْبَهِ أَوْ کَفّٰارَهٌ طَعٰامُ مَسٰاکِینَ أَوْ عَدْلُ ذٰلِکَ صِیٰاماً لِیَذُوقَ وَبٰالَ أَمْرِهِ عَفَا اَللّٰهُ عَمّٰا سَلَفَ وَ مَنْ عٰادَ فَیَنْتَقِمُ اَللّٰهُ مِنْهُ وَ اَللّٰهُ عَزِیزٌ ذُو اِنْتِقٰامٍ (۹۵) أُحِلَّ لَکُمْ صَیْدُ اَلْبَحْرِ وَ طَعٰامُهُ مَتٰاعاً لَکُمْ وَ لِلسَّیّٰارَهِ وَ حُرِّمَ عَلَیْکُمْ صَیْدُ اَلْبَرِّ مٰا دُمْتُمْ حُرُماً وَ اِتَّقُوا اَللّٰهَ اَلَّذِی إِلَیْهِ تُحْشَرُونَ (۹۶)

اللغه

۹۶[للسیاره]:السیاره المسافرون.

ص:۴۶۱

الصید فی الحج

هدی من الآیات:

الطعام یجب ان یکون بهدف العمل الصالح و الایمان و الإحسان الی الناس و لذلک یحرم من الطعام ما یخالف هذا الهدف مثل الخمر.

و قد یکون الطعام وسیله لدعم اهدافه بصوره النفی مثل ترک الطعام فی الصیام.حیث انه یقوی التقوی و الاحساس بالمسؤولیه،و بالتالی الإحسان و العمل الصالح و کذلک ترک الطعام فی الحج.

فحرمه الصید فی الحرم أو خلال القیام بمراسم الإحرام لا تعنی أن فی الطعام جرثومه،بل تعنی ان الطعام ذاته أصبح ماده لاختبار اراده الإنسان و لدعم قدرتها علی ضبط الشهوات.

فی هذه المجموعه من الآیات یبیّن اللّه فلسفه حرمه الصید فی الحج.

و یضع مجموعه من الروادع المادیه لمن یصطاد فی الحج أو فی الحرم حیث یجب

علیه ان یکفر عن ذنبه بمثل ما اصطاد من الحیوان،و بالتالی یجب علیه ان یقهر شهواته التی حاولت الاستفاده من الحیاه بالعطاء لها مجددا حتی یعرف ان اتباع الشهوات یؤدی الی الوبال.

و فی الوقت الذی حرم صید البر،أحل اللّه صید البحر فی حاله الإحرام لان الهدف هو تنمیه الاراده و تربیه روح التقوی،و لیس الهدف تجویع الإنسان.

بینات من الآیات:

الصید و امتحان الإرادات:

[۹۴]بالرغم من ان عملیه الاصطیاد فی الحج تتم بصوره مشروعه و لیست استثمارا لجهد الآخرین،إذ ان صاحب الصید هو صاحب العمل،بالرغم من ذلک فقد حرم اللّه هذا الصید لا لأنه استثمار لجهد الناس(کما فی حرمه الربا) و لا لأنه یضر بعقل الإنسان،و لا لأنه یضر بجسمه(کما فی حرمه لحم الخنزیر)، و لکنه لمجرد اختبار اراده الإنسان و تنمیه روح التقوی فیه.

یٰا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لَیَبْلُوَنَّکُمُ اللّٰهُ بِشَیْءٍ مِنَ الصَّیْدِ تَنٰالُهُ أَیْدِیکُمْ وَ رِمٰاحُکُمْ لِیَعْلَمَ اللّٰهُ مَنْ یَخٰافُهُ بِالْغَیْبِ إذا،فهو امتحان،و الهدف منه معرفه الذی یخشی اللّه بالغیب،و هو ذلک الذی استفاد من نور عقله فی اکتشاف عاقبه عمله و لم یحدد رؤیته بما یراه امام عینه،بل نظر بعیدا بعیدا.نظر الی اللّه الذی یراقب عمله،و یحصی علیه ذنوبه،فیجازیه علیها فخشیه.

فَمَنِ اعْتَدیٰ بَعْدَ ذٰلِکَ فَلَهُ عَذٰابٌ أَلِیمٌ

ص:۴۶۳

من اعتدى على حرمات اللّه بعد ان بينها ربنا فانه يستحق عذابا أليما.

اهداف الحرمه:

[۹۵]الحکم الذی جعله اللّه مقیاسا للامتحان هو:حرمه قتل الصید فی حاله الإحرام،أو فی منطقه الحرم.

یٰا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لاٰ تَقْتُلُوا الصَّیْدَ وَ أَنْتُمْ حُرُمٌ لماذا هذا الحکم؟ لان الإحرام یهدف التجرد عن الذات،و تنمیه روح التقوی.و لا تتناسب هذه الحاله مع الانتشار فی الأرض طلبا للصید بما یحمل ذلک من اهتمامات بین الوافدین من مختلف بقاع الأرض من أجل أداء فریضه الحج فلو اهتموا-و هم یسیرون الی مکه بالصید إذا لازدادت احتمالات الصراع بینهم علی الصید، و بالتالی تناقض ذلک مع هدف الحج الذی هو توحید الامه الاسلامیه.

کفاره الصید:

وَ مَنْ قَتَلَهُ مِنْکُمْ مُتَعَمِّداً فَجَزٰاءٌ مِثْلُ مٰا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ ذلک لان لکل حیوان وحشی یصاد مثیلا من الحیوانات الآهله و نظیرا له فی الحجم و الشکل و الفصیله.

من هنا یجب دفع الکفاره حسب حجم الحیوان و شباهته،فمثلا الغزال نظیر الشاه فی الحجم.

و المرجع القانونی لتمییز المثیل المناسب للصید هو الناس أنفسهم(العرف العام)الذی یعبر عنه اثنان من العدول.

یَحْکُمُ بِهِ ذَوٰا عَدْلٍ مِنْکُمْ و یصرف هذا الجزاء للکعبه و زوارها الحجاج إلیها.

هَدْیاً بٰالِغَ الْکَعْبَهِ و بإمکان الشخص ان یؤدی التعویض المادی و ذلک بإطعام المساکین، حسب الصید،و بعدد ما یشبع الصید أو کفارته(من الناس)فلو کان الصید یشبع عشره اطعم عشره مساکین.

أَوْ کَفّٰارَهٌ طَعٰامُ مَسٰاکِینَ و باستطاعته ان یصوم بقدر الأیام التی یشبعها الصید فمثلا:بدل ان یقدم شاه تشبع عشره رجال،أو یطعم عشره رجال مساکین،بدل هذا و ذاک، باستطاعته ان یصوم عشره أیام کفاره لصید الغزال الذی یعادل الشاه.

أَوْ عَدْلُ ذٰلِکَ صِیٰاماً لِیَذُوقَ وَبٰالَ أَمْرِهِ و خلاصه القول:ان علی الإنسان ان یعوض عن صیده بقدر ما استفاده من ذلک.

اما إذا کان الصید قبل الحکم بحرمته،أو قبل العلم بهذا الحکم فانه یعفی عنه.

عَفَا اللّٰهُ عَمّٰا سَلَفَ

ص:۴۶۵

بید ان من اصطاد،ثم کفّر،ثم اصطاد بصوره متعهده فان الکفاره لا تزیل ذنبه بل یبقی مذنبا حتی یلاقی ربه فیجازیه علی ذنبه.

وَ مَنْ عٰادَ فَیَنْتَقِمُ اللّٰهُ مِنْهُ وَ اللّٰهُ عَزِیزٌ ذُو انْتِقٰامٍ

أحل لکم صید البحر:

[۹۶]لیس الهـدف من حرمه صـید البر تجویع الوافـدین الی البیت الحرام،بـل تنمیه إرادتهم و تقواهم،و منع التشاجر بینهم من هنا أحل لهم صید البحر لأنه لا یسبب عداء عاده.

أُحِلَّ لَکُمْ صَیْدُ الْبَحْرِ وَ طَعٰامُهُ مَتٰاعاً لَکُمْ وَ لِلسَّیّٰارَهِ ای متاعا لکم أنتم المقیمون فی الحرم،و للسیاره المسافرین الی الحرام.

وَ حُرِّمَ عَلَیْکُمْ صَیْدُ الْبَرِّ مٰا دُمْتُمْ حُرُماً وَ اتَّقُوا اللّٰهَ الَّذِی إِلَیْهِ تُحْشَرُونَ

ص:۴۶۶

[سوره المائده (۵): الآیات ۹۷ الی ۱۰۰]

اشاره

جَعَلَ اَللّٰهُ اَلْکَعْبَهَ اَلْبَیْتَ اَلْحَرٰامَ قِیٰاماً لِلنّٰاسِ وَ اَلشَّهْرَ اَلْحَرٰامَ وَ اَلْهَدْیَ وَ اَلْقَلاٰئِدَ ذٰلِکَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اَللّٰهَ یَعْلَمُ مٰا فِی اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِی اَلْأَرْضِ وَ أَنَّ اَللّٰهَ بِکُلِّ شَیْءٍ عَلِیمٌ (۹۷) اِعْلَمُوا أَنَّ اَللّٰهَ شَدِیدُ اَلْعِقٰابِ وَ أَنَّ اَللّٰهَ غَفُورٌ رَحِیمٌ (۹۸) مٰا عَلَی اَلرَّسُولِ إِلاَّ اَلْبَلاٰغُ وَ اَللّٰهُ یَعْلَمُ مٰا تُبْدُونَ وَ مٰا تَکْتُمُونَ (۹۹) قُلْ لاٰ یَسْتَوِی اَلْخَبِیثُ وَ اَلطَّیِّبُ وَ لَوْ أَعْجَبَکَ کَثْرَهُ اَلْخَبِیثِ فَاتَّقُوا اَللّٰهَ یٰا أُولِی اَلْأَلْبٰابِ لَعَلَّکُمْ تُفْلِحُونَ (۱۰۰)

اللغه

۹۷[الهدی و القلائد]:الهدی ما یهدی من الأنعام الی الکعبه،و القلائد ما یقلد به الهدی علامه له.

ص:۴۶۷

الحج أيام الحريه

هدى من الآيات

كـان القران الكريم يبين لنا طائفه من الأحكام المرتبطه بتنظيم الحياه الاجتماعيه و طائفه من المحرمات التى اسـتهدفت المحافظه على وحده الناس.

و منها ضروره الالتزام بالايمان و حرمه نقضها،و حرمه الخمر و الميسر باعتبارهما معولى هدم للمجتمع،و حرمه الصيد فى الحج.

فى هذه المجموعه من الآيات يبيّن لنا:

اولا:الهدف من الحج الذى يلخصه فى أمرين يلتقيان بالتالى ليصبحا امرا واحدا و هما:اقامه حياه الناس،و تنظيمها تنظيما صالحا.

ثانيا:إيجاد وازع داخلى لدى الناس يأمرهم باتباع هدى اللّه و قبول أوامره،ذلك الوازع هو العلم بالحقائق التاليه:

ص:۴۶۸

اولا:بان اللّه رقیب علیهم و یعلم ما یجری عندهم.

ثانیا:الرسول لیس مسئولا عن أعمالهم بل هم المسؤولون اولا و أخیرا،و ما علی الرسول الا أداء الرساله إلیهم.

ثالثا:بأن هناک طیبا فی الحیاه و خبیثا،و انهما لا یستویان.فلیس الإنسان طیبا بذاته و خبیثا بذاته بل قد یکون طیبا و قد یکون خبیثا،و علیه ان یختار لنفسه.و علی الإنسان ان یستخدم عقله و یختار لنفسه اما باتجاه الطیب أو الخبیث.

و بمناسبه الحدیث عن هذا الوازع یحدثنا القران فی الدرس القادم عن العلم بالاحکام الشرعیه حسبما نأتی الی ذکره:

بینات من الآیات:

رموز الحریه:

[۹۷]لماذا الکعبه و لماذا الحج إلیها،هل الکعبه مقام عباده یتقرب بها الناس الی ربهم أم هی مدرسه تزکی النفس البشریه..أم هی أکثر من ذلک (مرکز تجمع للامه الاسلامیه)تنظم حیاتهم علی الأرض و تعدهم لدخول الجنه فی الاخره؟هی فی الواقع کل ذلک.

یقول اللّه عن الکعبه:

جَعَلَ اللّٰهُ الْکَعْبَهَ الْبَیْتَ الْحَرٰامَ قِیٰاماً لِلنّٰاسِ وَ الشَّهْرَ الْحَرٰامَ وَ الْهَدْیَ وَ الْقَلاٰئِدَ هذه المناسک تجعل الکعبه کمنطقه حره،و الشهر الحرام أیام الحریه،و الهدی

و القلائد كاشياء ماديه محترمه(اى محرره للّه لا لعباد اللّه).

هـذه الأـمور كلهـا رموز الحريه جعلهـا اللّه للنـاس قياما اى تنظيمـا لحياتهم إذ ان الحريه هى أساس تنظيم الحياه الاجتماعيه ففى المنطقه الحره تجتمع الجمـاهير لتعبر كل طائفه عن رأيها الصـريح،و يتفق الناس فيما بينهم حول ما يشاءون، و يتعاونون من أجل بناء حياتهم الكريمه،و يتحدون من أجل مقاومه الطاغوت.

اما الشـهر الحرام فهو الوقت الـذى يحرم فيه التجاوز على الآخرين،و يجب ان يسـمح لكل الفئات خلاله بالمسـير الى الحـج،و لا يتعرض أحد،لهم بسوء انى كانت الدوافع الى هذا التعرض.

امـا الهـدى و القلائـد فهـذه الأشـياء لا يجوز لأحـد الاعتـداء عليها لأنها ليست لأحـد بل هى للّه و للجميع،اى لكل الوافـدين الى الحج.انها رمز الملكيه الجماهيريه،انها رمز التعاون فى الاستفاده من أشياء هذه الأرض من أجل رفاه الناس جميعا.

الحريه بين الفوضى و التحرک:

و يبقى سؤال:كيف تصبح الحريه سببا لقيام المجتمع و نحن نعلم ان الحريه قد تسبب الفوضى؟ الجواب:

اولا:ان الحريه تعنى ان كل الناس أحرار و لا يعنى بالطبع ان تكون طائفه واحـده أو شـخص واحـد فقط هو الحر.و إذا طبقنا هذه القيمه(اى الحريه للمجتمع)فان ذلک يعنى انضباط الجميع فى نفس الوقت.إذ لا يجوز لا حد ان

يسلب حريه الآخرين بل عليه ان يحترمها.

و هذا الاحترام المتبادل لحقوق الآخرين هو أكثر ما يوفر الانضباط و التقيد.

من هنا تصبح الحريه نظاما عادلا و مستقرا.

معنى الحريه:

ثانيا:سمى القران الحريه هنا بالإحرام و الحرمه(البيت الحرام الشهر الحرام) و هذا يعنى ان الحريه هى:الكف عن الاعتداء قبل ان يكون المطالبه بالحق.

فأنت حر إذا لم تتجاوز على حقوق غيرك،و الحقوق هذه يحددها اللّه ففى الحرم انظمه جعلها اللّه،و على الجميع ان يلتزموا بها حتى تتوفر لهم جميعا الحريه الكافيه.

هذا هدف من اهداف الحج،و لكنه ليس كل اهدافه،إذ ان هناك قضيه تزكيه الذات التى لا يمكن أن تحدث الا عن طريق وجود وازع فى القلب،و هذا الوازع ياتى عن طريق احساس كل فرد انه مراقب من قبل اللّه رقابه شامله، و بذلك يزداد شعورا بالمسؤوليه و بالتالى التزاما بها،من هنا يقول ربنا:

ذٰلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مٰا فِى السَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِى الْأَرْضِ وَ أَنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [٩٨]و اللّه لا يراقب الناس فقط بل و يجازيهم بشده،أو يرحمهم برحمته الواسعه،فالعبد بين ان يسقط الى الحضيض مره واحده أو يحلق فى السماء عاليا.

اِعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقٰابِ وَ أَنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ

ص:۴۷۱

و هـذه المعادله تجعل النفس تندفع بسـرعه هائله الى الامام.إذ تجد انها بين قطبين متضادين بقوه،فاما عقاب شديد و اما مغفره و رحمه فيصبح الإنسان و كأنه فى معركه حاسمه تؤدى اما الى نصر مؤزر و إما الى هزيمه نكراء.

فكيف يكون اندفاع هذا الشخص و حذره و تحسسه بمسؤولياته و بالتالى تقواه؟!

من المسؤول:

[۹۹]و ليس من الممكن ان يلقى الإنسـان بمسؤولياته على الآخرين،فمثلا يقول:ان اللّه و رسوله هو المسؤول عنى،و عن تربيتى و تزكيتى و هدايتى.كلا،ان المسؤول الاول هو الإنسان نفسه،اما الرسول فهو مسئول فى حدود الدعوه فقط.

مٰا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاٰغُ فاذا بلغ الدعوه الى الشخص فان مسئوليته قد انتهت و يبقى الإنسان مسئولا أمام اللّه.

وَ اللّٰهُ يَعْلَمُ مٰا تُبْدُونَ وَ مٰا تَكْتُمُونَ [۱۰۰]و النـاس فريقـان،طيب و خبيث،و بينهما مسافه بعيـده و على المرءان يختار لنفسه أحد الفريقين،و لكن ليعرف مسبقا ان الفريق الطيب هو الأفضل على رغم قله ابنائه.

قُلْ لاٰ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَ الطَّيِّبُ وَ لَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ و التقوى هو زاد الإنسان للوصول الى مسـتوى الطيب فعلى الإنسان ان يتقى اللّه و يحتمل كل مسئولياته بوعى و حذر إذا كان عاقلا و إذا أراد السعاده.

فَاتَّقُوا اللّهَ یَا أُولِی الْأَلْبَابِ لَعَلَّکُمْ تُفْلِحُونَ

ص:۴۷۳

[سوره المائده (۵): الآيات ۱۰۱ الی ۱۰۵]

اشاره

يا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْئَلُوا عَنْ أَشْياءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَ إِنْ تَسْئَلُوا عَنْها حِينَ يُنَزَّلُ اَلْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اَللّهُ عَنْها وَ اَللّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (۱۰۱) قَدْ سَأَلَها قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِها كافِرِينَ (۱۰۲) ما جَعَلَ اَللّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَ لا سائِبَةٍ وَ لا وَصِيلَةٍ وَ لا حامٍ وَ لكِنَّ اَلَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اَللّهِ اَلْكَذِبَ وَ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ (۱۰۳) وَ إِذا قِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا إِلى ما أَنْزَلَ اَللّهُ وَ إِلَى اَلرَّسُولِ قالُوا حَسْبُنا ما وَجَدْنا عَلَيْهِ آباءَنا أَ وَ لَوْ كانَ آباؤُهُمْ لا يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَ لا يَهْتَدُونَ (۱۰۴) يا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اِهْتَدَيْتُمْ إِلَى اَللّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (۱۰۵)

اللغه

۱۰۳[بحيره]:أصل الباب السّعه،و سمّى البحر بحرا لسعته،و فرس بحر واسع الجرى و فى الحديث انه صلى الله عليه و آله قال لفرس له وجدتها بحرا،(الناقه إذا ولدت عشره ابطن يشقون أذنها و يسيّبونها).

[السائبه]:السائبه فاعله من ساب الماء إذا جرى على وجه الأرض،و يقال سيّبت الدابه اى تركتها تسيب حيث شاءت،و أصلها المخلاه و هى المسيّبه، و أخذت من قولهم سابت الحبه و انسابت إذا مضت مستمره(و السائبه هى التى تسيّبت فى المرعى فلا تردّ عن حوض و لا علف إذا ولدت خمسه أبطن).

[وصيله]:إذا وصلت بمعنى الموصوله كأنها وصلت بغيرها و يجوز ان يكون بمعنى الواصله لأنها وصلت أخاها و هذا أظهر فى الآيه(و هو ان يكون أحدهم كان إذا ولدت له شاته ذكرا أو أنثى قالوا وصلت أخاها فلا يصبح من أجلها).

[حام]:هو العجل إذا ضرب عشره ابطن يحمى ظهره فلا يركب.

ص:۴۷۵

الجهل و التقليد آفه الصلاح

هدى من الآيات:

العلم بالحكم الشرعی یورث الإنسان مسئولیه العمل به،و لحکمه الله سبحانه فانه یتدرج فی بیان الأحکام الشرعیه حتی یستوعبها الناس بصوره مرحلیه.

و لکن بعض الناس یستعجلون فی الأمر فیحاولون معرفه الأحکام أو الحقائق مره واحده،و قد لا یستوعبون فیکفرون بالحقائق أو لا یطبقون الأحکام فیکفرون بها.

انما علی الإنسان ان ینتظر الوحی حتی یهبط بالحکم الشرعی أو بالحقیقه فیسأل عنها لان الله لا ینزل العلم الا فی حینه،و بقدر استیعاب الناس له.

و بسبب الاستعجال بالعلم بالاحکام تری بعض الناس یصدرون احکاما من عند أنفسهم ثم ینسبونها الی الله،أو یتقبلون التقالید الجاهلیه کأحکام،ثم لا

يتركونها بالرغم من مخالفتها لهدى العقل و العلم.

ان تقليـد الآبـاء عقبه كأداء فى طريق تحمل المسؤوليه،كـذلك تقليـد المجتمع حيث ان بعض الناس يتخـذون من المجتمع عقبه لأعمالهم فيتركون بعض الواجبات لمجرد ان الناس لا يستحسنونها.

ان القران فى هـذه المجموعه من الآيات يقوم بتصـفيه العقبات النفسـيه من امام المسؤوليه و هى العجله و عـدم المرحليه،و تقليد الاباء،و اتباع المجتمع.

بينات من الآيات:

المرحليه فى التشريع القرآنى:

[۱۰۱]الاسـتعجال فى فهم الحقائق سواء كانت مرتبطه بالاحكام الشرعيه أو التقاليد الاجتماعيه،و قد لا يكون القلب مستعدا لتقبل تلك الحقائق فيسبب كراهيه القلب لها أو قد يسبب كفر المسلم بها.لذلك نهى اللّه عن السؤال المبكر عن الحقائق قائلا:

يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاٰ تَسْئَلُوا عَنْ أَشْيٰاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ انما علينا ان نسأل عن تلك الحقائق حين يحين موعدها اى حين تشاء اراده اللّه بيانها و بما ان اللّه لا يريـد ذلك الا حين تقتضـى حكمه المرحله:اى حين يسـتعد المجتمع لتقبل ذلك الحكم أو تلك الحقيقه العلميه،فان وقت نزول القران يكون ملائما للسؤال.

وَ إِنْ تَسْئَلُوا عَنْهٰا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ

ثم ان القرآن لا يبين الحكم فى مرحله فحسب،بل و يدعم ذلك بذكر الموعظه المناسبه للحكم،و الفلسفه التى استوجبته.كذلك يبين أن اللّه قد عفى عما سلف من الأعمال السيئه التى تأتى الأحكام الشرعيه لا صلاحها و تزكيه الإنسان منها.

عَفَا اللّهُ عَنْها وَ اللّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ و من ايات غفرانه..عفوه عن سابق الذنوب،و من دلائل حلمه انه لا يبين الحقائق الا حسب المراحل.

الاستعجال طريق الكفر:

[۱۰۲]ثم بين ربنا سبب نهيه عن السؤال المبكر و قال:

قَدْ سَأَلَها قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِها كافِرِينَ انهم كفروا بتلك الحقائق لأنها جاءت قبل موعدها،و فوق مستواهم المرحلى لادراك تلك الحقيقه.

ان اللّه انزل الأحكام بصوره تدريجيه حتى انه حرم الخمر عبر ثلاث مراحل، و لم يشرع فريضه الزكاه الا متأخرا و لم يأذن بالجهاد الا بعد فتره حتى يكون المجتمع مهيأ نفسيا للحكم الشرعى.

تحريم الطيبات:

[۱۰۳]و من الامثله التى كان الجاهليون لا يكفون عن السؤال عنها هى

تلک النعم التی کانوا یحرمونها علی أنفسهم بسبب من الأسباب...مثل البحیره و السائبه و..و حیث انها کانت تنذر للالهه،ثم بعد ان یذبحها أصحابها تترک فی ارض اللّه لا یمسها أحد بسوء.

و قد بین القرآن الحکیم ان هذه النعم حلال علی الناس،و ان اللّه لم یحرمها علیهم و ذلک:

اولا:لان النذر للالهه حرام،و حرام کل شیء یمت بعباده الأصنام،و حتی الذبیحه إذا کانت باسم الآلهه فانها تحرم حتی لو استوفت سائر شروط الذبح الاسلامیه لمجرد انها ذبحت باسم الأصنام.

ثانیا:لان ذلک تشریع من دون اذن اللّه،و هو بدعه و ضلاله و شرک.

ثالثا:لان اللّه لا یحرم علی البشر الطیبات و حتی الهدی و القلائد لیست محرمه علی الناس بل هی للناس جمیعا،و فرق کبیر بین التشریع الجاهلی الذی کان یذبح البهائم الحلال باسم الآلهه،و بین التشریع الاسلامی الذی یأمر بذبحها من أجل استفاده جمیع أبناء المجتمع منها.

الإسلام یحرر الطیبات من الملکیه الخاصه-فی بعض المناسبات-من أجل ان تکون فوائدها مشاعه،اما الجاهلیه فانها تحرمها علی کل الناس و تدعها بلا فائده علی أحد:

مٰا جَعَلَ اللّٰهُ مِنْ بَحِیرَهٍ وَ لاٰ سٰائِبَهٍ وَ لاٰ وَصِیلَهٍ وَ لاٰ حٰامٍ لأنها جمیعا تخالف سنه اللّه فی الحیاه التی تقضی بتسخیر الأشیاء لخدمه الإنسان.

و لأنها تخالف تشريع الإسلام بالاستفاده من الطيبات.

وَ لٰكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَ أَكْثَرُهُمْ لاٰ يَعْقِلُونَ و دليل ذلك انهم يحرمون على أنفسهم الطيبات بلا سبب معقول.

رساله السماء لا تقليد الآباء:

[۱۰۴]ان اللّه يريد من الإنسان الاستفاده من موهبه العلم و العقل و لكن الكفر يغل قلب صاحبه و يدعه مغلقا لا يدخله نور العقل،لذلك تجده لا يستفيد من عقله بل يروح يقلد من هم أقل عقلا منه و هدى.

و الواقع ان التقليد سواء كان من المجتمع أو من الاباء فهو أكثر ما يصد البشر عن التقدم و الرقى.

وَ إِذٰا قِيلَ لَهُمْ تَعٰالَوْا إِلىٰ مٰا أَنْزَلَ اللّٰهُ وَ إِلَى الرَّسُولِ هذا ما أنزله اللّه على رسوله الجديد يأتيكم نقيا صافيا.

قٰالُوا حَسْبُنٰا مٰا وَجَدْنٰا عَلَيْهِ آبٰاءَنٰا انظر انهم يقولون حسبنا(اى نكتفى بما نجده عند الاباء)ان حركه الحياه قد توقفت فى أنفسهم و أصبحوا يكتفون بالماضى دون أى إبداع أو تطوير.

أَ وَ لَوْ كٰانَ آبٰاؤُهُمْ لاٰ يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَ لاٰ يَهْتَدُونَ اى حتى لو أن آباءهم كانوا قد ضلوا الطريق بسبب غياب مصدرى التقدم عن حياتهم و هما العلم:و هو ما يكتشفه الإنسان بنفسه،و الهدى:و هو ما ينزل

عليه من ربه.

مع ذلک يقلدونهم و قد توفرت لهم فرصتا العلم و الهدى.

الإنسان بين الهدايه و تحدى المجتمع:

[۱۰۵]و تقليد المجتمع هو الاخر يقف امام تطور الإنسان و تقدمه و کم من الناس کانوا يکتشفون طرقا جديده لحياتهم ترکوها خشيه المجتمع أو حتى حياء من الناس.

يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاٰ يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ان الذى يضل الطريق يجب ان يخشى على نفسه السباع،کما ان عليه ان يقلد الذى اهتدى الى الطريق و ليس العکس.

ان المهتدى يسير وفق حرکه الحق،و وفق سنه اللّه فى الکون و بالتالى فهو الذى سيصل عاجلا أم آجلا الى اهدافه،و عندئذ يخسر الضالون و يندمون على تفريطهم فى مصالحهم.

ثم ان نهايه حرکه الإنسان هى الى اللّه مالک السموات و الأرض حيث يبين لنا من ضل و من اهتدى،و ذلک من خلال جزائه العادل،و فيعاقب من ضل، و يثيب من اهتدى.

إِلَى اللّٰهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ قد يصل الإنسان الى جزائه دون ان يعرف ان هذا هو جزاء عمله.

ص:۴۸۱

فمثلا:يشرب الماء الملوث فيصاب بمرض دون ان يعرف ان سبب مرضه هو ذلك الشراب،بيد ان اللّه لا يدع الإنسان يضل أو يهتدى حتى ينبئه و يخبره به يقينا،أنه كان على ضلال و ان ما يعانيه من عقاب هو ثمن ضلالته أو انه كان على هدى و ان ما اكتسبه من الثواب هو جزاء هداه.

اننا كبشر نخشى لوم الناس،فاذا سخر منا أحد انهزمنا نفسيا امام سخريته و قد نفقد الثقه بأنفسنا و نفقد الاطمئنان الى ديننا لمجرد ان أحدا سخر منا.

و قد يترک البعض طريق الهدى لمجرد ان الناس يقولون له ان هذا ضلاله.

و القرآن يبيّن لنا هنا بان المستقبل كفيل ببيان صاحب الحق و صاحب الباطل،فلما ذا ننظر الى أقوال الناس،و لماذا لا نثق بعقولنا و بما نكشفه بأنفسنا من حقائق،و لماذا لا نهتدى الى الصواب بحجه ان الآخرين لم يهتدوا اليه؟! دع الآخرين يتبعونک لأنك أنت و ليسوا هم على صواب و لا تخش أقوالهم لان الحقائق ستظهر قريبا.

[سوره المائده (۵): الآیات ۱۰۶ الی ۱۰۸]

اشاره

یا أَیُّهَا اَلَّذِینَ آمَنُوا شَهادَهُ بَیْنِکُمْ إِذا حَضَرَ أَحَدَکُمُ اَلْمَوْتُ حِینَ اَلْوَصِیَّهِ اِثْنانِ ذَوا عَدْلٍ مِنْکُمْ أَوْ آخَرانِ مِنْ غَیْرِکُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِی اَلْأَرْضِ فَأَصابَتْکُمْ مُصِیبَهُ اَلْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُما مِنْ بَعْدِ اَلصَّلاهِ فَیُقْسِمانِ بِاللّهِ إِنِ اِرْتَبْتُمْ لا نَشْتَرِی بِهِ ثَمَناً وَ لَوْ کانَ ذا قُرْبی وَ لا نَکْتُمُ شَهادَهَ اَللّهِ إِنّا إِذاً لَمِنَ اَلْآثِمِینَ (۱۰۶) فَإِنْ عُثِرَ عَلی أَنَّهُمَا اِسْتَحَقّا إِثْماً فَآخَرانِ یَقُومانِ مَقامَهُما مِنَ اَلَّذِینَ اِسْتَحَقَّ عَلَیْهِمُ اَلْأَوْلَیانِ فَیُقْسِمانِ بِاللّهِ لَشَهادَتُنا أَحَقُّ مِنْ شَهادَتِهِما وَ مَا اِعْتَدَیْنا إِنّا إِذاً لَمِنَ اَلظّالِمِینَ (۱۰۷) ذلِکَ أَدْنی أَنْ یَأْتُوا بِالشَّهادَهِ عَلی وَجْهِها أَوْ یَخافُوا أَنْ تُرَدَّ أَیْمانٌ بَعْدَ أَیْمانِهِمْ وَ اِتَّقُوا اَللّهَ وَ اِسْمَعُوا وَ اَللّهُ لا یَهْدِی اَلْقَوْمَ اَلْفاسِقِینَ (۱۰۸)

ص:۴۸۳

الاشهاد و التوثيق

هدى من الآيات:

بمناسبه الحديث عن المسؤوليه و عن دور العلم فيها(إذ العلم لا ينفصل عن المسؤوليه)جاء الحديث فی الآيات هذه،عن الشهاده التی ليست بعلم، و لكنها قائمه مقامها فی إيجاد المسؤوليه الدينيه،و حسب منهج القرآن،الذی لا يتحدث عن حقيقه إلّا عبر الحديث عن واقعه خارجيه متصله بالحياه مباشره، و بالتالی يعطی مثلا حيا للأحكام و للحقائق.

حسب هذا المنهج تحدث القرآن هنا عن الشهاده بعد الموت،حيث ينبغی ان يشهد الشخص إذا اقترب الموت منه،شخصين عادلين،و ينقل إليهم مسئوليه الشهاده بعد الموت،و إذا كانا موضع تهمه فعليهما ان يحلفا باللّه بعد أداء الفريضه قسما بأنهما لا يكذبان فی الشهاده.

و إذا تبين كذبهما فلا- يمكن الحكم بكذبهما الا- إذا حلف اثنان من المعارضين المدعين عليهما الإ-ثم يحلفان على التهمه الموجهه للشاهدين،كما

يحلفان على انهما ليسا بظالمين فى توجيه التهمه الى هذين الشخصين.

إن هذا العمل أفضل طريقه لصدق الشهاده و عدم رد الأيمان.

و على الإنسان إذا أراد أن يصل الى الحقيقه،و بالذات على القاضى،إذا أراد أن يتوصل الى الحق فعليه أن يقوم بأمرين:

الف:تقوى اللّه و إتباع أوامره.

باء:أن يستمع الى كلّ الآراء.

و أما إذا افتقد القاضى التقوى،فانه لا ينتفع بالسماع أبدا.

بينات من الآيات:

الشهاده و الشهود:

[۱۰۶]كيف يثبت الحكم الشرعى؟ اولا:بالعلم البعيد عن تقليد الآباء،أو تقليد المجتمع،أو استعجال الأحكام الشرعيه،و هذا ما تحدثت به الآيات السابقه.

ثانيا:بالشهاده و هى تختص بالعدل من المؤمنين،و هو الرجل المستقيم الذى ينفذ تعاليم ربه،و لا يكفى فى العادل(كما توحى به كلمه العدل ذاتها)أن يكون مؤمنا أو حتى متقيا،بل عليه أن يكون مستقيما فى تفكيره و سلوكه،فلو كان الشخص سريع الاقتناع بسيطا فى فهم الحقائق مما يضر بالشهاده فان شهادته غير مقبوله.

و من أبرز موارد الشهاده.الشـهاده على الوصـيه حيث ينبغى أن يستشـهد المرء حين تحضـره الوفـاه رجلين عادلين على وصـيته،و الأفضل أن يكونا من المسلمين و ان لم يكن فيكفى أن يكونا عادلين.

إثبات الشهاده:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ أما إذا وجهت تهمه الى هذين الشاهدين كما إدا حصـلت الوفاه فى السفر، فجاء الشاهدان من غير المسلمين من رفاق الميت فى الطريق و شهدا على وصيه معينه،فهنا تطرح عاده علامه استفهام إذ قد تكون الوصيه ملفقه رأسا فهنا لا نكتفى بالعداله الظاهره(الشهاده)بل نطلب منهما أن يحلفا عقيب الفريضه أنهما صادقان:

إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ و جاء اثنان من غير المسلمين فهنا:

تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ إذا كانت طريقه إدلائهم بالشهاده أو حتى ملابسات الوفاه التى يتحدثون عنها إذا كـانت مثيره للشـك،و لأنه ليس هناك أى دليل عينى على أنهما كاذبان،و بما أنهما ينكران التهمه الموجهه ضـدهما،فعليكم ان تستحلفوهما حلفا مغلظا بعد الصلاه و يكون مضمون الحلف هو اننا:

لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَناً وَ لَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى

ص:۴۸۶

أیّ حتی و لو کان الأمر فی صالح بعض أقاربنا فانا لا نکذب للحصول علی بعض المال لیس ذلک فقط بل:

وَ لاٰ نَکْتُمُ شَهٰادَةَ اللّٰهِ إذ قد لا یکذب الشخص بالکلام،بل قد یکذب بالصمت کأن یسکت عن الحقیقه التی یعرفها و بسکوته لا یدع الحقیقه تظهر،و بذلک یرتکب إثما مبینا.

إِنّٰا إِذاً لَمِنَ الْآثِمِینَ فآخران یقومان مقامهما.

[۱۰۷]فاذا تبین ان هذین الشخصین قد ارتکبا إثما،فهناک لا یمکن إثبات الإثم هذا الا إذا شهد رجلان ضدهما،و فی مصلحه أصحاب الحق المهضوم.

فَإِنْ عُثِرَ عَلیٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقّٰا إِثْماً فَآخَرٰانِ یَقُومٰانِ مَقٰامَهُمٰا أی یقفان علی منصه الشهاده،و یشهدان لمصلحه صاحب الحق أن عثر علی دلیل خیانتهما.

مِنَ الَّذِینَ اسْتَحَقَّ عَلَیْهِمُ الْأَوْلَیٰانِ أی من أصحاب الدم أو أولی الناس به من ناحیه القرابه.

فَیُقْسِمٰانِ بِاللّٰهِ لَشَهٰادَتُنٰا أَحَقُّ مِنْ شَهٰادَتِهِمٰا أی یجب أن یحلفا قبل الشهاده بصدقهما و یشهرا علی أن الشاهدین غیر صادقین فی الشهاده.

وَ مَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذاً لَمِنَ الظّالِمِينَ اى ما ارتكبنا عدوانا،و إذا كنا قد ارتكبنا عدوانا أو تجاوزنا الحد فان ذلك يثبت علينا صفه الظلم و نحن سوف نستعد لمواجهه العقوبه المفروضه على الظالم.

[۱۰۸]ان هذا النوع من الاستشهاد سيكون أفضل أنواع الشهاده.لأنها تستنهض ضمير الشاهد و تثير فيه وازعه الدينى.

ذٰلِكَ أَدْنىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهادَهِ عَلىٰ وَجْهِها أى أقرب الى الشهاده المأتيه على الوجه الصحيح.

و فى ذات الوقت سيكون ذلك سببا لاطمئنان الناس بالشهاده إذ أن الشهاده تتأكد بالحلف.

أَوْ يَخٰافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمٰانٌ بَعْدَ أَيْمٰانِهِمْ أى يخشوا من عاقبه ردّ اليمين على الورثه بعد شهاده الشاهدين فيفتضح أمرهما.و على العموم،الشهاده طريق الإنسان الى العلم،و لكنها بحاجه الى التقوى و السماع من قبل المستمع للشهاده،إذ أن التقوى ستمنع المستمع من الحكم المسبق على الشاهد أو فى القضيه من دون دليل،و ستمنعه من الميل نحو أحد طرفى القضيه لان صاحبه من أقارب الميت،أو لأن مصلحته ستكون فى ذلك أو لمجرد الاستعجال فى الحكم من دون معرفه ان ذلك يخالف روح التقوى.

أما السماع فانه الشرط المادى لمعرفه الحقائق بعد توفر الشرط النفسى و العقلى و هو التقوى لذلك قال ربنا:

وَ اتَّقُوا اللّهَ وَ اسْمَعُوا ثم أكدّ القرآن على أهميه التقوى فى فهم الحقائق و قال:

وَ اللّهُ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الْفاسِقِينَ فاذا كان الإنسان ظالما لحقوق الناس فان ظلمهم سيكون حجابا أمام عينه فلا يرى الحق حقا لأنه يحاول دائما أن يبرر ظلمه أمام الناس،و ليتخلص من و خز الضمير الذى يقضّ مضجعه.

[سوره المائده (۵): الآيات ۱۰۹ الى ۱۱۵]

اشاره

يَوْمَ يَجْمَعُ اَللّٰهُ اَلرُّسُلَ فَيَقُولُ مٰا ذٰا أُجِبْتُمْ قٰالُوا لاٰ عِلْمَ لَنٰا إِنَّكَ أَنْتَ عَلاّٰمُ اَلْغُيُوبِ (۱۰۹) إِذْ قٰالَ اَللّٰهُ يٰا عِيسَى اِبْنَ مَرْيَمَ اُذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَ عَلىٰ وٰالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ اَلْقُدُسِ تُكَلِّمُ اَلنّٰاسَ فِي اَلْمَهْدِ وَ كَهْلاً وَ إِذْ عَلَّمْتُكَ اَلْكِتٰابَ وَ اَلْحِكْمَةَ وَ اَلتَّوْرٰاةَ وَ اَلْإِنْجِيلَ وَ إِذْ تَخْلُقُ مِنَ اَلطِّينِ كَهَيْئَةِ اَلطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهٰا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي وَ تُبْرِئُ اَلْأَكْمَهَ وَ اَلْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَ إِذْ تُخْرِجُ اَلْمَوْتىٰ بِإِذْنِي وَ إِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرٰائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنٰاتِ فَقٰالَ اَلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هٰذٰا إِلاّٰ سِحْرٌ مُبِينٌ (۱۱۰) وَ إِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى اَلْحَوٰارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَ بِرَسُولِي قٰالُوا آمَنّٰا وَ اِشْهَدْ بِأَنَّنٰا مُسْلِمُونَ (۱۱۱) إِذْ قٰالَ اَلْحَوٰارِيُّونَ يٰا عِيسَى اِبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنٰا مٰائِدَةً مِنَ اَلسَّمٰاءِ قٰالَ اِتَّقُوا اَللّٰهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (۱۱۲) قٰالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهٰا وَ تَطْمَئِنَّ قُلُوبُنٰا وَ نَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنٰا وَ نَكُونَ عَلَيْهٰا مِنَ اَلشّٰاهِدِينَ (۱۱۳) قٰالَ عِيسَى اِبْنُ مَرْيَمَ اَللّٰهُمَّ رَبَّنٰا أَنْزِلْ عَلَيْنٰا مٰائِدَةً مِنَ اَلسَّمٰاءِ تَكُونُ لَنٰا عِيداً لِأَوَّلِنٰا وَ آخِرِنٰا وَ آيَةً مِنْكَ وَ اُرْزُقْنٰا وَ أَنْتَ خَيْرُ اَلرّٰازِقِينَ (۱۱۴) قٰالَ اَللّٰهُ إِنِّي مُنَزِّلُهٰا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذٰاباً لاٰ أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ اَلْعٰالَمِينَ (۱۱۵)

اللغه

ص:۴۹۰

۱۴[عیدا]:العید اسم لما عاد إلیک من شیء فی وقت معلوم حتی قالوا للخیال عید،و لما یعود إلیک من الحزن عید.

ص:۴۹۱

الأنبياء فی حضره اللّه

هدی من الآیات:

أنی کانت نتیجه المحاکمات علی وجه الأرض فی الدنیا فی صالح أصحاب الحق أم فی صالح أصحاب الباطل فان هناک محکمه اخری تعدل و لا تجور و هی محکمه اللّه فی الآخره.

و هناک لا یهدی اللّه القوم الفاسقین،و هناک یجمع اللّه جمیع الناس و فیما بینهم رسل اللّه،فیسألهم ما ذا کان جواب الناس لکم(و بذلک لا مناص من المحکمه حتی لأنبیاء اللّه)فهذا النبی العظیم عیسی بن مریم علیه السلام یسأله اللّه هناک هل انه قال للناس اعبدونی من دون اللّه بالرغم من ان اللّه عالم بأن عیسی لم یقل ذلک أبدا.

و لکن قبل أن یسأله اللّه یذکره و یذکر الناس بالنعم التی أنعم بها علیه و علی أمه.حیث انه أیده بروح القدس،و علمه الکتاب و الحکمه،و اجری بیده المعاجز مثل إحیاء الموتی،و حفظه من کید بنی إسرائیل.

و أمر الناس بالايمان به،و دعم موقف عيسى فى بنى إسرائيل بأن أنزل عليهم مائده من السماء بطلب من بنى إسرائيل و هكذا.

و الهدف من سرد القصه هذه فى نهايه سوره المائده،ليس فقط بيان مسئوليه العالم الشاهد الذى عليه-حين إدلائه بالشهاده-أن يتصور موقفه أمام اللّه،ليس هذا هو الهدف،بل إنّه مجرد مناسبه للحديث.

أما الهدف فهو أعمّ منه،و هو بيان مسئوليه الإنسان فى الحياه،و لعله يشعر بتلك المسؤوليه التى تتجسد يوم القيامه فى محكمه العدل الالهيه.

بينات من الآيات:

الرسل بين يدى الرحمن:

[۱۰۹]يوم القيامه تظهر حقائق الأمور فهناك حقائق موجوده و ثابته و لا تنتفى بمجرد نفيها أو بالسكوت عنها،إنها حقائق إن سكتنا عنها تزداد قوه و رسوخا،و بالتالى تحيط بنا و تدمرنا.

و الاحساس بوجود الحقيقه و ظهورها فى يوم من الأيام يدفع صاحب العلم بان يكون شاهد صدق لعلمه،و لا يكتم من العلم ما يخالف مصالحه.

إن أبرز العلماء هم الرسل،الذين حملهم اللّه رسالاته،و علمه و حكمته، و هؤلاء سوف يسألون عن نتائج عملهم،بالرغم من عظمتهم:

يَوْمَ يَجْمَعُ اللّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مٰا ذٰا أُجِبْتُمْ إن اللّه بعث الرسل بهدايه الناس،و بتبليغ دعوته إليهم،و الآن يسألهم عن

نتیجه أعمالهم؟و لکن بما ان عمر الرسل قصیر فی الحیاه،و ربما أن علمهم ببواطن الناس کان فی حدود تعلیم اللّه لهم لذلک:

قٰالُوا لاٰ عِلْمَ لَنٰا أی إن علمنا لیس کاملا بالجواب الحقیقی الذی تلقیناه من الناس.

إِنَّکَ أَنْتَ عَلاّٰمُ الْغُیُوبِ إذا:لو خدعنا الرسل-فرضا-و لو تظاهرنا أمامهم بالایمان کذبا و نفاقا، فسکتوا عنا،یجب الا نتصور أننا طمسنا الحقیقه..کلا.فاللّه هو علام الغیوب و سوف یحاکمنا.

[۱۱۰]و هذه قصه عیسی مع اللّه انظروا کیف یسأله اللّه باعتباره الشاهد علی قومه،و کیف یکشف زیف دعاوی أتباعه:بأن قال لهم اعبدونی من دون اللّه.

إِذْ قٰالَ اللّٰهُ یٰا عِیسَی ابْنَ مَرْیَمَ اذْکُرْ نِعْمَتِی عَلَیْکَ وَ عَلیٰ وٰالِدَتِکَ إِذْ أَیَّدْتُکَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُکَلِّمُ النّٰاسَ فِی الْمَهْدِ وَ کَهْلاً کلّ تلک نعم اللّه سبحانه علی عیسی التی من دونها لم یکن عیسی شیئا.

إن روح القدس،و هو الروح الذی یعصم صاحبه من المعصیه،و الذی یؤید به الرسل و الائمه فقط-علیهم جمیعا صلوات اللّه-إنه أهم نعمه یزود اللّه بها عبدا من عباده،و حینئذ لا یرتکب خطیئه فیزعم الجاهلون:انه ابن اللّه أو ابن فیه روح من ذات اللّه سبحانه..کلا.

إن اللّه هو الذی أید عیسی علیه السلام بهذه الروح،و لولاه إذا لهبط فی الزلات،کما

يهبط غيره من الناس،إنّ اللّه أو كل يونس بن متّى لحظات الى نفسه(لحكمه بالغه)فدعا على قومه،فسجنه اللّه فى بطن الحوت جزاء لزلته(التى لم تصل -بالطبع-الى مستوى الذنب)و كذلك معجزه عيسى الظاهره و هى كلامه فى المهد لم تكن دليلا على ألوهيته،بل على عبوديته للّه، و كذلك علمه و حكمته:

وَ إِذْ عَلَّمْتُکَ الْکِتٰابَ وَ الْحِکْمَهَ وَ التَّوْرٰاهَ وَ الْإِنْجِیلَ یبدو ان الکتاب هو الدستور التشریعی المتمثل فی التوراه،بینما الحکمه هی المواعظ السلوکیه المتمثله فی الإنجیل.

وَ إِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّینِ کَهَیْئَهِ الطَّیْرِ بِإِذْنِی فَتَنْفُخُ فِیهٰا فَتَکُونُ طَیْراً بِإِذْنِی وَ تُبْرِئُ الْأَکْمَهَ وَ الْأَبْرَصَ بِإِذْنِی وَ إِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتیٰ بِإِذْنِی لقد کرر القرآن الحکیم کلمه بإذنی للدلاله علی أن عیسی علیه السلام إنما کان عبدا للّه.

وَ إِذْ کَفَفْتُ بَنِی إِسْرٰائِیلَ عَنْکَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَیِّنٰاتِ فَقٰالَ الَّذِینَ کَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هٰذٰا إِلاّٰ سِحْرٌ مُبِینٌ لقد حاول بنو إسرائیل محاربه عیسی علیه السلام بکل طریقه ممکنه،و کان عیسی کأی شخص عاجزا عن مقاومه ذلک لو لا أن اللّه أیده،إذا فلیس عیسی إلها کما یزعم النصاری.

معجزه المائده بین الایمان بالغیب و الشهود:

[۱۱۱]و أهم من ذلک أنّ اللّه اعتمده اعتمادا و جعله رسولا.

وَ إِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَ بِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَ اشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ [۱۱۲]و دعم اللّه موقف عيسى عليه السلام بان استجاب دعاءه حين طلب منه بنو إسرائيل بأن يأتيهم بالمعجزه البينه،و ذلك للدلاله على أنه نبى فعلا.

إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ أمرهم عيسى عليه السلام بالتقوى،لأن التقوى،تزيد الإنسان يقينا،و ايمانا و صدقا و إذا زكى الإنسان نفسه استطاع أن يفهم الحقائق بدون معاجز إضافيه.

[۱۱۳]و لكن بنى إسرائيل ازدادوا إصرارا فى طلبهم:

قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَ تَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَ نَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَ نَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ انهم قالوا:اننا بحاجه الى اطمئنان القلب و ليس غيره،كما قال إبراهيم عليه السلام لربه:(بَلَى وَ لَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي).

ثم نريد ان تطمئن قلوبنا بصدق الرساله و صدق الرسول قالوا:اننا نريد أن يكون موقفنا فى الدعوه الى اللّه،موقفا حاسما.إذ فرق بين أن يكون الإنسان مؤمنا بشىء إيمانا غيبيا و بين أن يكون إيمانه إيمانا بالشهود،فآنئذ يستطيع أن يكون كلامه أكثر حسما و قاطعيه إذ قليلا ما يشك الناس فى صدق المؤمنين إذا ادّعوا بأنهم رأوا البراهين بعينهم،بينما قد يتشككون فى الايمان الغيبى و قد ينسبون ذلك الى صفاء النيه،و بساطه الفكر،و سذاجه النفس.

[۱۱۴] قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا

عِیداً لِأَوَّلِنا وَ آخِرِنا أیّ یکون یوما مشهودا یتذکره الناس و یجددون ذکراه عاما بعد عام،لتبقی ذکری المائده عالقه فی أذهان الجمیع،و بالتالی تکون القصه عبره لکل الأجیال.

وَ آیَهً مِنْکَ وَ ارْزُقْنا وَ أَنْتَ خَیْرُ الرّازِقِینَ إنها آیه تدل علی معجزه اللّه،و لکن عیسی علیه السلام طلب الرزق الدائم لقومه.

[۱۱۵]قالَ اللّهُ إِنِّی مُنَزِّلُها عَلَیْکُمْ فَمَنْ یَکْفُرْ بَعْدُ مِنْکُمْ فَإِنِّی أُعَذِّبُهُ عَذاباً لا أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ الْعالَمِینَ لأن هناک فرقا بین الکفر الصریح بعد الأیمان النابع من الشهود العینی، و بین الکفر بعد الایمان الغیبی الذی قد لا یکون عمیقا.

إن اللّه ینعم علی عباده لیمتحن مدی شکرهم له علیها،و مدی تقدیرهم للنعم و استفادتهم منها فاذا کفروا بالنعمه فانه سبحانه لا یسلبها منهم فقط،بل و یسلب منهم سائر النعم حتی یقولوا یا لیت اللّه لم ینعم علینا بهذه النعمه قطّ.

مثلا:النفط فی بلادنا نعمه کبیره من اللّه،و رزق عظیم لشعوبنا،فاذا شکرنا هذه النعمه بأداء حقوق المحرومین،و تقسیم الثروه بین الناس بالقسط فسوف تستمر هذه النعمه و تزداد.

أما إذا کفرنا بهذه النعمه،فاستأثر بها الکبار،و حرم منها المستضعفون، و اترف فیها الأغنیاء،فانّ اللّه لا یسلب ثروه النفط منا فقط،بل و أیضا یسلط بعضنا علی بعض فینتشر بیننا الحقد و البغضاء فیقتل بعضنا بعضا،حتی یأتی یوم

نتبرأ فيه من النفط و من ثرواته و نقول:يا ليتنا كنا مجتمعا زراعيا تسود فينا المحبه و الوئام.

ص:۴۹۸

[سوره المائده (۵): الآيات ۱۱۶ الی ۱۲۰]

اشاره

وَ إِذْ قالَ اَللّٰهُ يا عِيسَى اِبْنَ مَرْيَمَ أَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنّاسِ اِتَّخِذُونِي وَ أُمِّي إِلٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اَللّٰهِ قالَ سُبْحانَكَ ما يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ ما لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ ما فِي نَفْسِي وَ لا أَعْلَمُ ما فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلاّمُ اَلْغُيُوبِ (۱۱۶) ما قُلْتُ لَهُمْ إِلاّ ما أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اُعْبُدُوا اَللّٰهَ رَبِّي وَ رَبَّكُمْ وَ كُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً ما دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ اَلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَ أَنْتَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (۱۱۷) إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبادُكَ وَ إِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ اَلْعَزِيزُ اَلْحَكِيمُ (۱۱۸) قالَ اَللّٰهُ هٰذا يَوْمُ يَنْفَعُ اَلصّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا اَلْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها أَبَداً رَضِيَ اَللّٰهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ ذٰلِكَ اَلْفَوْزُ اَلْعَظِيمُ (۱۱۹) لِلّٰهِ مُلْكُ اَلسَّماواتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ ما فِيهِنَّ وَ هُوَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (۱۲۰)

ص:۴۹۹

عیسی:اعبدوا اللّه ربی

بینات من الآیات:

[۱۱۶]فی حواریین اللّه و بین عبده و رسوله عیسی بن مریم سأل اللّه عیسی:هل انه قال لأتباعه أن یعبدوه؟و اللّه یعلم أن عیسی علیه السلام لم یقل ذلک أبدا،و لکنه یسأله لیبین لنا أن عیسی علیه السلام لیس بعیدا عن المسؤولیه بالرغم من أنه عبد مخلص للّه،و لرسوله مبعوث الی خلقه.

فیکف بنا و نحن عباد اللّه المذنبون؟ وَ إِذْ قٰالَ اللّٰهُ یٰا عِیسَی ابْنَ مَرْیَمَ أَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنّٰاسِ اتَّخِذُونِی وَ أُمِّی إِلٰهَیْنِ مِنْ دُونِ اللّٰهِ أنّ أولئک الذین اتخذوا عیسی و أمه الهین من دون اللّه،انما أرادوا التهرب من مسئولیه أعمالهم،و الادعاء:بأن عیسی و امه سوف ینقذ انهم من عذاب اللّه حتی و لو عملوا بالجرائم،فأراد اللّه ان یبیّن لهم:ان هذین العبدین لا یمکنهما،تحدی

ص:۵۰۰

أوامر اللّه،فيما يخصهما فكيف بما يتعلق ببعض من يدعون أنهم أتباعهما.

قالَ سُبْحانَكَ اى انك أجل من ان يعبد أحد من دونك،بل أنت أجل و أعلى من ان يدعى أحد أنه ندلك.

ما يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ ما لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إذ أنی مجرد رسول من قبلك للناس،و مسئوليه الرسول هو التقيد بتعاليم من أرسله بلا زياده و لا نقيصه،حتی و لو كان كلام الرسول حقا فان حدود مسئوليته تستوجب الا يتجاوز حدود ما أمر اللّه بتبليغه،فمثلا:رسول اللّه لم يكن يستطيع ان يشرح من القران ما لم يحن وقته،بالرغم من ان القران ذاته كلام اللّه الحق المبين.

إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ ما فِي نَفْسِي وَ لا أَعْلَمُ ما فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلاّمُ الْغُيُوبِ إن مسئوليه الإنسان أمام ربه ليست كمسؤوليته أمام شخص كعيسى عليه السلام،أو أمام نظام أو قانون،إذ قد يغيب على الشخص العلم ببعض أعمال الفرد،بينما اللّه سبحانه علاّم الغيوب،لا يعلم فقط أعمال الإنسان،بل يعلم أيضا خلفيات هذه الأعمال.

دور الرسول:

[۱۱۷]إن دور الرسول هو دور المبلّغ و الشهيد،أما التبليغ،فانّ مسئوليته هی:نقل رساله اللّه بلا زياده أو نقيصه،و أما الشهاده فتعنی:مراقبه مدى تطبيق

ص:۵۰۱

الإفراد لهذه الرساله،و محاوله هدايتهم الى الصراط المستقيم ببيان طريقه تطبيق المبادئ،و قد أدى عيسى عليه السلام هاتين المسؤوليتين بأمانه و قال:

مٰا قُلْتُ لَهُمْ إِلاّٰ مٰا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللّٰهَ رَبِّي وَ رَبَّكُمْ وَ كُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مٰا دُمْتُ فِيهِمْ بيد أن شهاده الرسول هى شهاده محدوده،إنها شهاده وقتيه،تختص بأيام حياته أما بعدئذ فان اللّٰه هو الشهيد.

فَلَمّٰا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ تراقب أعمالهم لتحاسبهم عليها فى الدنيا و الآخره،أما رقابه اللّٰه لأعمال العباد فتنعكس فى جزائه لهم عليها جزاء عاجلا فى الدنيا،أو آجلا فى الآخره، من دون أن يقدر أحد على الفرار منها،و هذا يدفعنا الى فرض رقابه ذاتيه على أنفسنا الا تصدر منا غلطه،يسجلها ربنا و يحاسبنا عليها سريعا.

وَ أَنْتَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ شهاده اللّٰه هى:هيمنته المباشره على الحياه التى تتجسد بنصر المؤمنين المخلصين فى أعمالهم،و خذلان الكافرين و المنافقين،و هدايه المجاهدين و المحسنين.إن اللّٰه هو السلطان الحقيقى للحياه و علينا ان نتوكل عليه و لا نخشى أحدا أبدا من دونه.

سلطان اللّٰه:

[۱۱۸]إن سلطان اللّٰه ليس سلطانا فعليا فقط بل و يمتد الى المستقبل،فبيده العذاب و المغفره.

إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبٰادُکَ وَ إِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّکَ أَنْتَ الْعَزِیزُ الْحَکِیمُ فی مواجهه الفکره الخاطئه التی اعتقد بها النصاری فی عیسی و أرادوا أن یتهربوا من المسؤولیه تحت غطائها،و هی:أن عیسی و أمه إلهان یخلصانهم من عذاب اللّه،فی مواجهه هذه الفکره،نجد القرآن یشرح لنا حقیقه المسؤولیه، و یبین أن الإنسان مسئول أمام ربه علی أعماله،و علامه مسئولیته علم اللّه به، و رقابته علیه،و شهادته علیه،و جزاؤه علی أعماله.

[۱۱۹]و أکد اللّه هذه الفکره و بین الجانب الایجابی من المسؤولیه و هو الجزاء الحسن الذی أعده ربنا لمن أحسن عملا.

قٰالَ اللّٰهُ هٰذٰا یَوْمُ یَنْفَعُ الصّٰادِقِینَ صِدْقُهُمْ و بذلک بین أن الصدق هو الابتعاد عن التبریر و النفاق و التهرب من المسؤولیه بأسلوب أو آخر،ان هذا الصدق،هو أهم عمل صالح یقوم به الإنسان، إذ انه یدفعک الی تحمل مسئولیاتک و أدائها أداء حسنا.

لَهُمْ جَنّٰاتٌ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰارُ خٰالِدِینَ فِیهٰا أَبَداً رَضِیَ اللّٰهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ ذٰلِکَ الْفَوْزُ الْعَظِیمُ لأنهم سعوا من أجل تطبیق أعمالهم حسب أوامر اللّه و التزموا الصدق، و وافقت أفکارهم و أقوالهم الحق،فان اللّه جزاهم بالرضا،فهو رضی عنهم و هم رضوا عنه.إنّ تبادل الرضا بین العبد و بین ربه،یأتی نتیجه انسجام العبد مع الحق،فی ممارسته...و فی تفکیره....فی کلامه،و فی عمله.

[۱۲۰]اللّه هو الحق..اللّه هو ضمیر الکون الشاهد..اللّه هو مدبر الکون و ربه،و حین ینفذ العبد أوامر اللّه،فان اللّه یسخر له الکون.إذ انه یتصل

ص:۵۰۳

بالحق..يتصل بالضمير الشاهد..يتصل بالقدره..بالعلم..بالعزيمه.

أما حين يخالف العبد ربه فانه سيواجه كل ما فی الكون فهل يقدر على ذلك؟ لِلّٰهِ مُلْكُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مٰا فِيهِنَّ وَ هُوَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

ص:۵۰۴

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

المقدمة:

تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية فى أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامى عام ۱۴۲۶ الهجرى فى المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين فى الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر فى العلوم الإسلامية وتبعثرها فى أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية فى أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين فى العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهى منظمة فى برامج إلكترونية وجاهزة فى مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.

وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبىّ عليهم السلام

تحفيز الناس خصوصا الشباب على دراسة أدقّ فى المسائل الدينية

تنزيل البرامج المفيدة فى الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثين والمحققين فى الحوازت العلمية والجامعات

توسيع عام لفكرة المطالعة

تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها فى ملفات الكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمى البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فى نشر المعلومات

من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولیة العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات فى مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما فى الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمية الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ((sms

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.۱

ANDROID.۲

EPUB.۳

CHM.۴

PDF.۵

HTML.۶

CHM.۷

GHB.۸

إعداد ۴ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.۱

IOS.۲

WINDOWS PHONE.۳

WINDOWS.۴

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقـدم بكلمـة الشـكر والتقـدير إلى مكاتب مراجع التقليـد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسـسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.
عنوان المكتب المركزي
أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir
البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir
هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥
هاتف المكتب في طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ ـ ٠٢١
قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.